



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي

مجلة مجمع اللغة العربية بباريس



السنة الحادية والثلاثون

العدد ٧٣

تموز - كانون الأول ٢٠٠٧

جمادى الآخرة - ذوالحجة ١٤٢٨ هـ



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

مَجلَة

مَجْمَعُ اللِّغَةِ العَرَبِيَّةِ الأُرْدُنِّيِّ

(مجلة متخصصة محكمة)

تصدر مرتين في السنة

- * البحوث التي ترسل إلى المجلة تكون خاصة بها، ولم يسبق أن نشرت في مكان آخر، وأن تتوافر فيها شروط البحث العلمي.
- * يرسل كل بحث إلى ثلاثة محكمين مختصين، وفي ضوء تقاريرهم تقرر هيئة التحرير نشر البحث أو الاعتذار عن عدم نشره.
- * البحوث غير المجازة لا ترد إلى أصحابها.
- * يخضع ترتيب البحوث في المجلة لاعتبارات فنية.
- * تقبل للنشر مراجعات الكتب إذا كانت قيمة.
- * يجوز للباحث أن ينشر بحثه في مكان آخر، بعد نشره في مجلة المجمع، شريطة أن يشير إلى ذلك.

الاشتراكات:

في الأردن خمسة دنائير سنوياً
في البلاد العربية والأجنبية اثنا عشر دولاراً سنوياً أو ما يعادلها

تضاف أجرة البريد الجوي لمن يشاء ذلك من غير الأردنيين



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

ISSN 0258 - 1094



مجلة مجمع اللغة العربية بطنجة

السنة الحادية والثلاثون

العدد ٧٣

تموز - كانون الأول ٢٠٠٧م

جمادى الآخرة - ذو الحجة ١٤٢٨هـ

هيئة تحرير المجلة

رئيس التحرير: الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة
رئيس المجمع

الأعضاء

الأستاذ الدكتور محمود السمره نائب رئيس المجمع

الأستاذ الدكتور سريته عبد الباقى

الأستاذ الدكتور إسحق أحمد فرحان

الأستاذ الدكتور إبراهيم زيد الكيلاني

الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري

الأستاذ الدكتور محمد عدنان البخيت

الأستاذ الدكتور عبد الحميد الفلاح

الفهرس

رقم الصفحة	الموضوع
٩	لأ: البحوث
١١	- جماليات التصوير الفني عند الشعراء الليصوص في صدر الإسلام والعصر الأموي د. سمر الديوب
٤٧	- توظيف اللسانيات الحاسوبية في خدمة الدراسات العربية. " جهود ونتائج" د. عبدالرحمن بن حسن العارف مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي
٩٧	- كسر ياء المتكلم المدغم فيها د. كامل محمد أبو سنية
١٣٧	- العدد بين الحساب واللغة د. محمد سمير نجيب اللبدي
١٨٥	با: مع الكتب
١٨٧	١- قراءة دلالية في كتاب زكريا أوزون " جناية سيبويه " الرفض التام لما في النحو من أوهام" (القسم الثاني)

٢٢٩ ثالثاً: تعليقات ومناقشات

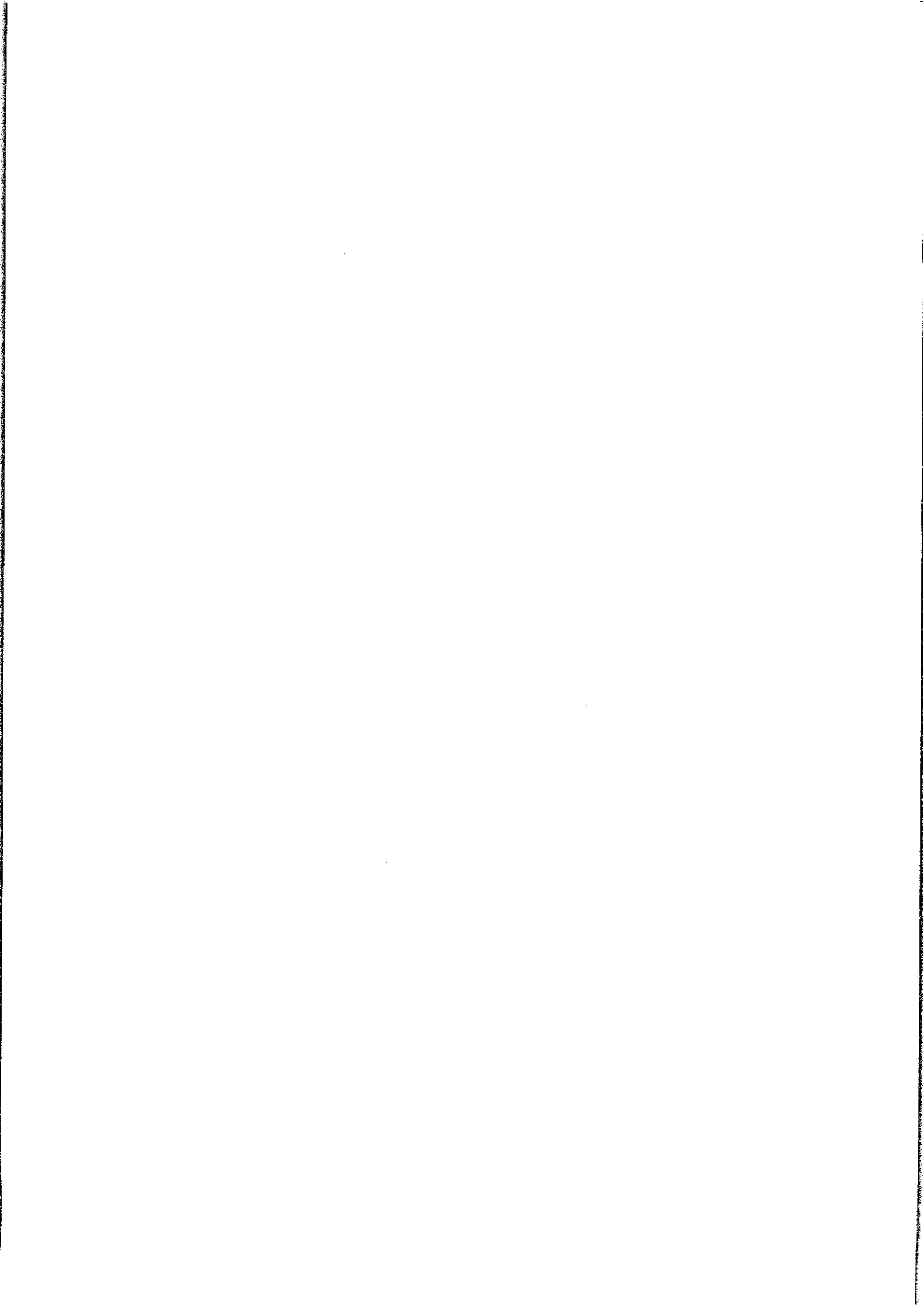
٢٣١ هلال بن ناجي نصوص ضائعة من كتاب "الذخيرة في محاسن
أهل الجزيرة: لأبي الحسن علي بن بسام
الشنتريني.

٢٤٧ رابعاً: أخبار جمعية



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم اسلامي

أولاً: البحوث



جماليات التصوير الفني عند الشعراء اللصوص في صدر الإسلام

والعصر الأموي

د . سمر الديوب *

تعدُّ الصورة تشكيلاً نفسياً قبل أن تكون تشكيلاً فنياً جمالياً ، ترتبط بفكر الشاعر، وبالعوامل التي أسهمت في تكوين نتاجه الشعري.

ولعل البحث في الصورة لدى الشعراء اللصوص تحديداً عمل شائق؛ لما يحتويه هذا الشعر من فلسفة، وفكر، وتأمل، وتحليل مشكلات الواقع على وفق رؤية خاصة، وطرافة في تقديم الفكرة.

ولا تقتصر الصورة على الأنواع البلاغية المعروفة من تشبيه واستعارة وكناية.

إنها تتعداها إلى عناصر الإيحاء المختلفة. وسيحاول هذا البحث أن يستقصي جوانب الصورة لدى هؤلاء الشعراء من خلال استقراء أشعارهم معتمداً على الربط بين الشعر والواقع الاجتماعي الذي أفرزه من جهة، والربط بين الشعر والمؤثرات النفسية التي شكلته من جهة أخرى. ولن يغفل النواحي الجمالية الناتجة من تشكيل الصورة، كما لن يغفل دور الإيقاع النغمي في إعطاء الصورة جرساً خاصاً لدى هؤلاء الشعراء.

* د. سمر الديوب : مدرسة في كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة البعث - حمص - سورية.

ليس البحث في الصورة أمراً جديداً على النقد العربي. إن له أصولاً تراثية قديمة تعود إلى الجاحظ الذي عرف الشعر بأنه " صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير " (١) ففي هذا التعريف حكم على دور الصورة في عملية البناء الشعري، وعلى أهمية أن يُصنَبَ المعنى ضمن نسيج شعري ما لكي يكتسب صفة الشعرية.

ولعل الناقد العربي الذي شكّل خرقاً في إنتاجه النقدي لمن سبقه، ومن أتى بعده عبد القاهر الجرجاني. فقد تكلم على النظم والصياغة، وقصد الصورة. ورأى أن أجزاء الكلام يجب أن تتحد، ويشد ارتباط الثاني منها بالأول قائلاً: " واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نُهَجَت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها ... " (٢) .

لقد غاص الجرجاني في أعماق الصورة وحلّلها تحليلاً رائعاً حين وجد أن الصورة قادرة على تطويع أعناق المتنافرات، وجمع المتباعدات " فإنك تجد الصورة المعمولة فيها كلما كانت أجزاءها أشدّ اختلافاً في الشكل والهيئة، ثم كان التلاؤم بينها مع ذلك أتمّ، والاتلاف أبين، كان شأنها أعجب، والحذق لمصورها أوجب . " (٣)

- وربما كرّر نقادنا المحدثون ما سبق وأتى به الجرجاني بصياغات مختلفة. (٤) لقد اختلفت نظرة النقاد إلى الصورة. فمنهم من رآها متمثلة في التشبيه (٥) ، ومنهم من رآها متمثلة في الاستعارة (٦) ، ومنهم من رآها تشبيهاً ومجازاً (٧) ، ومن النقاد من طبق عليها منهجاً معيناً كالمنهج الأسطوري، فلوى أعناق النصوص الأدبية حين حملها ما ليس فيها (٨) . ومنهم من وجد الصورة في الرمز والأسطورة إضافة إلى الأنماط البلاغية المعروفة (٩) .

وفي الحقيقة : يجب ألا تتطلق دراسة الصورة من منظور واحد، وإنما يجب أن ينظر إليها على أنها كل متكامل. فهي التشبيه والاستعارة، وهي التمثيل والإيحاء. لقد أتعب النقاد أنفسهم في التقسيم والتفريع في الصور والخيال، وكأنهما من عالمين مختلفين. والحقيقة أنهما من منجم واحد. فالخيال عملية ذهنية، والصورة ثمرة لتلك العملية .

على وفق هذا الكلام تصلح الصورة لتكون مدخلاً لدراسة الشعر. فالصورة اندماج للذاتي بالموضوعي. فإذا ما أردنا دراسة الإيحاء مثلاً في الشعر فإننا ندرسه من خلال تفاعله مع السياق الشعري، ومن خلال ارتباطه بالنص الشعري بعناصره كلها مع مراعاة أثر كل عنصر في الآخر. فالنص الشعري بناء لغوي متماسك لا يمكن فصل عناصره، أو دراسة عنصر بمعزل عن الآخر .

وربما سائل يتساءل: لماذا دراسة الصورة في نتاج شعر اللصوص تحديداً؟ إن تسمية اللصوص أتت من وجهة نظر إسلامية بحثة في هذا العصر .

قال تعالى: ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ... ﴾ (١٠) ولصوص الإسلام على علاقة وثيقة بصعاليك الجاهلية مع فارق أن الصعلوك كان يوزع مغانمه على الفقراء. أما اللص فقد احتفظ بما ملكت يده. واللس كان يسرق بمفرده، وربما اتجه الصعلوك إلى مشاركة غيره في الإغارة والسلب والنهب .

وقد اهتم أدبنا العربي باللصوص اهتماماً كبيراً. ربما للطرافة الموجودة في أشعارهم، وربما لتلك التأملات الفلسفية العميقة في الحياة، والتي لا يمكن أن تصدر إلا عن إنسان مجرب فهم الحياة فهماً عميقاً، وكشف كنهها، وربما لجرأتهم، وتمردهم على السلطة التي استأثرت بالأموال لنفسها، وأبقت الرعية جائعة، وربما؛ لأنهم لم يكونوا لصوصاً عاديين فحسب إنما ظهرت فئة منهم انتهجت منهجاً سياسياً معيناً. فكان بعضهم ثائراً على الحكم. ويقال : إن أدبنا العربي قد تفرد بشعر اللصوص (١١). وليس هذا الأمر بالغريب على أدبنا العربي. فقد عُرف الشعر بأنه ديوان العرب، وسجل حياتهم. فكان الخليفة شاعراً، والأمير شاعراً، واللس

شاعراً فإذا سجل الشعر دقائق حياة العرب فكيف لا يصور حياة هذه الفئة التي حملت دمها على كفها، واتجهت إلى اللصوصية لكسب لقمة العيش، أو لإعلان التمرد على نظام ما. وربما مثل شعر اللصوص حياة تلك الفئة المسحوقة من المجتمع العربي في تلك الفترة. ولولاه لقلنا: إن أدبنا العربي لم يهتم إلا بطبقة الحكام. ولعل أشد ما يسترعي الاهتمام في أشعارهم تلك الصفات النفسية التي اتصفوا بها من عزة نفس، وكرم، ورفض للضيم... وروح المرح، والتأملات الفلسفية التي بدت واضحة في صورهم. وأهم من هذا وذاك التصوير الفني الرائع الذي اتسمت به أشعارهم. فأبرز ما يميز شعرهم بروز عنصر الإيحاء. ربما لأنهم عانوا القمع والاضطهاد، فأتجهوا إلى هذه الطريقة الفنية في التعبير.

الصورة البيانية في شعر اللصوص :

نقصد بالصورة البيانية التشبيه، والاستعارة، والكناية. وتقوم الصورة التشبيهية على ثنائية قوامها طرفان حسيان أو غير حسيين. والمهم في هذه الصورة إدراك العلاقة المعنوية التي تخفي وراء العلاقة التشبيهية الظاهرة. فالصورة تحمل مضموناً فكرياً، وإن قدمت بطريقة حسية .

يرى الشاعر اللص جحدر المُرززي العُكلي أن الخارج من السجن - والسجن أشد ما يرعب اللص - كمن يخرج من النار . (١٢)

كأن ساكنها من قعرها أبدأ لدى الخروج كمنْتاشٍ من النارِ

لقد حُبِس هذا الشاعر ببيضاء البصرة، ودُسَّ إلى جانب السجناء الآخرين الذين يرى أن وجوده معهم كوجود الكريم مع الذليل. وإذا نظرنا إلى هذه الصورة على أن الشاعر يشبه السجن بالنار مع وجود قاسم مشترك، أو وجه شبه هو العذاب الذي يلاقيه السجين في السجن لما توصلنا إلى الخصيصة الجمالية في الصورة. فأقسى تجربة عاناها اللص هي تجربة السجن؛ لأنه وسيلة لمعاينة اللص. ولا يرى اللص - حسب فلسفته الخاصة - مسوغاً لسجنه؛ لأن له موقفاً خاصاً، وسلوكاً

خاصاً في الحياة. والسجن الذي حبس فيه هذا اللص حافل بأنواع التعذيب. فإذا باللص يعاني عذابين: عذاباً ناتجاً من الحرية، وعذاباً ناجماً عن الظلم الذي يظن أنه لحق به، وهو عذاب نفسي عظيم لشخص عاش الحرية بأبعادها. من هنا ندرك معنى المقابلة بين السجن والنار. ولنا أن نتخيل ما تفعله النار فيمن يتلظى بها، وكيف يكون شعوره وقد خرج منها، وابتعد عن لهبها. فهل هناك أشد إيلاًماً من الدخول في لهيب النار؟ وما مصير من يدخل فيها؟ ولعلّ الجمالية الأخرى لهذه الصورة استخدام جحدر أداة التشبيه كأنّ بما تحمله من معاني الظن. فكأنه هياً المتلقي للدخول في عالم من التخيلات. إن العذاب الذي لاقاه في السجن، وشعوره بالظلم دمج الأمور في ذهنه، فلم يعد قادراً على الحكم اليقيني على الأشياء .

ويعبر عطارد بن قرآن عن شعوره في السجن قائلاً : (١٣)

كأني جوادٌ ضمّه القيدُ بعدما جرى سابقاً في حليةٍ ورهان

إن للصلّ موقفاً مختلفاً عن الناس العاديين. فهو - حسب قناعاته - لم يفعل ما يستوجب عليه الحبس. فالمال لله، ولا عيب إن أخذه، ولتكن الطريق السرقة. وقديماً قالوا: " اللصّ أحسن حالاً من الحاكم المرتشي، أو القاضي الذي يأكل أموال اليتامى . " (١٤)

ويعبر عبّيد بن أيوب العنبري عن الخوف الذي ينتاب الشاعر اللص قائلاً (١٥) :

كانَ بلادَ الله وهي عريضةٌ على الخائف المطرود كفةً حابلٍ
يؤتسى إليه أن كلَّ ثنيةٍ تميمها ترمي إليه بقاتلٍ

لقد حمل روحه على كفه، وتشرّد في الفيافي، وعاشر حيوان الصحراء. فكانت حياته حافلة بأنواع العذاب، وقد تعايش مع هذا الخوف لكنه لم يستطع السيطرة عليه. فإذا ببلاد الله الواسعة تبدو للخائف كفة حابل. ولعل هذه الصورة قادرة على التعبير عن تأمل نفسي عميق، صالح لكل زمان ومكان .

وتبرز جمالية هذا التشبيه في التفصيل في صورة المشبه به. فإذا به يستشعر الموت في كل ثانية تواجهه. فلا أقسى من الحياة مع الخوف. إنه يتشد الأمان فيجده بعيداً. إن الاشتراك في الصفة بين اتساع البلاد على الخائف وكفة الحابل وقع في حكم لها ومقتضى - كما يقرر الجرجاني (١٦) - فبلاد الله على اتساعها ضيقة في عين الخائف. والعلاقة المعنوية بين الطرفين هو الأثر الذي يتركه الخوف في نفس الشاعر اللص .

ولنتأمل هذه الصورة التشبيهية في قول الشاعر السّمهري بن بشر العُكَلِيّ : (١٧)

وبيضاء ، مِكْسَالٍ ، لعوبٍ ، خريدهِ لذيذٍ ، لدى ليلِ التّمَامِ ، شِمَامُها

كأنّ وميضَ البرقِ ، بيني وبينها إذا حانَ، من خلفِ الحجابِ، ابتسامها

إن بسمة حبييته من خلف الحجاب وميض برقٍ. يبدو وجه الشبه في هذه الصورة خفياً. فما العلاقة بين الابتسامة وميض البرق؟ لقد جمع الشاعر طرفين بعيدين، والتشبيهات - كما يقرر الجرجاني (١٨) - بقدر ما تتباعد بين الشينين تكون إلى النفوس أعجب، والنفوس لها أطرب. لقد استحالت ابتسامة الحبيبة ومضة برقٍ، والبرق في فكر الشاعر البدوي متعلق بالخصوبة والخير والعطاء .

ويرتبط التشبيه في هذه الصورة بالمطر الذي يحتل مكانة كبيرة في حياة الإنسان البدوي؛ لحاجته الماسة إليه. فإذا كانت ابتسامة الحبيبة كومضة برقٍ فلهذه الابتسامة قيمة كبيرة في نفسه تعادل قيمة الماء في حياته. إن لهذه المحبوبة مكانة كبيرة في نفس الشاعر، لذلك ساوى بين ابتسامتها ومضة البرق الذي يجلب الخير والعطاء. وفي النهاية لا فرق لدى شاعرنا الولهان بين المرأة والبرق فكلاهما وجه لعملة واحدة. إنه في أمس الحاجة إلى وجود المرأة في حياته؛ لأنه لص متشرد، بعيد عن حياة البشر العاديين .

والعلاقة بين الابتسامة ومضة البرق ربما كانت دليلاً على أن المرأة هي المعادل الموضوعي لحياة السمهري بما فيها. إنها روحه. وكيف يحيا بلا روح !!

يقول عبيد الله بن الحرّ الجعفي الثائر السياسي الذي ألحق بالصعاليك؛ لأنه
رغب في أن ينشئ دولة الصعاليك (١٩) :

ألم تعلمي يأمّ توبةً أنني أنا الفارسُ الحامي حقائقَ مَدْحَجِ
وأني صبحتُ السجنَ في رونقٍ بكل فتىٍ حامي الذمارِ مُدَجِّجِ
فما إن بَرَحْنَا السجنَ حتى بدا لنا جبينٌ كقرنِ الشَّمسِ غيرُ مُشَجِّجِ

ليست العلاقة الوحيدة المقصودة في هذا التشبيه هي الربط بين سطوع الجبين،
وإشراق الشمس. إن بين المرأة والشمس علاقة أسطورية موعلة في القدم. وإذا
استقرينا الصور الجاهلية نجد أن المرأة قد ربطت بالشمس، والرجل بالقمر، وربما
كان النابغة هو الاستثناء الوحيد حين شبه النعمان بالشمس. فالشمس من مقدسات
الأقدمين، وهي مؤنثة. وربط المرأة بها إعلاء كبير لشأنها لدى الشاعر العاشق.

ولعل أجمل ما في التشبيه أنه يفيد الغيرية، فينصرف الذهن إلى المشبه به، لأن
فيه ما يثير الاهتمام .

لقد عرفتنا الصورة التشبيهية بفكر الشاعر اللص، وسلوكه في الحياة، وموقفه
من السلطة. فعبيد الله بن الحرّ الجعفي حين خرج من الكوفة، ولحق به الناس عقد
العزم على الغارة، وكتب إلى مصعب بن الزبير هذه الأبيات : (٢٠)

فلا كوفةً أمي ولابصرةً أبي ولا أنا يثنييني عن الرحلة الكسلِ
فلا تحسبني ابن الزبير كناعسٍ إذا حلّ أغفى أو يقال له ارتحل
فإن لم أزرَكَ الخيلَ تردي عوايساً بفرسانها حولي فما أنا بالبطلِ

أراد الجعفي أن يرهب خصمه السياسي، فأتى بصورة تشبيهية تركت أثراً خلّفته العلاقة المعنوية بين طرفي التشبيه. ففي هذا التشبيه إرهاب للخصم، وإيحاء بمعانٍ مختلفة. فقد تحول هذان الطرفان إلى ندين متكافئين .
وبما أن التشبيه يفيد الغيرية، ويوهنا أن المختلفات متألّفة انصرف الذهن إلى المشبه به. فإذا بالجعفي إنسان متيقظ، متأهب للقتال .

ولعل الصورة التشبيهية قادرة على الاختصار. فقد اختصرت معاناة الشاعر اللص. إن الصورة لديه طريقة تفكير، وليست حلية لفظية. فقد تكرر على السنة الشعراء اللصوص وصف معاناتهم في الصحراء. وهاهو عبيد بن أيوب العنبري يرى يومه في الصحراء كتنور الإمام : (٢١)

ويوم كتنور الإمام سَجَرْتُهُ وألقين فيه الجَزْلَ حتى تضرماً
رميتُ بنفسي في أجيح سَمومه وبالعَنَسِ حتى صبَّ منسَمها دما

تختصر هذه الصورة ما يلاقي الشاعر من أهوال الحرب، وندرة الماء. ومع ذلك يلقي بنفسه في هذه الصحراء. إنها ثنائية الحياة / الموت التي حكمت شعر اللصوص ، وتحكم حياة البشر جميعاً. فهو يرى الحياة في الموت، ويستشعر في الحياة الموت. ولكي يحافظ على حياته لا يجد سبيلاً إلا أن يزج بنفسه في الصحراء الخالية من موارد الخير (الموت) .

وربما كانت هذه المبالغة مقبولة؛ لأن حياة اللصوص حاقلة بأنواع شتى من المغامرة. فثمة أهوال الصحراء، والوحوش، والجوع، والعطش، وافتقاد الشعور بالأمان. إنها حياة تذكرنا بالحياة التي وصفها الشنفرى في لاميته حيث اضطر إلى محالفة الوحش، ومصاحبة السيف والرمح.

ولعل في لجوء الشاعر اللص إلى التشبيه الضمني ربطاً بين المعنوي والحسي في إطار العلاقة التشبيهية ملتقطين ظاهرتين متباعديتين شكلاً، متفقتين أثراً.

دفع أحد اللصوص، وكان قفاً، دراهم إلى بعض الصيارف، فقفّ منه الصيرفي
شيناً، فقال : (٢٢)

عجبتُ عجيبةً من ذئبٍ سوءٍ أصابَ فريسةً من ليثٍ غابِ
وإن أخذع فقد يُخدعُ ويُؤخذُ عتاقُ الطير من جوِّ السحابِ
فقفّ بكفه سبعين منها من البيضِ المنقّشةِ الصّلابِ

يرى الشاعر أن سارقاً صغيراً يسرق سارقاً كبيراً، كالذئب يصيب فريسة من
فرائس الأسد. لقد خدع هذا الصيرفي السارق، ولاعجب فقد تصطاد الطيور في
السماء. إن في هذا التشبيه الضمني ما فيه من تحفيز لفكر المتلقي، وتأكيد للفكرة
بدليل حسي. فقد أتى بصورتين متقابلتين بين السارق والمسروق، والذئب والأسد
فجمع بين طرفين متباعدين معتمداً على الربط المنطقي بين صورة خداع الصيرفي
للسارق، وصورة اصطياد الطيور في السماء.

وقد يلجأ الشاعر اللص إلى الاستدارة التشبيهية منوعاً في صورته. يقول القتال
الكلابي : (٢٣)

وما روضةً بالحزنِ قفّرٌ مجودةٌ يمجُّ الندى ريحانها وصبيها (٢٤)
بأطيبَ بعدَ النومِ من أمّ طارقٍ ولاطعمُ عنقودِ عقارِ زبيها

لقد أجبرنا الشاعر على أن نتخيل لريق الحبيبة طعماً يشبه طعم عنقود العنب.
فتتداخل الصورة الذوقية مع البصرية. فإذا بالحبيبة قد أصبحت معادلاً لروضة
خصبة. تهدف هذه الاستدارة التشبيهية إلى إجراء مقارنة بين أمرين مع عدم
تفضيل أحدهما على الآخر. فالروضة، وريق الحبيبة متساويا القيمة في نظر
الشاعر.

والروضة التي يصفها الشاعر خصبة ما يشير إلى معنى الخصوبة الموجود لدى المرأة. وهذه الروضة، على مغرباتها كلها، ليست بأطيب مذاقاً من ريق الحبيبة بعد النوم. وقد خصّ هذه الفترة الزمنية؛ لأن الريق يكون في أسوأ حالاته. لقد أراد أن يقول: إنه طيب حتى في هذا الوقت. وبهذا يكون الطرفان متباعدين شكلاً متفقين أثيراً. فلم لا تستحيل الحبيبة روضة غناء؟ ولم لا يبادل بين الحواس طالما أن الحبيبة متماهية مع الطبيعة؟

وربما يحذف الشاعر اللص أداة التشبيه؛ رغبة منه في الوصول إلى المشبه به بسرعة، فيحقق سرعة فنية في الجمع بين طرفي التشبيه.

يقول القتال الكلابي يهجو قومه لما تخلوا عنه في حادثة رداد : (٢٥)

ولكنما قومي قماشة حاطب
يُجمّعها بالكف ، والليل مظلم (٢٦)

إن قومه من أرذال الناس مثل فتات الأشياء. سرع الشاعر الوصول إلى المشبه به بحذف أداة التشبيه ليصل بسرعة إلى المشبه به، وليوصل فكرة نقمته على قومه.

لقد حملت الصورة التشبيهية فكر الشاعر اللص وفلسفته. فكيف تجلى المجاز في شعره؟

- الصورة المجازية :

لقد برع الشاعر اللص في اللجوء إلى العلاقات المجازية، وأبدع صوراً حافلة بالإبداع والخيال الخصب؛ لارتباطها الشديد بالتجربة الشعرية لديه.

وقد تلتقي الاستعارة المجاز، لكنها فرع منه. فكل صورة استعارية مجاز، وليس العكس صحيحاً. يقول عبيد الله بن الحر الجعفي - وهو من الشعراء الذين كان لمذهبهم السياسي صلة بكونهم لصوصاً - : (٢٧)

فأقسمت لا تنفك عيني حزينة
وعيني تبكي لا يجفُّ سجومها

يبيت النشاوى من أمية نوماً
وبالطف قتلى لا ينام حميمها

لقد تغلغل الحزن في أعماق هذا الشاعر حين قارن بين حال الأمويين، وحال قتلى الطف، فاعتصر الألم قلبه. فإذا بعينه حزينة. لقد أسند الحزن إلى العين، والحزن في القلب. ولو فسرنا هذه الصورة على سبيل الاستعارة، وقلنا: إنه يشبه العين بإنسان حزين لما وصلنا إلى الخصيصة الجمالية في الصورة. فقد أعطاها المجاز بعداً عميقاً، فإذا بالعين تقطر حزناً، لا دمعاً فقط. وفي هذا اتساع في المعنى.

لقد بدت العين ذات مشاعر إنسانية. فلا يستهدف الحزن مشاعره فقط. إنما يستهدف كل جزء فيه حتى عينه. ومن أين لهذه الصورة هذا التأثير لولا المجاز الذي هدف إلى الاتساع في المعنى - كما يرى ابن جني - (٢٨)
يقول عبيد الله في موقع آخر : (٢٩)

ألم ترني حالفَ صفراءُ نبعةً لها ربيذٍ لم تُنمَّ معايلةً (٣٠)
أخو فلواتٍ حالفَ الجنَّ وانتفى من الإنسِ حتى قد تقصتِ وسائله

إن فكرة الحلف مهمة جداً في فكر الشاعر اللص. فقد عاش في صحراء قاحلة موحشة، فاضطر إلى مخالفة القوس. وقد أجبرنا أن نتخيل فكرة الحلف بين القبائل حفاظاً على الأمن والاستقرار من خلال مخالفته القوس. أما هو فحلفه من نوع آخر، ومن حالفهم ليسوا من بني جنسه. وفي هذا التصوير ما فيه من عمق الدلالة على القمع والاضطهاد اللذين عاناها. ولا يخفى ما للمجاز هنا من قيمة فنية عالية في مخالفة المؤلف وتحريك مشاعر المتلقي. ولولا إسناد الحلف إلى القوس والجن لما شعرنا بتلك المعاناة العميقة التي عاناها الشاعر اللص. وهاهو جدر يعبر عن جزء من معاناته في السجن قائلاً : (٣١)

إذا تحرك بابُ السجنِ قامَ له قومٌ يمدون أعناقاً وأبصارا

أسند الشاعر الفعل إلى غير الفاعل الحقيقي من خلال مجاز الإسناد. فمدّ الأعناق أمر طبيعي، أمّا مدّ الأبصار فله أثر إيحائي وجمالي، فأبصار السجناء تستطيل كلما تحرك باب السجن توقفاً إلى الحرية.

وفي مجال الاستعارة أبدع الشعراء اللصوص صوراً خالدة. فقد رأى أرسطو قديماً أن الاستعارة أعظم الأساليب^(٣٢). ففي الصورة الاستعارية ينتفي التمايز بين طرفي التشبيه، فيصبحان كلاً واحداً.

وهذا حُرَيْثُ بن عَنَابِ الطائي يحرك التراب النائم واليقظان خلال سيره في طريق اللصوصية قائلاً: (٣٣)

إذا نحن سرنا بين شرقٍ ومغربٍ تحرك يقظانُ الترابِ ونائمهُ

يعبر حريث عن شدة اعتداده بنفسه ورفاقه فإذا به يثير التراب حين يسير عليه، فيحرك يقظانه ونائمهُ. لقد شخص التراب، وأعطاه خصيصة حية. والتشخيص أفق إبداعى متميز يحطم العلاقات العادية بين الأشياء، ويبعث الحياة في الجوامد. فإذا بالشاعر يخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر، ويجني من الغصن الواحد أنواعاً من الثمر. (٣٤)

وللتشخيص فائدة معنوية فأي بأس يتمتع به ذلك الشاعر اللص لكي يستطيع تحريك التراب اليقظان والنائم. فليس التراب اليقظان والنائم هو المؤثر. إن المؤثر حركة الشاعر فوق التراب، تلك الحركة التي توقظ الغافي في الأرض لشدها. وعلى هذا يكون التراب اليقظان والنائم رسولاً يوصل رسالة من الشاعر، تعبر عن صلابته، وقوته، وتمسكه بمبدئه.

ويرى مالك بن الريب في الموت منهلاً يشرب منه ويعلّ، يقول: (٣٥)

ألا أيُّها الباغى البرازَ تقرَّبَينَ أساقبكَ بالطعنِ الغدافِ المقشِبِ (٣٦)

فأيُّ فتىً في الحربِ، والموتُ سيبه على شاربِيه، فاسقني منه واشربا

ودونكها نجلاء ينضح فرغها نجيعاً دماً من داخل الجوفِ مثعباً^(٣٧)
حباك بها من لا يصرّد كأسه إذا ماسقها من إلى الموتِ ثوباً
أخو غمرات لا يروّع جأشه إذا الموت بالموت ارتدى وتعصبا

يدعو الشاعر خصمه إلى البراز بنبرة تحدّ لكي يسقيه الموت الأسود. لقد جعل الموت شراباً يُسقى، واللافت استعماله الفعل أساقك الذي يحمل معنى المشاركة في الحدث بدلاً من الفعل أسقيك. فالسقى ستكون من الجانبين. وفي هذا الأمر إظهار لقوة الخصم، وبهذا يكون لتفوق الشاعر على خصمه لذة أكبر. وهذا الدم المتساقى ليس دماً عادياً. إنه دم مسموم، وهذا كله في مجال التخيل، دم يحمل الحقد والعداء والغضب الذي شكل الدافع لتساقى الدماء.

جعل الشاعر المتلقي يشاركه في استمتاعه بشرب دماء عدوه كالتساقى الذي يترع الكؤوس خمرأً، ويديرها على الشاربين مع أنه لم يصرّح بذلك تماماً. لكن الأثر الذي تتركه هذه الكأس في شاربها يشبه الأثر الذي يتركه سقياً دم الأعداء في نفس الشاعر. وهيهات أن يرتوي من تساقى هذا الشراب!

وربما عبر هؤلاء الشعراء عن لمحاتهم التأملية في الحياة من خلال صور استعارية جميلة. يقول يزيد بن الصقيل العقبلي: ^(٣٨)

إذا ما المنايا أخطأتك وصادفت حميمك فاعلم أنها ستعود

يرى الشاعر أنه إذا نجا من الموت، وأصاب مقتلاً من صاحبه فإن الموت عائد إليه لامحالة. إن هذه التأملات الفلسفية - على نزعة التقليد الواضحة فيها - وليدة تجربة في الحياة، وعمق فهم لها. فقد رأى الشاعر أن الموت هو نهاية الحياة وإن طال. فكان شعره أقرب إلى القلق الوجودي؛ لذلك نراه في حال حرب مع المنايا.

فقد تصيبه، وقد تصيب غيره. ولعل الشاعر قد استوحى الآية القرآنية ﴿ ولعل لكل أمة أجلّ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة، ولا يستقدمون ﴾ (٣٩) فلن يستطيع تحدي المنية؛ لأنها مقدره عليه.

ولعل أروع الصور التشخيصية تلك التي برزت في مجال الحنين إلى الوطن الذي أصبح بعيداً عن الشاعر. يقول الأحيمر السعدي: (٤٠)

أيا نخلاتِ الكرمِ لازالَ رائحاً عليكنّ منهلُ الغمامِ مطيرُ

إنه يدعو بالسقيا لوطنه، فأنزل نخلات الكرم منزلة الإنسان، مشخصاً إياها، ومجبراً المتلقي على أن يتخيل أن لها عقلاً يعي طلبه، وأذناً تسمع سؤاله. ومن أين للصورة هذا التأثير في الوجدان لولا تلك المخاطبة الرقيقة الحزينة لنخلات الكرم. تمثل هذه الاستعارة رغبة من الشاعر في عودة أيام الهناء في وطنه ومع أهله. ولعل الكناية تعبر عن موقف الشاعر اللصّ تعبيراً جميلاً؛ لأن فيها معنيين: قريباً وبعيداً. ومما لا شك فيه أن الشاعر يريد المعنى البعيد. وها هو الأحيمر السعدي يعلن تمردَه على واقع الفقر، ففي إعلانهِ لصوصيته تمرد على السلطة وقوانينها. يقول: (٤١)

وإنّي لأستحي من الله أن أرى أجرُّ حبلًا ليس فيه بغيرُ
وأن أسأل المرء اللئيمَ بغيره وبعرانُ ربي في البلادِ كثيرُ

إنه يستحي من الفقر لا من السرقة. ويعود هذا الأمر إلى أن للصوص موقفاً وسلوكاً مختلفين عن الإنسان العادي. كما أن له فهماً خاصاً لمسألتي الحق والصواب.

فالبعران كثيرة، وهو يبيح لنفسه أن يأخذ منها ما يشاء، وفي هذا الكلام إيحاء بحالة البؤس الاقتصادي الموجودة، ووضع حل لها هو اللصوصية.

وقد جمع أحد الشعراء اللصوص الاستعارة مع الكناية في صورة رائعة تصور إقدام اللص وإحجامه قائلاً: (٤٢)

تحجى مكانَ الخوفِ والأمنِ خاطرًا يشيرُ إلى الإحجامِ والموتِ فاغرُ
لم يشر الشاعر إلى القلب صراحة إنما كنى عنه مشيراً إلى أن خاطراً قد قام في نفسه. فقد تردد كثيراً بين أن يقدم، أو يحجم. والموت فاتح فاه .
وليس أروع من هذا الدمج بين الاستعارة والكناية لإيصال هذه الحالة الشعورية التي انتابته.

أما القتال الكلابي فيعلن أنه لن يصلح عدوه حتى يصلح راعي الغنم الذئب.
وفي هذه الكناية اختصار لمعان كثيرة في جملة مكثفة. والتكثيف سمة شعرية. يقول (٤٣):

وإني لعمرُ أبيهم لأصالحهم حتى يصلحَ راعي الثَّلَّةِ الذئبُ

فالفظة " إذا لم تأتك مصرحاً بذكرها، مكشوفاً عن وجهها، ولكن مدلولاً عليها بغيرها، كان ذلك أفخم لشأنها، وألطف لمكانها، كذلك إثباتك الصفة للشيء، وتثبيتها له إذا لم تلقه إلى السامع صريحاً، وجئت إليه من جانب التعريض والكناية، والرمز والإشارة، كان له من الفضل والمزية، ومن الحسن والرونق، ما لا يقلّ قليله، ولا يجهل موضع الفضيلة فيه." (٤٤)

لقد كنى الشاعر عن طول مدة عدائه لأعدائه. فلن يصلح حتى يصلح الراعي الذئب. وهذه معجزة. ومعنى هذه الكناية أن على أعدائه أن ينتظروا منه ألوناً شتى من الانتقام .

- الصورة السردية :

لقد عبر الشاعر اللص من خلال صورة يغلب عليها السرد عن فلسفته الخاصة في الحياة. ظهرت فيها ثنائية الجد/الهزل فأنت في كثير من الأحيان صوراً مضحكة، لكنه الضحك الذي ينبعث من الألم.

قال أعرابي وكان لصاً: (٤٥)

ثلاثُ خِلالٍ لستُ عنهنَّ تائباً وإن لامنّي فيهنَّ كلُّ خليلٍ
فمنهنَّ أني لأزالُ معانقاً حمائلَ ماضي الشفرتين صقيلٍ
ومنهنَّ سوقُ النهبِ في ليلةِ الدُّجى يحاربها في الليلِ كلُّ دليلٍ
ومنهنَّ تجريدُ الكعابِ ثيابها وقد مالَ جنحُ الليلِ كلَّ مميلٍ

لا تعتمد هذه الصورة على استقلالية البيت الشعري. فلا يكتمل المعنى من دون ذكر أركان الصورة كاملة. إنه لن يتوب عن ثلاث صفات، وإن وقع في الملامة، إنه سيعانق سيفه، وسيسوق ما نهبه من الإبل في الليل المظلم، وسيغامر مع النسوة. ولعل هذه الفلسفة قريبة - في بعض جوانبها - من فلسفة طرفة بن العبد في الحياة. قدم الشاعر هذه الصورة من خلال السرد، والاستعارة. وكان صوته الصوت الوحيد الذي ظهر في النص. وقد برز تحديد للزمان، وهو الليل حالك الظلمة. ففي الليل ستار يحمي اللص. ولعل حركة الشخصية ضمن هذه الصورة تقتضي تكثيفاً لغوياً كبيراً. فقد أوجز ما أراد من خلال أبيات شعرية ثلاثة، أكد في البيت الثاني استمراره في استعمال سيفه في مجال الدفاع عن نفسه، وتحصيل رزقه عن طريق اللصوصية. وأكد في البيت الثالث استمراره في طريق اللصوصية، وفي البيت الرابع تكلم على المرأة، فهي تشكل عالم اللذة بالنسبة إليه. لقد تكلم الشاعر على ما يمتعته في الحياة، لكنها المتعة الظاهرة التي تخفي وراءها الألم.

لقد حُبس الشاعر أبو الطيلسان، وحبس معه حماره، فقال: (٤٦)

أيّ جريرةٍ حُبسَ الحمارُ أيّ أهلِ المدينةِ خَبروني
وما بالعيّرِ إن ظلمَ انتصارُ فما بالعيّرِ من ظلمِ إليكم

تؤدي هذه الصورة الساخرة مهمتين: مهمة إمتاعية مضحكة، ومهمة انتقادية لأصحاب السلطة الذين يفرحون بظلم الحمار. وهذا الحوار من جانب واحد يعبر عن شخصية المبدع التي تميل إلى التهكم والسخرية. وكانت هذه حال أغلب الشعراء اللصوص. فقد مالوا إلى الظرف والإضحاك. فإن حبس الشاعر لجريرة ارتكبها فما ذنب الحمار!؟

وقد ترد في أشعارهم قصة متكاملة الأركان كنتك التي أوردها مالك بن الربيع في قصة قتله العبد أفلح، وكان قد دهمه في الليل فانتفض مدافعاً عن نفسه فأرداه قتيلاً بسيفه. يقول: (٤٧)

أدلجتُ في مَهْمَةٍ ما إن أرى أحداً	حتى إذا حانَ تعريسَ لمن نزلا
وضعتُ جنبِي وقلتُ : الله يكلؤني	مهما تنمَ عنك من عينٍ فما غفلا
مانمتُ إلا قليلاً نمتهُ شَنزراً	حتى وجدتُ على جثمانِي الثقلا
لما ثنى الله عن شر عدوته	وأمرتُ لامُستياً ذعراً ولابعلا (٤٨)
أدفعتُ ثاري وما أدري إذا لبد	يغشي المهجج عض السيف أورجلا
من يشهد الحرب يصلها ويسعرها	تراه مما كسته شاحباً وجلا
خذاها فإن لضراب إذا اختلفت	أيدي الرجال بضرب يختلي البصلا

يتصاعد الحدث في هذه القصة شيئاً فشيئاً معتمداً على عنصر التشويق إلى أن يصل إلى الانفراج بخلص الشاعر من العبد أفلح.

وفي هذه القصة شخصيتان. فثمة شخصية الشاعر، وشخصية العبد أفلح ويظهر فيها صوت الشاعر الذي أسهم في تصعيد الحدث، ورسم الشخصية. وفيها تحديد

للزمان والمكان. إن أسلوب القص هذا يبتعد بالقصة عن الخطابية إلى السردية
التقريرية. وتنتهي القصة بانتصار الشاعر، وحصوله على ما أراد.

- الصورة الإيحائية :

يعدّ الإيحاء سمة شعرية مهمة يتجلى في الشعر في أشكال عدة. ولا يظهر
الإيحاء في المفردة الشعرية إلا من خلال ارتباطها بما سبقها، وما تلاها. ويذكرنا
هذا الكلام بنظرية النظم لدى الجرجاني. (٤٩)

قال مسعود بن خَرَشَةَ المازني التميمي، وكان قد طلبه والي اليمامة، فلجأ إلى
موضع فيه ماء وقصب. (٥٠)

ألا لبيت شعري هل أبيتنَّ ليلةً بوعثاءَ فيها للظباءِ مكانس

وهل أنجُونُ من ذي لبيد بن جابر كأن جناتِ الماءِ فيه المُجالسُ

وهل أسمعَنَ صوتَ القطاِ تندبُ القطاِ إلى الماءِ منه رابعٌ وخوامس

يسأل الشاعر نفسه هل يعود إلى دياره في أرض وعرة تأوي إليها الظباء؟
وهل ينجو من هذه البلاد ذات المستنقعات التي لا يجد فيها أنيساً، ولا جليساً غير
الضفادع والأسماك؟ وهل يسمع أصوات القطا تندب القطا؛ لكي ترد إلى الماء بعد
أربع أو خمس ليالٍ؟

إن ورود القطا إلى الماء يحمل دلالة إيحائية مرتبطة بسياق النص، ويهدف
الشاعر. فعطش القطا إلى الماء هو عطش الشاعر إلى أهله؛ لذلك تمتلئ نفسه حزناً
لبعده عنهم. ونلاحظ استخدام الشاعر لفظ تندب بدلاً من تنادي مع ملاحظة الحزن
الذي يرتبط بالفعل ندب. فالندب صورة مرتبطة بالفقد. من هنا غدت القطا معادلاً
موضوعياً للشاعر. فقد أثقلته هموم الدنيا، وتمنى العودة إلى بلاده.

ونلاحظ أن للظباء دلالة سلمية . ربما كان السلام الذي يفقده الشاعر في حياته .
وعلى هذا توحى الظباء بالسلام الذي يتمناه، وتوحى القطا وهي تنذب القطا بالحزن
الذي يملأ نفسه.

ولالألوان دلالات إيحائية متعددة. وقد يكتسب اللون الواحد عدة دلالات تختلف
حسب السياق الشعري. فها هو جدر المحرزي يرى أن سجن البيضاء قد جعل
نهاره أسود.^(٥١)

أقول للصَّخَبِ في البِيضاءِ دونكم مطلةٌ سوَدَّتْ بيضاءَ أقطاري
مأوى الفتوةِ للأندالِ مُدْ خُلقتْ عندَ الكرامِ محلُّ الذلِّ والعارِ

تضاد الألوان هذا يعطي قيمة إيحائية للصورة الشعرية. وقد استغل اسم السجن
فنياً، فسجن البيضاء جعل يومه أسود. وتتداخل هنا دلالات الألوان. فسجن البيضاء
لا يحمل من معاني البياض إلا اسمه، وما يحتويه مناقض لمعنى اللون الأبيض؛
لذلك جعل نهاره أسود. والسواد هنا يعطي دلالات إيحائية متعددة. ففيه العذاب،
وفيه الحزن، وفيه الألم النفسي والجسدي. وفي هذا الطباق عن طريق اللون
محاكمة عقلية، واستنتاج للمعنى على وفق قياس عقلي. ولولا وجود اللون الأبيض
لما شعرنا بالبعد القوي للون الأسود.

قال المرار بن سعيد الفقعسي، وقد سارت نوقه في الصباح بعد أن قطعت الليل،
وطوته، وهي تخضب الحجارة بدمائها، وتكسر الحصى: ^(٥٢)

تساورُ حدَّ الضحى بعدما طوت ليلها مثل طيِّ الرداء
تعادي نواحي من قبصها عن المروِ تخضبه بالدماء^(٥٣)
كان الحصى حين يتركنه رضيعُ ندى القسب بين الصلاء^(٥٤)

تتخضب مناسب هذه النوق بالدماء، والدم ذو لون أحمر. وربما كان للون الأحمر دلالة ثورية على من يحرمه العيش بسلام، ويضطره إلى امتحان السرقة وسيلة للعيش. وربما أوحى سير النوق في هذه الطريق الصعبة بسير اللص الشاعر في طريق اللصوصية والثورة. فالتمرد يوحى بالثورة والنضال للوصول إلى الهدف. كما أن الحصا الذي يتكسر تحت مناسبها لا يوحى بالقوة والصلابة الموجودين في هذه الناقاة بقدر ما يوحى باضطرابها النفسي الذي جعلها تكسر الحصا في أثناء سيرها فوقه. وما هذا الاضطراب في السير إلا صورة عن اضطراب صاحبها، وانفعاله.

أما الحمام فقد أكثر الشاعر اللص من الحديث عنه، وقارن بين حاله في القيد، وحال الحمام الحر. يقول جحدر المحرزي: (٥٥)

ومما هاجني فازددت شوقاً	بكاء حمامتين تجاوبان
تجاوبنا بلحن أعجمي	على غصنين من غرب وبان
فأسبلت الدموع بلا احتشام	ولم أك باللئيم ولا الجبان
وقلت لصاحبي: دعا ملامي	وكف اللوم عني واعذراني
فكان البان أن بانن سلمي	وفي الغرب اغتراباً غير داني

ترتبط الصورة الإيحائية بالتجربة الشعورية. فصورة الحمام مرتبطة بصورة الفقد. لقد أتعبت تجربة السجن شاعرنا، وشغلته. فإذا به يجد في نوح الحمام معادلاً للحزن الذي سكنه. كما أنه استخدم الأسلوب العقلي، فاشتق من البان الذي تقف عليه الحمامة بيناً، ومن غصن الغرب اغتراباً. فتشاعم من هذين الغصنين، وأوحت الحمامتان بحزن عميق.

ولعل جحدر قد عبر من خلال الصورة الإيحائية عن رأيه في التملك قائلاً: (٥٦)

وإن امرأ يغدو وحَجْرٌ وراءه وجَوْ ، ولا يغزوهما لضعيفُ
إذا حَلَّةٌ أبلتُها ابتعتُ حَلَّةً كساني بها طوع القيادِ عليفُ
سعى العبدُ إثري ثم ردةً تذكرُ تنورٍ له ورغيفُ

لا يرتبط اللص بملكية خاصة؛ لأنها تقيدته. فهو يفخر بلصوصيته، ويسخر من سكان القرى؛ لأنه يحصل منهم على ما يريد. إنهم يخافون على أنفسهم وممتلكاتهم. أما هو فلا يملك ما يخاف عليه. والعبد الذي يسعى وراءه يتذكر التنور والرغيف فيرتد. أما هو فلا تقيدته ملكية خاصة، وفرسه مثله فرس عليف يأكل مما تؤمنه له غارة صاحبه.

لا تتولد هذه الدلالات الإيحائية إلا من خلال تفاعل هذه المفردات مع السياق الشعري. أما تصوير الشاعر اللص محالفته وحوش الصحراء، وعزلته فيها فيوحي بما في حياته الاجتماعية من سوء دفعه إلى الفقر والتشرد ومصاحبة الحيوان الوحشي.

قال الأحمير السعدي: (٥٧)

أراني وذئب القفرِ إفين بعدما تداني كلانا يَشْمُزُّ ويذَعْرُ
تألفني لما دننا وألفته وأمكنتني للرمي لو كنتُ أغدرُ
ولكنني لم يَأْتَمُنِّي صاحبٌ فيرتابَ بي ، مادامَ لا يتغيرُ

لم يستطع محالفة بني جنسه من البشر، فلجأ إلى محالفة الوحوش. توحي هذه الصورة بالحزن العميق الذي تملكه لعدم قدرته على محالفة بني جنسه، كما توحي بحال التشرد التي عاناها، وتظهر عكس ما تبطن. إنها تظهر جرأته، وقدرته على محالفة الوحوش، وتوحي بحزنه العميق، وانكساره الداخلي، وتضعنا في جو إيحائي

آخر هو جوّ المقابلة بين الشاعر والذنب. فقد تألفه لما دنا، وألفه. وهنا يصل الشاعر إلى قمة الحزن. فكيف استطاع أن يآلف الذنب، ولا يآلف بني جنسه؟! ولجأ الشاعر اللص إلى ما يشبه المثلّ مكثفاً الحالة الشعورية، ومختصراً كلاماً كثيراً في جملة صغيرة. فالتعبير بهذه الطريقة تعبير شديد الإيحاء؛ لأنه يعطي معاني كثيرة في ألفاظ قليلة ضمن سياق شعري ما. فالأمثال هي " الطرق إلى المعاني المحتجبة في الأشعار حتى تبرزها، وتكشف عنها، وتصورها للأفهام." (٥٨) فحين هجا فضالة بن شريك الأسدي آل الزبير قال: (٥٩)

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لآحياة لمن تنادي

وهذه العبارة يمكن أن تجري مجرى المثل، وفيها إيلاء للمهجو، وتقليل من شأنه. فلو عدّ من الأحياء لفهم طلب الشاعر. وربما أبعده المثلّ الشاعر عن الخوض في التفاصيل، والفحش في القول. فاستعماله عبارة " لآحياة لمن تنادي " في مجال الهجاء أفاده في إيصال معانٍ كثيرة في جملة قصيرة .

وللرمز نصيب في شعر اللصوص. والرمز تعبير فني شديد الإيحاء؛ لأن المفردة التي توضع ضمن سياق لغوي تتفتح على دلالات متعددة لاتدرك إلا بالتأويل. فقد ورد المشهد الطللي بشكل ضئيل لدى هؤلاء الشعراء؛ لأنهم لم يحيوا حياة عادية لينتجوا شعراً كغيرهم من الشعراء. فغلبت المقطوعات على أشعارهم. إن صورة الطلل رمز الحنين إلى الوطن حيث كانت المرأة التي يحب، والأهل. يقول جحدر: (٦٠)

يادارُ بين بُزَاخَةٍ فَكثِيبِهَا فليسوى غُبَيْرَ سَهْلِهَا أَوْ لَوْبِهَا
سَقَتِ الصَّبَا أَطْلَالَ رُبْعِكَ مُغْدِقاً يَنْهَلُ عَارِضُهَا بَلْبَسَ جُيُوبِهَا^(٦١)
أَيَّامَ أَرَعَى الْعَيْنَ فِي زَهْرِ الصَّبَا وَثَمَارَ جَنَاتِ النِّسَاءِ وَطَيْبِهَا

يخاطب الشاعر ديار الحبيبة، ويعدد الأماكن التي أصبحت مسارح للذكرى حيث كان ينعم بالأمان بين أهله، فيدعو لدياره بالسقيا، ويرغب في عودة تلك الأيام من جديد. ولعل الصورة الرمزية مرتبطة ارتباطاً قوياً بالرؤيا. فالشاعر في لوعيه يتمنى لو تعود تلك الأيام الجميلة ذات الودّ والصفاء. ولعلنا لانعدو الحقيقة إذا قلنا: إن رؤيا الشعراء اللصوص قد انكفأت إلى الوراء، فتمنى الشاعر عودة الأيام الماضية. فارتباط الصورة الرامزة بالرؤيا لدى هؤلاء الشعراء يعطيها صفة شديدة الإيحاء، ويوسع أفقها. وهنا يغدو الماء المغدق الذي يريده الشاعر؛ ليسقي ظله رمز التطهير النفسي. فالمطر سيغسل كل شيء، وسيريح نفس الشاعر المضطربة. والصراع الذي يعاينه صراع داخلي، وخارجي، والتطهير تطهير نفسي. فلا يمكن أن ننظر إلى المقدمة الطاللية على أنها تقليد شعري فحسب. لقد قدم الشاعر من خلال هذا التقليد الشعري أفكاره الخاصة. ولو كانت تقليداً شعرياً فقط لغدت نمطاً مكرراً فارغاً من أي محتوى فكري، وفني. ويحنّ تليد الضبّي إلى أيام اللصوصية قائلاً: (٦٢)

يقولون : جاهر يا تليد بتوبة وفي النفس مني عادة سأعوذها
ألا ليت شعري : هل أقودن عصابة قليلاً لرب العالمين سجودها
ويقول: (٦٣)

تبدلت من سوق الأباغر في الضحى ومن قنص الغزلان بني المساجد
فأصبحت قد أحدثت لله توبة وخير عباد الله في زي عابد
على أن في نفسي إلى البيض طربة وأني، قد أهوى ركوب الموارد (٦٤)

إن لديه رغبة في العودة إلى حياة اللصوصية بعد توبته حين كان يقود عصابة من اللصوص. لقد أحب العودة إلى شأنه القديم، فرمز لما في حياته القديمة من لذة وبهجة بالبيض، واشتاق إلى ركوب المخاطر والأهوال. إن ابتعاده عن البيض الحسان رمز لما في حياته من بؤس وحزن، ورغبته في

العودة إليهن رمز للعودة إلى الحرية. وعلى هذا تحمل البيض الحسان، وركوب الأهوال الحياة والموت معاً. وبهذا يتخطى الرمز الواقع، وينظر إلى المستقبل ما يعني أنه يرفض الواقع، ويحلم بتخطيه .

وقد يتعلق الرمز بشخصية نسائية تتكرر في شعر هؤلاء الشعراء. فلا تكون امرأة حقيقية، إنما تكون رمزاً إلى شيء ما. يقول السمهري بن بشر: (١٥)

الأحيى ليلى ، إذ ألمّ لمامها وكسان مع القوم الأعاديّ كلامها (١٦)
تعلّل بليلى ، إنما أنت هامة من الغد ، يدنو كل يوم حمامها
وبادر بليلى أوبة الركب ، إنهم متى يرجعوا يحزم عليك لمامها
وكيف تُرجيها ، وقد حيل دونها وأقسم أقوام مخوف قسامها (١٧)

تغدو ليلى في هذه الصورة رمزاً لحياة اللذة، واللهو التي يريد الشاعر أن يحيها. فإنه غداً ميت لامحالة؛ لذلك يسارع إليها رغبة منه في الوصول إلى اللذة والراحة. وكيف السبيل إلى ليلى، وقد تباعدت المسافة بينهما؟ وهنا أيضاً نجد علاقة بين الرمز، والرؤيا. إذ يتمنى العودة إلى الماضي؛ لأن المستقبل في نظره معتم، حافل بالرعب. فليعد إلى ليلى، رمز اللذة، والسعادة، والعطاء. لقد غدت ليلى متنفساً لحياة الشاعر القاسية لكنها تبدو متمنعة على الرغم من طلب الشاعر أن يتعلل بها. مما لا شك فيه أن صورة ليلى صورة رامزة، وليست صورة حقيقية. وإذا تتبعنا سائر القصيدة نجده يصورها امرأة بيضاء، لعوباً، خريده، أتاه طيفها وهو في قيده، فتمنى أن يعيش معها بغبطة. إنها مغرية مثل الحياة، لكنها صعبة المنال مثل كل شيء تمناه في هذه الحياة. إن للفن طبيعة رمزية. وليلى رمز يتكرر لدى الشعراء. فالمرأة في شعر هؤلاء الشعراء مصدر راحة، ولكنها بعيدة. والصورة " إذا عاودت الظهور بإلحاح كتقديم، وتمثيل على السواء فإنها تغدو رمزاً ". (١٨)

ولعل الشاعر في رؤياه يبدو أسير الماضي، والحاضر. أما المستقبل فيبدو معتماً، لا يرى الشاعر أمامه سوى الموت؛ لذلك يفضل العودة إلى الماضي لينشد الراحة التي يفتقدتها في حاضره.

- علاقة الصورة بالإيقاع النغمي لدى الشعراء اللصوص :

الإيقاع حركة زمانية مرتبطة بالحركة والحياة؛ لذلك يحمل تأثيراً نفسياً، يضيف على الصورة قيماً نفسية وجمالية خاصة. وللإيقاع علاقة بالمضمون مع أنه ناتج من الشكل. فهو تشكيل نفسي بالدرجة الأولى.

ففي الطباق على سبيل المثال علاقة ضدية بين أمرين، وثنائية واضحة تظهر المعاناة التي عاناها اللصوص في مجتمعهم. ويقوم على أساس فكري قدم الشعراء من خلاله موقفهم الخاص من الحياة. فلا يشتد تأثير الأمور إلا حين تقرن بأضدادها.

قال عبید الله بن الحرّ الجعفي: (٦٩)

إذا أخذتْ كفي بقائمٍ مرهفٍ وكان قصيراً عاداً وهو طويلُ

عبر الشاعر عن قصر السيوف، ومدّ الأيدي بها بالجمع بين نقيضين. ومن شأن الجمع بين المتناقضات أن يولد إيقاعاً خاصاً في الصورة. فقد أراد الجعفي أن يفخر بحسن قتاله، وقدرته على النيل من عدوه، فعبر عن هذه الفكرة بالجمع بين النقيضين.

وفي التقسيم مراعاة واضحة للجانب الإيقاعي في الصورة. يقول الأحمير السعدي: (٧٠)

فلليلٍ إن وارانِي الليلِ حكمُهُ وللشمسِ إن غابتْ عليّ نذورُ

إن اجتماع الطباق والتقسيم جعل الصورة نشيطة إيقاعياً. فنتشابه حياة اللص الحافلة بالحركة مع إيقاع صورته. فإيقاع الصورة انعكاس لإيقاع الحياة. والتقسيم في البيت رفع وتيرة الإيقاع لاسيما أن المتطابقين يتصدران شطري البيت. ما أعطى البيت نوعاً من التناظر.

استطاع بعض الشعراء اللصوص أن يوجدوا وحدة إيقاعية ضمن النص الشعري من خلال التركيب المتماسك، والقدرة على التعبير. وما هو هفوان العقيلي يأمر صاحبيه ألا يتأخرا لنلا يدركهما الطلب، فيقول: (٧١)

لاتخبزا خبزاً وبُسّاً بَسّاً (٧٢)

مَلَساً بَذُودَ الحَمْسَى مَلَساً (٧٣)

نومتُ عنهنَّ غُلاماً جِيساً (٧٤)

أضعفَ شيءٌ مُنَّةً ونَفْساً

وقد تَعَطَّى فروةً وحِيساً (٧٥)

من غُدوةٍ حتى كأنَّ الشَّمْسُ

بالأفقِ الغربيِّ تَطَلَّى ورسا

لأتوقدا ناراً وبُسّاً بَسّاً

في قصعةٍ ولاتمسا عُساً (٧٦)

واتخذها للعدوِّ تُرساً (٧٧)

مُخالساً غُساً وطعناً دَغْساً

إن هدير حرف السين ظاهرة تفوقها حركة نفسية داخلية. تتساب الحركة الإيقاعية مع هدير حرف السين في الصورة الكلية، وتتجلى مع تكرار بعض الكلمات مثل بُسّاً بَسّاً مع وجود الجناس. فتتكرر الكلمة أو ما يشابهها مع القافية التي تأتي مع حرف السين المطلقة لتكشف عن القلق الذي يعترى نفس هذا الشاعر. إنه يوصي رفاقه أن ينبهوا، ولا يتأخروا. ويتكرر الجناس مع تكرار السين راسماً

هندسة إيقاعية تقوم على صفير السنين المكررة في كل شطر مرة، أو أكثر، فتشكل هذه الأبيات وحدة إيقاعية متناغمة. ولعل الظاهرة المثيرة للاهتمام لدى هؤلاء الشعراء ظاهرة التقديم والتأخير. فقل أن نجد صورة لا تبدو فيها هذه الظاهرة. ولعلها مرتبطة بنفسية اللص المضطربة. فقد قدموا مامن حقه التقديم في نفوسهم؛ لتخصيصه، وزيادة الاهتمام به. يقول مرة بن محكان: (٧٨)

ولست - وإن كانت إليّ حبيبة - بياك على الدنيا إذا ما تولت

فلا شيء يدعو إلى التعلق بهذه الدنيا. إن عمق إحساسه بالغبية عن مجتمعه جعله يرفض التمسك بها. وقد فصل الشاعر بين اسم ليس، وخبرها بالجملة الشرطية المعترضة. ولعل هذه الخلطة التركيبية للجملة قد ولدت خلطة على المستوى الإيقاعي. فالتشكيل الإيقاعي تشكيل نفسي بالدرجة الأولى. " إن ثمة لذة شعرية رائعة في الحركة النفسية الإيقاعية للكلمات ومقاطعها. لكن هذه اللذة مشروطة بكون هذه الحركة آتية في مدٍّ من تفجرات الأعماق. وإلا تحولت إلى رنين صناعي بارد أجوف ". (٧٩)

إن جملة الشرط الواردة في البيت الأول أتت جوابها محذوفاً، دل عليه السياق. والتركيب الشرطي تركيب يشد المتلقي، ويجعله مثلها لسماع الجواب. ومن ثم يرتفع الإيقاع مع فعل الشرط، ويهبط مع الجواب. فالأصل أن يقول: لست باكياً على الدنيا وإن كانت إليّ حبيبة. لكن خلطة النسق اللغوي جعلتنا نشعر أن الجملة الشرطية أنت اعتراضية، وأحدثت انقطاعاً في الإيقاع بين ماسبقها وماتلاها. وفي الوقت نفسه حرّضت المتلقي على توقع الجواب، فأحدثت إيقاعاً عالي النبرة في شد المتلقي لسماع الجواب من جهة، وفي تخلخل الجواب في الجملة المعترضة من جهة ثانية، وفي تأخير خبر ليس، وزيادة تلهف المتلقي لسماعه. ومن ثم زيادة حدة الإيقاع حتى يصل إلى الخبر من جهة ثالثة.

ويتناغم الإيقاع هنا مع الإيقاع الخبري. ففي الإيقاع الخبري تكون الحركة بسيطة، متسلسلة. لكن في هذا البيت أصابها بعض الانقطاع في الجملة المعترضة.

فيرتفع الإيقاع مع بداية الشطر الشعري، ونفي الحدث عن النفس (لست) ما يحفز انتباه المتلقي لتلقي الخبر، فيصيبه الانقطاع مع الاعتراض. لكن هذا الاعتراض حمل ارتفاعاً إيقاعياً من نوع آخر بدأ مع الشطر، وبقي مرتفعاً؛ لأن فهم جوابه متوقف على السياق. ثم ارتفع الإيقاع أكثر مع الجملة الخبرية؛ ليستقر في نهاية البيت، فاکتمل المعنى بين اسم ليس وخبرها من جهة، و فعل الشطر وجوابه المتوقف فهمه على السياق من جهة أخرى.

وللتذكير إيقاع مميز في أشعارهم. إنه يرتبط بالصورة الشعرية من خلال حمله إيقاعات عدة. فينطلق المتلقي إلى آفاق شعرية واسعة، وحافلة بالغموض. أما التنوين الذي يرافق التذكير فيعطي إيقاعاً نغمياً قوياً خصوصاً عندما يتكرر التنوين في الشطر الشعري الواحد. يقول دوير بن دؤالة العقيلي يصف حال اللص: (٨٠)

أسجناً وقيداً واغتراباً وعُسرةً وذكرى حبيبٍ؟ إنَّ ذا لعظيمُ

إن تكرار التنوين في البيت ولد إيقاعاً غنياً عكس شدة الاضطراب النفسي الذي يعيش فيه هذا الشاعر. فقد حرم، بسبب لصوصيته، من كل شيء. فإذا به يعاني السجن، والقيد، والغربة النفسية، والحسرة. وفوق ذلك كله تأتي ذكرى حبيبته؛ لتجعل من معاناته معاناة لحدود لها. وثمة جانب إيقاعي آخر يضاف إلى هذا الجانب هو الإيقاع الصادر عن الإنشاء. فقد خرج الاستفهام إلى غرض بلاغي، فرفع من وتيرة الإيقاع من بداية البيت إلى نهاية الاستفهام. ويعكس هذان الأسلوبان الأزمة النفسية للشاعر، والمشاعر المختلطة التي ترافقه. فالإيقاع في هذا البيت متنوع بين ارتفاع وهبوط.

وبعودة إلى الصور البيانية من تشبيه، واستعارة، وكناية نجد أنها تنطوي على جوانب إيقاعية؛ إذ يقوم التشبيه على أساس المقارنة بين أمرين في صفة ما. فمن خلال الموازنة أو التناظر بين المشبه والمشبه به تتوافر عناصر إيقاعية معينة. ف "مما يزداد به التشبيه دقة وسحراً أن يجيء في الهيئات التي تقع عليها الحركات." (٨١) لكن هذه الحركة الإيقاعية محدودة؛ لأن المقارنة بين طرفي التشبيه تحد من حرية الحركة الإيقاعية، ومن أفقها. قال سارية بن زُئيم الدولي معتزلاً إلى النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - وكان بلغه أنه هجاه، فتوعده. (٨٢)

تَعَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ أَنْكَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ حَيٍّ مِنْ تِهَامٍ وَمُنْجِدٍ

تَعَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ أَنْكَ مَدْرَكِي وَأَنْ وَعِيداً مِنْكَ كَالْأَخْذِ بِالْيَدِ

إن ثمة علاقة تشبيهية بين طرفين مختلفين، متفقين أثراً. فثمة طرفان، وثمة حركة إيقاعية ناجمة عن التناظر بين هذين الطرفين. لكن هذه الحركة محدودة. ووجود الأداة يبيّئ الحركة الإيقاعية. كما أن الصورة التشبيهية لاتعطي مجالاً للتخيل؛ لأنها تحصر الصورة في طرفين. أما الاستعارة فتقوم على تفجير طاقات اللغة. فإذا بهذين الطرفين ينصهران، ويبدوان كلاً واحداً. مع أن هذا التوافق وهمي. يقول عبيد بن أيوب العنبري: (٨٢)

أَذْقَنِي طَعْمَ الْأَمْنِ أَوْ سَلْ حَقِيقَةً عَلِيٍّ ، فَإِنْ قَامَتْ فَفَصِّلْ بِنَانِيَا

تدمج الاستعارة العناصر، وتوحيدها. فقد اندمج الطرفان في هذه الاستعارة ما أحدث حركة دلالية معينة، وحركة إيقاعية متناغمة مع الحركة الدلالية. فالحركة في الاستعارة أنشط من الحركة في التشبيه؛ فلا طرفان ولا أداة تشبيه. ولعل وتيرة هذا الإيقاع تزداد حين ننظر إليه من خلال ارتباطه بالسياق الشعري. فقد بدأ البيت بفعل الأمر الذي يهيء المتلقي لفعل طلب ما، فتنشط الحركة الإيقاعية. وتلتها الاستعارة (طعم الأمن) بإيقاعها النغمي النشط، تلاه إيقاع الفصل (أو سل حقيقة) وفي هذا الفصل انقطاع في الإيقاع. لكنه ينهي الشطر الأول بتكوين نصب يسمح له بإفراغ شحنته العاطفية التي تتناغم مع التكوين. فإذا بهذا التكوين يساعد الشاعر على أن يفرغ معاناته وألمه. فقد وقف عند التكوين مع أن الجملة لم يكتمل معناها. لكنها محطة تريحه من خلال صدق التكوين المتناغم مع الصدق النفسي لديه. إنه يطلب التحقيق في جرائمه. فإما أن يعاقب إذا ثبتت عليه الجريمة، وإما أن يعفى عنه، فيذوق طعم الأمن. وفي الجملة الأخيرة (فإن قامت ففصل ..) انقطاع إيقاعي عن الجملة السابقة. وكأنه أراد الفصل بين الحالين حين يتم التبين من حقيقة السؤال. والجملة الأخيرة تحدث انقطاعاً إيقاعياً. لكنه تولد في نفسه الآن إيقاعاً

خاصاً بها. إذ يرتفع الإيقاع مع فعل الشرط، ويهبط مع جوابه لنصل إلى مستوى إيقاعي محدد في نهاية البيت بعد أن ارتفع مع فعل الشرط .
صحيح أن النص الشعري مكون من مجموعة من الصور الجزئية لكنها تندرج تحت صورة واحدة هي الصورة الشاملة؛ لأن التجربة الشعرية واحدة في النص الشعري. فتتداخل العلاقات الإيقاعية مع الحالة النفسية للشاعر، وتظهر الصورة الشاملة في القصيدة، وليست الصورة الجزئية وحدها، إن العمل الكامل الذي يتصف بالحيوية والنمو" يكون بربط أجزاء الصورة الكلية فيما بينها بعلاقات عضوية حية نابعة من وحدة الشعور المسيطر على التجربة الوجدانية." (٨٤)

- خاتمة :

لقد حمل شعر اللصوص جوانب فكرية واضحة، وعبر عن طبقة مسحوقة في المجتمع ربما لم يلتفت إليها غيرهم من الشعراء. فحملت صورهم وفهمهم الخاص للحياة، ولمسألة الحق والصواب، وجددوا في طرائق التعبير فأبدعوا صوراً ظلت تشدنا إلى يومنا هذا. وقد اعتمدت صورهم على الثنائية الضدية التي عكست تناقضات الواقع الذي عاشوا فيه. فظهرت على سبيل المثال، ثنائية الجد / الهزل فقد سخروا، وأظهروا الروح الفكاهية. حتى في المواقف الجدية.
وأكثرها من استخدام أداة التشبيه (كأن)؛ لأن معاناتهم جعلتهم غير قادرين على الحكم على الأمور بشكل يقيني.
وفي الاستعارة أبدعوا استعارات رائعة، وبرعوا في مجال التشخيص؛ لأنه يعتمد على أسنة الجوامد. وربما كان الإنسان أشد ما اهتموا به.
وقد اقترن التصوير الحسي لديهم بالتصوير النفسي، فلم يصفوا شيئاً وصفاً خارجياً. لقد خلعوا عليه مشاعر إنسانية.
أما الرؤيا فقد ارتبطت بالرمز، وانكفأت إلى الوراء؛ لأنهم ظلوا أسيري الحاضر والماضي. وقد اقترنت نظرتهم إلى المستقبل بالسوداوية.
وقد اتسمت صورهم بجوانب إيقاعية غنية عكست غنى الأحداث التي مرت في حياتهم.

الهوامش

- ١- الجاحظ، عمرو بن بحر: ١٩٦٩ ، الحيوان - ط٣ - حقه وشرحه عبد السلام هارون - المجمع العلمي العربي الإسلامي - بيروت - ج٣/١٣٢
- ٢- الجرجاني، عبد القاهر: ١٩٧٨ ، دلائل الإعجاز في علم المعاني - دار المعرفة - بيروت - ص ٦٤ .
- ٣- الجرجاني، عبد القاهر: ١٩٧٨ ، أسرار البلاغة في علم البيان - دار المعرفة - بيروت - ص ١٢٧ .
- ٤- ينظر: ناصف، د.مصطفى: ١٩٨١ ، الصورة الأدبية - ط٢ - دار الأندلس - بيروت - ص ١٤١ .
- عساف، د.عبدالله: ١٩٩٦ ، الصورة الفنية في قصيدة الرؤيا - ط١ - دار دجلة القامشلي - ص ٤٣ .
- ٥- عبد الرحمن، د.نصرت: ١٩٧٦ ، الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث - مكتبة الأقصى - عمان - ص(١٩٧-١٨٦) .
- ٦- ناصف، د.مصطفى: الصورة الأدبية ، ص ٥ .
- ٧- عبد الله، د.محمد حسن: دت ، الصورة والبناء الشعري - دار المعارف - مكتبة الدراسات الأدبية - ، ص ٤٩ .
- ٨- البطل، د.علي: ١٩٨٠ - الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري - دار الأندلس بيروت - ص ٣٠ .
- ٩- دهمان، د.أحمد: ١٩٨٦ ، الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني (منهجاً وتطبيقاً) - ط١ - دار طلاس - ج١ / ٣٠٠-٢٩٩ .
- اليافي، د. نعيم: أوهاج الحداثة - ط١ - منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق - ص ١٧١ . ١٠- المائدة : ٣٨ .
- ١١- الملوحي، عبد المعين: ١٩٩٣ ، أشعار اللصوص وأخبارهم - ط٢ - دار الحضارة الجديدة - بيروت - ج٦/٧٠٩ .

- ١٢- أشعار اللصوص وأخبارهم - ط٢- دار الحضارة الجديدة - بيروت - ج٢/ب٢
 ١٨٨/ .ويقصد الشاعر بساكنها ساكن السجن . ||١٣- نفسه : ج١/٥/١٠٦ .
- ١٤- الأصهبهاني، الراغب: د.ت ، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعر و البلاغ -
 منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - ج٣/١٩١ .
- ١٥- أشعار اللصوص وأخبارهم: ج٢/١٠/٣٠ . ||١٦- أسرار البلاغة ، ص ١٠٩ .
- ١٧- أشعار اللصوص وأخبارهم: ج١/٦-٤٤/٧ . ||١٨- أسرار البلاغة ، ص ١٠٩ .
- ١٩- أشعار اللصوص وأخبارهم: ج٢/١-٢٥٩/٣ . ||٢٠- نفسه : ج٢/١-٢٨٢/٣ .
- ٢١- نفسه : ج٢/١-٢-٣ / ٢٣٣-٢٣٣ . ||٢٢- نفسه : ج١/٥-٦٥٧/٢ .
- ٢٣- نفسه : ج٣/٨-٤٩٧/٩ .
- ٢٤- الحزن: بلاد يربوع ، وهي أطيب البادية مرعى ، الصبيبي : شجر يختضب به .
- ٢٥- أشعار اللصوص وأخبارهم : ج٤/٩/٥٣١ .
- ٢٦- قماشة: فتات الأشياء يطلق على رذالة الناس . ||٢٧- نفسه : ج٢/٤،٤/١،٢٨٣ .
- ٢٨- ابن جني، عثمان: د.ت ، الخصائص ، حقه : محمد علي النجار - دار الهدى
 - بيروت - ج٢/٤٤٢ .
- ٢٩- أشعار اللصوص وأخبارهم : ج٢/١٢ ، ١٤ / ٢٢٥ .
- ٣٠- صفراء نبعة : القوس . الربذي : محرقة الوتر . المعابل : النصال .
- ٣١- نفسه : ج١/٤/١٨٤ .
- ٣٢- أرسطو طاليس: ١٩٦٧ ، في الشعر - حقه وترجمه ترجمة حديثة د.شكري
 عياد - دار الكاتب العربي - القاهرة - ص ١٢٨ .
- ٣٣- أشعار اللصوص وأخبارهم: ج١/٥/١٥٠ . ||٣٤- أسرار البلاغة : ص ٣٣ .
- ٣٥- أشعار اللصوص وأخبارهم: ج٢/١-٢٩٨/٥-٢٩٩ .
- ٣٦- الغداف المقشيب: الموت الأسود بالسم . || ٣٧- المثعب : الكثير .
- ٣٨- نفسه : ج١/٣/٢٢ . || ٣٩- الأعراف : ٣٤ . || ٤٠- نفسه : ج١/٨/٩٧ .
- ٤١- نفسه : ج١/٤-٩٧/٥ . || ٤٢- نفسه : ج١/٥/٦٥٩ .
- ٤٣- نفسه : ج٤/١/٤٩٧ . || ٤٤- دلائل الإعجاز : ص ٢٣٦-٢٣٧ .

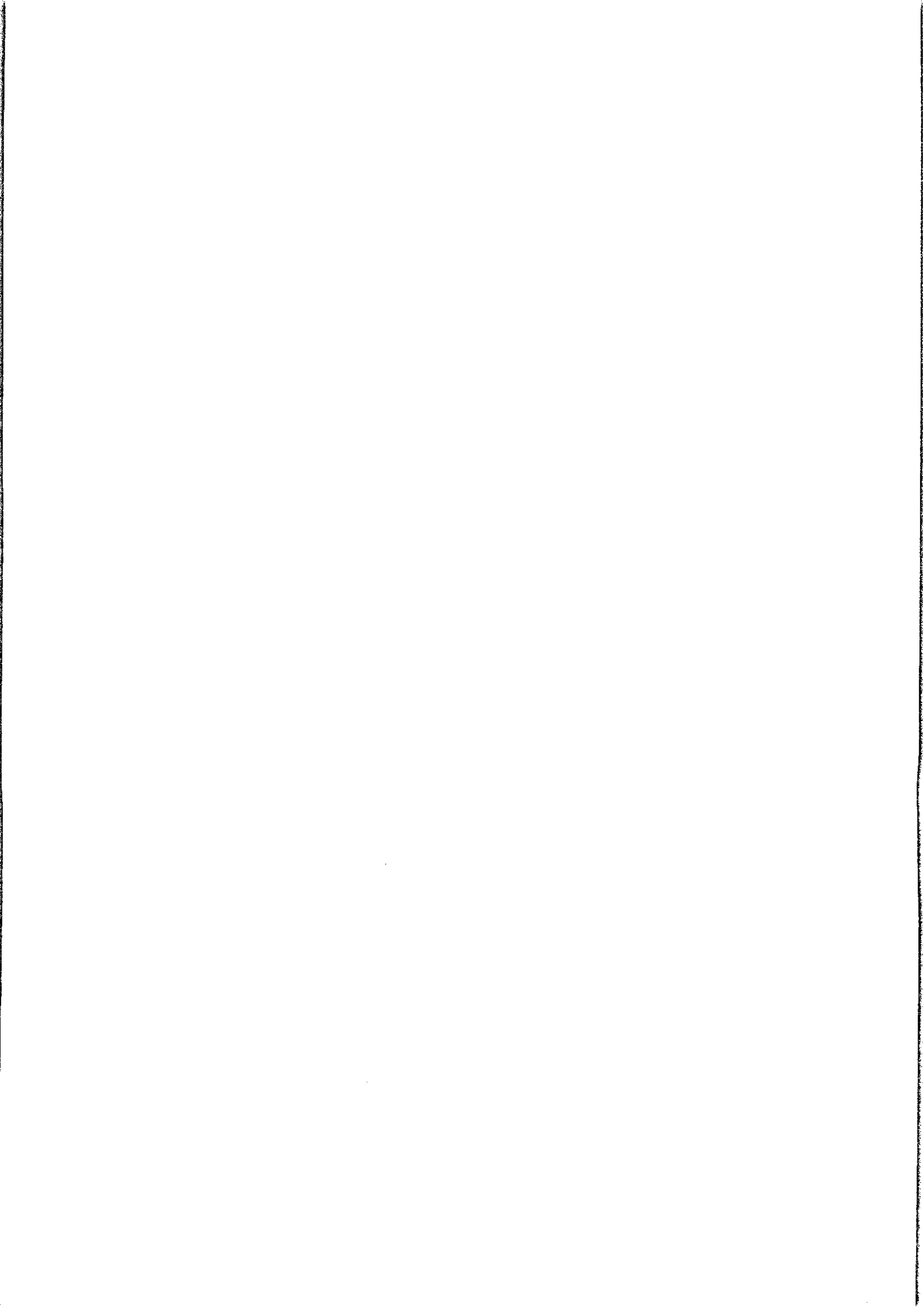
- ٤٥- أشعار اللصوص وأخبارهم: ج١/٥-١/٥، ٦٤٠/٢، ٤٠٥-٤٦|| نفسه: ج١/٥-١/٥-٦٥٠ .
- ٤٧- أشعار اللصوص وأخبارهم : ج١/٢-١/٢، ٤٠١، ٢-١٤ / ٣١٠ - ٣١١ .
- ٤٨- مستثياً : أراد مستثياً فقدم الهمزة . || ٤٩- دلائل الإعجاز : ص ٣٦ .
- ٥٠- أشعار اللصوص وأخبارهم: ج١ / ١ - ١ / ٣ - ٦٢ / ٥١|| نفسه: ج١/١-١/٢- ١٨٨ .
- ٥٢- نفسه : ج١٧/٣-٢٠ / ٣٤٣ . || ٥٣- القيص : ضرب من السير .
- ٥٤- الرضيخ: المنكسر ، القسب: التمر اليابس . الصلأء: جمع صلاة وصلاة وهي كل حجر عريض يدق عليه عطر أو هيب .
- ٥٥- نفسه : ج١/١٤-٦ ، ١٩-٢٠ / ١٩٥ || ٥٦- نفسه : ج١/٢-١/٣- ١٨٩ - ١٩٠ .
- ٥٧- نفسه : ج١/١-١/٣- ٩٦ .
- ٥٨- الزمخشري، محمد بن عمر: ١٩٥٣ ، الكشاف عن حقائق التنزيل ، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ط٢ - ضبطه وصححه: مصطفى حسين أحمد - مطبعة الاستقامة - القاهرة - ج١/١٩٧ .
- ٥٩- أشعار اللصوص وأخبارهم: ج٤/١٢/٥٨٢ . || ٦٠- نفسه : ج١/٢-١/٣- ١٧٩ .
- ٦١- مغدقاً: مطراً هطالاً. لبس جيوبها: يعم أقطارها . || ٦٢- نفسه : ج١/٢-١/٢- ٢٠٠ .
- ٦٣- نفسه : ج١/٢-١/٣- ٢٠٠-٢٠١ .
- ٦٤- طربة: شوقاً، أهوى ركوب الموارد: أحب العودة إلى شأني القديم في ركوب المخاطر والأهوال. || ٦٥- نفسه: ج١/١-١/٤- ٤٣ . || ٦٦- اللمام: الزيارة في الأحيين .
- ٦٧- القسام من القسم : والقسام : اليمين .
- ٦٨- ويليك، رينيه ووارين، أوستن: د.ت ، نظرية الأدب - ترجمة محيي الدين صبحي - المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم العامة - ص ١٩٧ .
- ٦٩- أشعار اللصوص وأخبارهم : ج١/٢-١/٢٧٧ .
- ٧٠- نفسه : ج١/٣-١/٩٧ . || ٧١- نفسه : ج١/٤-١/١١- ٦٣١-٦٣٢ .
- ٧٢- يأمر صاحبيه ألا يتأخرا حتى يخبزا الخبز ، وأن يصنعا البسيصة وهي خليط من الطحين والسمن .

- ٧٣- الملس: ضرب من السير السريع، الحمسي: منسوب إلى حميس بن أد .
- ٧٤- الجبس: الغلام الكسلان النؤوم . || ٧٥- الحلس: كساء على ظهر البعير .
- ٧٦- العس: الإثناء الكبير. || ٧٧- يأمرهما أن يجعلا الإبل ترساً من العدو إذا لقيها حرباً .
- ٧٨- نفسه : ج ١١٤/٥/١ .
- ٧٩- أدونيس: ١٩٨٣ ، مقدمة للشعر العربي - ط ٤ - دار العودة - بيروت - ص ٩٤ . || ٨٠- أشعار اللصوص وأخبارهم : ج ١ / ١ / ١٣٧ .
- ٨١- أسرار البلاغة ص ١٦٤ . || ٨٢- أشعار اللصوص وأخبارهم: ج ١ / ١ - ٥٦ / ٢ .
- ٨٣- نفسه : ج ٢٣٤/١/٢ .
- ٨٤- حمدان، د. ابتسام: ١٩٩٧ ، الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي - ط ١ - دار القلم العربي - حلب - ص ٢٦٠ .

- المصادر والمراجع :

- ١- القرآن الكريم .
- ٢- أدونيس: ١٩٨٣ ، مقدمة للشعر العربي - ط ٢ - دار العودة - بيروت .
- ٣- أرسطو طاليس: ١٩٦٧ ، في الشعر - حققه وترجمه د. شكري عياد - دار الكتاب العربي - القاهرة .
- ٤- الأصبهاني، الراغب: د. ت ، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء و البلغاء - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت .
- ٥- البطل، د. علي: ١٩٨٠ - الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري - دار الأندلس - بيروت .
- ٦- الجاحظ، عمرو بن بحر: ١٩٦٩ ، الحيوان - ط ٣ - حققه وشرحه عبد السلام هارون - المجمع العلمي العربي الإسلامي - بيروت .
- ٧- الجرجاني، عبد القاهر: ١٩٧٨ ، أسرار البلاغة في علم البيان - دار المعرفة - بيروت
- ٨ - الجرجاني، عبد القاهر: ١٩٧٨ ، دلائل الإعجاز في علم المعاني - دار المعرفة - بيروت .
- ٩- ابن جني، عثمان: د. ت: الخصائص. حققه محمد علي النجار - دار الهدى - بيروت .

- ١٠- حمدان، د.ابتهام: ١٩٩٧ ، الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي
- ط١ - دار القلم العربي - حلب .
- ١١- دهمان، د.أحمد: ١٩٨٦ ، الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني (منهجاً
وتطبيقاً) - ط١ - دار طلاس ..
- ١٢- الزمخشري، محمد بن عمر: ١٩٥٣ ، الكشاف عن حقائق التنزيل ، وعيون
القاويل في وجوه التأويل ، ط٢ - ضبطه وصححه: مصطفى حسين أحمد-مطبعة
الاستقامة - القاهرة .
- ١٣- عبد الرحمن، د.نصرت: ١٩٧٦ ، الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء
النقد الحديث - مكتبة الأقصى - عمان .
- ١٤- عبدالله، محمد حسن: د.ت ، الصورة والبناء الشعري - دار المعارف - مكتبة
الدراسات الأدبية - القاهرة .
- ١٥- عساف، د.عبدالله: ١٩٦٩ - الصورة الفنية في قصيدة الرؤيا - ط١- دار دجلة
- القامشلي .
- ١٦- الملوحى، عبد المعين: ١٩٩٣ ، أشعار اللصوص وأخبارهم - ط٢ - دار
الحضارة الجديدة - بيروت .
- ١٧- ناصف، د.مصطفى: ١٩٨١ ، الصورة الأدبية - ط٢- دار الأندلس - بيروت .
- ١٨- ويليك، رينيه ووارين، أوستن: د.ت ، نظرية الأدب - ترجمة محيي الدين
صبحي - المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم العامة .
- ١٩- الياقسي، د.نعيم: د.ت، أوهاج الحداثة - ط١ - منشورات اتحاد الكتاب العرب -
دمشق .



توظيف اللسانيات الحاسوبية
في خدمة الدراسات اللغوية العربية
" جهودٌ ونتائج "

د. عبدالرحمن بن حسن العارف
جامعة أم القرى

مقدمة:

تعد دراسة اللغة العربية باستخدام اللسانيات الحاسوبية (المعلوماتية) من أحدث الاتجاهات اللغوية في اللسانيات العربية المعاصرة .

ويتناول هذا البحث جهود الباحثين المعاصرين العرب - بصفة عامة، واللغويين - بوجه خاص - في تطوير تقنيات الحاسوب لخدمة الدراسات اللغوية العربية، أصواتاً، وصرفاً، ونحواً، ومعجماً، ودلالة، ومدى إفادتها منه في معالجة قضاياها المختلفة .

وكما هو معروف فإن العلاقة بين الحاسوب واللغة العربية تقوم على محورين أساسيين : أولهما المحور النظري، والآخر التطبيقي .

وفي ضوء هذا يستعرض الباحث نشأة الاتجاه الحاسوبي في دراسة علوم اللغة العربية، والظروف والملابسات التي أسهمت في تكوينه بوساطة الجهود الفردية، أو الجهود المؤسسية والرسمية، والمشكلات التي واجهته في ضوء خصوصية اللغة العربية، والبرمجيات، والحاسوبات، وما قدم من حلول لمعالجة تلك المشكلات .

كما يتناول البحث نتائج استثمار هذا الاتجاه في مجال تعليم العربية لأبنائها، وللناطقين غيرها من اللغات، وفي مجال الترجمة الآلية، والتعريب،

والإحصاء اللغوي، والمعالجة الآلية للأصوات، والصرف، والنحو، والمعجم والدلالة. ويخلص إلى تحديد ملامح هذا الاتجاه الحديث في اللسانيات العربية المعاصرة، وأثره في تطوير اللغة العربية وتميمتها في العصر الحديث .

تمَّ اختراع جهاز الحاسوب - كما تذكر المصادر - في أواخر النصف الأول من القرن المنصرم (القرن العشرين)، وتحديدًا عام ١٩٤٨م^(١)، وأصبح منذ ذلك التاريخ متاحاً للإفادة منه في جميع مجالات الحياة، ومختلف العلوم والمعارف الإنسانية.

وتطورت تقنية هذا الجهاز عبر السنوات تطوراً مذهلاً، منذ ظهور الجيل الأول من الحواسيب الآلية سنة ١٩٥١م، وحتى ظهور الجيل الخامس منه سنة ١٩٩١م .

أما بدء استخدام الحاسوب في دراسة اللغة على مستوى العالم، فمن الصعوبة بمكان وضع تاريخ زمني محدد له ؛ وذلك لأنه لم يحدث دفعة واحدة، بل تمَّ نتيجةً لمحاولات متفرقة، وعلى مراحل زمنية مختلفة، وفي دول متعددة.

فعلى المستوى الأمريكي يذكر الدكتور مايكل زار تشناك (M.Zarechnak) أستاذ علم الدلالة ومنظم البرمجة اللسانية الآلية بجامعة جورج تاون، أن العمل في اللسانيات الآلية بدأ في قسم اللسانيات بجامعة جورج تاون سنة ١٩٥٤م، وذلك في حقل الترجمة الآلية من اللغات الأخرى إلى الإنجليزية^(٢). وهذا يعني أن بداية الخمسينيات من القرن الماضي شهدت ولادة المعالجة الآلية للغات البشرية.

أما على المستوى الأوروبي فتذكر المصادر أن أقدم محاولة لدراسة اللغة بوساطة الحاسوب تمت سنة ١٩٦١م، بجامعة قوتبرغ (Goteborg)

السويدية، لكن هذه المحاولة ظلت ذات طابع محلي، ولم ترق إلى مستوى الذبوع والانتشار والتأثير في محيطها الأوروبي .

والبداية الفعلية لهذا الاتجاه كانت - كما تقر المصادر - لمركز التحليل الآلي للغة بمدينة (قالارات Gallarat) بإيطاليا، الذي كان يشرف عليه روبرتوبوزا (Roberto Busa)، حيث وضع سنة ١٩٦٢م الدعائم الأولى لاستخدام الحاسوب في دراسة اللغة .

ثم توالى بعد ذلك افتتاح المراكز الحاسوبية للغة في أوروبا والاتحاد السوفيتي، كما هي الحال في المركز الحسابي لدراسة الأدب واللغة في جامعة كامبردج سنة ١٩٦٤م، والمركز المعجمي بمجمع دالاكروسكا (Dellacrusca) بإيطاليا سنة ١٩٦٤م، ومعهد الألسنية التابع لمجمع العلوم بكيف في أوكرانيا (الاتحاد السوفيتي سابقاً) سنة ١٩٦٤م - أيضاً^(٣) .

أما بالنسبة للعلوم النظرية عند العرب في العصر الحاضر فقد كانت العلوم الشرعية من أسبق العلوم الإنسانية استخداماً لتقنية الحاسبات الإلكترونية ونظم المعلومات، حيث بُدئ بالعمل بها والإفادة منها في السبعينيات من القرن الماضي^(٤). وظلت علوم اللغة العربية في منأى عن الانتفاع بها بعض الوقت، حتى قيض الله لها من رأى أنه يمكن لهذه العلوم أن تفيد من الحاسوب فائدة كبرى .

وتبدأ قصة الاتصال العلمي بين الحاسوب والبحث اللغوي العربي - كما يذكر الدكتور إبراهيم أنيس (١٩٠٦-١٩٧٨م) - حينما فاتحه الدكتور (الطبيب) محمد كامل حسين (١٩٠١-١٩٧٧م) متسائلاً عن إمكانية الاستفادة من الكمبيوتر - (الحساب الآلية) كما يحب الدكتور أنيس أن يطلق عليه - في البحوث اللغوية، فصادت هذه الفكرة في نفسه قبولاً واستحساناً، خاصة أنها

كانت تداعب خياله مُدَّ نما إلى سمعه المجالات المتوافرة لتطبيقه في البحث العلمي .

ويضيف الدكتور أنيس بأنه انتهز فرصة زيارته لجامعة الكويت سنة ١٩٧١م للعمل بها أستاذاً زائراً، وهناك التقى بالدكتور علي حلمي موسى، أستاذ الفيزياء النظرية في جامعة الكويت، وطرح عليه فكرة الاستعانة بالحاسوب في إحصاءات الحروف الأصلية لمواد اللغة العربية، بُغية الوقوف على نسج الكلمة العربية. وقد رحب بهذه الفكرة واستحسنها، وبدأ بالتخطيط لها وتنفيذها في النصف الأول من عام ١٩٧١م، وكان من ثمره ذلك صدور الدراسة الإحصائية للجذور الثلاثية وغير الثلاثية لمعجم الصحاح، للجوهري (٣٢٤هـ) (٥) .

أما خطوات العمل في هذا الإحصاء فتوزعت على ثلاث مراحل :
الأولى إدخال المواد اللغوية في ذاكرة الكمبيوتر، والثانية وضع برنامج له بإحدى لغات الكمبيوتر، والثالثة التنفيذ الفعلي لهذا البرنامج (١) .

وجاءت نتائج هذه الدراسة في صورة جداول إحصائية لجذور اللغة، وحروفها، وتتابع أصواتها، وخصائص حروفها، مقرونة بدراسة تحليلية موجزة عن التفسير اللغوي لما ورد بتلك الجداول (٧) .

واستقبل الباحثون والعلماء هذا العمل العلمي بقبول حسن، رغم وجود فئة حاولت أن تُشكَّك وتُهَوَّن من جدوى هذه الدراسة، وفائدتها على الدرس اللغوي (٨) .

ومما لاشك فيه أن اللغة العربية بعلمها المختلفة، كالأصوات، والبلاغة، والعروض والقافية، أفادت أيما فائدة من نتائج هذه الإحصائيات الدقيقة.

وتبع ذلك صدور دراسة ثانية لإحصاء جذور معجم لسان العرب لابن منظور (٧١١هـ-)، وكان هذا عام ١٩٧٢م، ودراسة ثالثة لإحصاء جذور معجم تاج العروس للزبيدي (١٢٠٥هـ-)، واشترك في هذا العمل الأخير الدكتور عبد الصبور شاهين، وكان هذا عام ١٩٧٣م .

وقد صدرت هذه الأعمال جميعها عن جامعة الكويت، وكانت بحق ابتكاراً جديداً لم يسبق إليه من قبل، بل هي المرة الأولى في العالم العربي التي تجري فيها هذه الإحصائيات على أسس علمية حديثة ودقيقة .

كما تمّ - ربما لأول مرة أيضاً - تعاون الفيزيائيين واللغويين حول إحصاء كلمات اللغة العربية الواردة في أشهر المعاجم اللغوية، وتحليل ما نتج عن ذلك من جداول تحليلاً لغوياً قوامه استخراج مادة اللغة (جذورها)، سواء كانت ثلاثية أو رباعية أو خماسية، وتردد الحروف، وتتابعها، ومقارنة نتائج هذه المعاجم الثلاثة بعضها ببعض^(٩) .

ويذكر الدكتور علي حلمي موسى أنه بدأ عام ١٩٧٤م بالبحث في ألفاظ القرآن الكريم بقصد حصرها، ومن ثمّ تحليلها ومقارنتها بألفاظ معجم الصحاح، كما أنه أخذ بالبحث عن دراسة العلاقة بين الحروف والحركات في القرآن الكريم، ومقارنة السور المكية بالسور المدنية، مستعيناً في ذلك بالآلات الحاسوبية الإلكترونية، ومشيراً في هذا الصدد إلى أنه قدّم أجزاء من هذه البحوث في مؤتمرات علمية عالمية^(١٠) .

ولعلي لا أبالغ في القول بأن هذا التوجّه في الفكر العربي المعاصر قد فتح الباب واسعاً للباحثين في الدراسات اللغوية والأدبية للولوج من خلاله إلى عالم الكمبيوتر، وتسخيره لخدمة البحث اللغوي والأدبي.

وأقرب مثال لهذا ما قامت به الباحثة -آنذاك- وفاء محمد كامل في رسالتها للماجستير عن كعب بن زهير بن أبي سلمى - دراسة لغوية، من الاستعانة بالحاسوب في دراسة شعر هذا الشاعر، وذلك للمرة الأولى - كما يذكر الدكتور حسين نصار - في الدراسات اللغوية في مصر (١١) .

وهكذا كان حقل الإحصاء اللغوي هو الميدان الأول لتطبيق اللسانيات الحاسوبية على اللغة العربية .

لقد كانت هذه الإرهاصات بداية لظهور فرع جديد من فروع علم اللغة، يطلق عليه (علم اللغة الحسابي) أو (اللسانيات الحاسوبية) Computational Linguistics أو (اللسانيات الإعلامية) .

وإذا أردنا تعريف هذا العلم بشكل مختصر قلنا إنه العلم الذي يبحث «في اللغة البشرية كأداة طيعة لمعالجتها في الآلة (الحاسبات الإلكترونية = الكمبيوتر)، وتتألف مبادئ هذا العلم من اللسانيات العامة بجميع مستوياتها التحليلية : الصوتية، والنحوية، والدلالية، ومن علم الحاسبات الإلكترونية (الكمبيوتر)، ومن علم الذكاء الاصطناعي، وعلم المنطق، ثم علم الرياضيات» (١٢) .

وكانت البداية الحقيقية لهذا العلم لدى الغرب قد جاءت بعد بزوغ فجر النظرية التوليدية التحويلية، حيث قامت بتطبيق الأسس والمعادلات الرياضية على التحليل اللغوي، ومن ثم صياغة اللغة صياغة رياضية من أجل برمجتها في الحاسوب، وذلك بغرض استنباط قواعد مقننة ودقيقة . وإن كان هذا لا يمنع من القول إن المدرسة البنوية قد مهدت الطريق أمام العلماء لربط الدراسات اللغوية بالحاسوب، لكنها لم تستطع بعد ذلك تطوير أفكارها لتساير ذلك المدّ التكنولوجي المتنامي .

وتقوم اللسانيات الحاسوبية على جانبين رئيسين هما : الجانب النظري، والجانب التطبيقي. فأما الجانب الأول (النظري) فيبحث «في الإطار النظري العميق الذي به يمكننا أن نفترض كيف يعمل الدماغ الإلكتروني لحل المشكلات اللغوية»^(١٣)، وأما الجانب الآخر (التطبيقي) فهو يُعنى « بالنتائج العملي لنمذجة الاستعمال الإنساني للغة... وإنتاج برامج ذات معرفة باللغة الإنسانية »^(١٤).

والواقع أن جهود العلماء العرب المعاصرين والمؤسسات العلمية في هذه المجال يمكن نظم عقدها في أربعة صور: الأولى تتمثل في مؤلفات خصّصت للعربية والحاسوب، أو الحاسوب والعربية، وجاءت الثانية على هيئة مقالات وبحوث نشرت في المجلات والدوريات العلمية، أو ضمن أعمال المؤتمرات، ووقائع الندوات والملتقيات العلمية، أما الثالثة فكانت خاصة بالبرامج والنظم التي وضعت لحوسبة العربية، أو لعوربة الحاسوب، سواء ما كان منها فردياً محضاً، أو نتاجاً مشتركاً، أو عملاً تجارياً عاماً. وأما الصورة الرابعة فتتمثلت في إنشاء بعض الكليات الجامعية قسماً خاصاً لعلم اللغة الحاسوبي، كما هي الحال في جامعة الأمير سلطان الأهلية بالرياض (المملكة العربية السعودية). وسوف نعرض بالتفصيل لكل ذلك ما أمكننا، في إطار الهدف الموضوع والخطة المرسومة لهذه الدراسة .

وإذا أردنا عرض مراحل التطور لعلم اللغة الحاسوبي في الدراسات العربية المعاصرة أمكن القول بأن كتاب الدكتور نبيل علي(*) (اللغة العربية والحاسوب) يُعدُّ أول مؤلّف يتناول موضوع اللسانيات الحاسوبية مطبقةً على أنظمة اللغة العربية، صوتاً، وصرفاً، ونحواً، ومعجماً، مع المعالجة الآلية لهذه النظم اللغوية جميعها .

وكان تأريخ صدوره لأول مرة سنة ١٩٨٨م^(١٥). وقد حالف التوفيق المؤلف في كثير من القضايا المتصلة بالحاسوب واللغة، وذلك حينما انطلق في عمله هذا من وضع دراسات تقابلية بين العربية والإنجليزية شاملة لكل النظم اللغوية، بالنظر إلى أن الإنجليزية هي اللغة الأم لتقنيات نظم الحاسوب والمعلومات، وهذا ما نتج عنه معرفة أوجه الاختلاف والاتفاق بين اللغتين، وكان هذا النهج بمثابة الأرض الصلبة والقاعدة المتينة التي هيأت للمؤلف منهجية وموضوعية، ومكّنته من الإسهام الإيجابي في جهود تعريب الحاسوب من جهة، والمعالجة الآلية للغة العربية من جهة أخرى .

إن هذا الكتاب يمثل - في نظري - حجر الزاوية في مسيرة البحث اللغوي العربي في اللسانيات الحاسوبية، بل إنه كما وصفه الدكتور نهاد الموسى - بحق - «خطوة واسعة واثقة، تنتظم مشروعاً مستوعباً لتأسيس اللسانيات الحاسوبية في العربية، على أساس نظري وتطبيقي في آن واحد معاً»^(١٦) .

صحيح أنه لم يستوعب جميع قضايا اللغة من باستعمال الحاسوب، إلا أن هذا أمر متوقع فيمن يفتتح التصنيف، أو يرد الطريق لأول مرة في أي فن غالباً .

وبعد نشر هذا الكتاب بسنوات ثمان - أي سنة ١٩٩٦م - صدر كتاب الدكتور عبد ذياب العجيلي (الحاسوب واللغة العربية)^(١٧)، وهو - كما يقول الدكتور نهاد الموسى - : «خطوة جزئية إيجابية نحو معالجة مسائل متنوعة من العربية بلغة برولوج Prolog . وهو يمثل جهداً حميداً في هذا الاتجاه البيئي (اللسانيات العربية الحاسوبية)»^(١٨) .

وأخر هذه المؤلفات في اللسانيات الحاسوبية - فيما أعلم - كتاب الدكتور نهاد موسى (العربية - نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية)، الذي صدر سنة ٢٠٠٠م^(١٩).

ويعدُّ هذا الكتاب أول مؤلَّف في هذا العلم اللغوي الحديث يصدر عن متخصص في اللغة العربية وعلومها - حسب علمي -، ولذا فهو يمثل فيما أرى نقلةً نوعية في توظيف اللسانيات الحاسوبية لخدمة علوم اللسانيات العربية.

والكتاب - كما يذكر مؤلفه - «محاولة في الانتقال من وصف العربية إلى توصيفها، وذلك في ضوء الأطروحة العامة لللسانيات الحاسوبية»^(٢٠).

وقد اشتمل الكتاب على رؤى حاسوبية حاول المؤلف إسقاطها على أنظمة العربية، وخاصة النحو (الإعراب)، والصرف (البنية)، والمعجم، إضافة إلى التصويب اللغوي (الأخطاء النحوية، والصرفية، والإملائية).

إن هذه الجهود التي تمت ضمن هذا الإطار كانت - كما يلاحظ - فردية الطابع، لكن ذلك لم يدم طويلاً، إذ سرعان ما أصبحت متعددة الأطراف، بعد أن احتضنتها المراكز والمعاهد التقنية، والجمعيات الحاسوبية في الوطن العربي وخارجه، والمؤسسات والشركات التجارية المحلية والعالمية، وذلك عقب حدوث ثورة المعلوماتية (Infomatization)، والتفجر المعرفي في عالم اليوم، وشعور الجميع أفراداً وجماعات بأنهم أمام تحدٍّ حضاري كبير، وإيمانهم بضرورة نقل هذا الصراع العلمي الثقافي - إن صح التعبير - إلى حوار منهجي وتكامل معرفي، يؤدي في نهاية المطاف إلى ردم الهوة، أو تقليص مسافة الفجوة - على أقل تقدير - بين الغرب والشرق العربي، وذلك ما سينتج عنه تصحيح لتلك المفاهيم الخاطئة، والتصورات المغرقة في التشاؤم، عن

العلاقة بين اللغة العربية والحاسوب، ومن ثم بلورة صياغة لغوية تقنية لاستخدام الحاسوب وتوظيفه في خدمة علوم العربية .

أما البحوث والمقالات الخاصة باللسانيات الحاسوبية، فمنها ما نشر في مجلات علمية، ومنها ما ألقى أو قُدِّم في الندوات والمؤتمرات التي خُصِّصت أصلاً للغويات الحاسوبية، أو اللسانيات التطبيقية، أو لتكنولوجيا الحاسوب ومجالات استخدامه في العلوم الإنسانية، ثم نشرت هذه البحوث ضمن أعمال تلك المؤتمرات والندوات^(٢١) .

وتلك البحوث من الكثرة بمكان، بحيث يصعب - بل يستحيل - حصرها في بحث كهذا، وقد كفانا شيئاً من مؤونة ذلك الدكتور نهاد الموسى ؛ إذ أورد في أدبيات كتابه السابق ذكره طائفة من تلك الأعمال العلمية^(٢٢)، وكان عمله في ذلك أشبه بكتابة تقارير علمية، ومراجعات نقدية، لما قُدِّم في تلك المؤتمرات والندوات العلمية من أبحاث أو ورقات عمل .

والجدير ذكره في هذا المقام أن هذه البحوث والمقالات قد أضحيت تمثل تياراً واضحاً في الجهود اللسانية الحاسوبية، وهذا ما جعل كلاً من الدكتور وليد العناتي وزميله الدكتور خالد الجبر، من جامعة البترا الأهلية (الأردن)، يقومان بوضع دليل ببليوغرافي لها أسمياه (دليل الباحث إلى اللسانيات الحاسوبية العربية)^(٢٣)، حاولا فيه أن يستقصيا جميع ما وقفأ عليه من أعمال علمية تنتظم في هذا الميدان. وبلا شك فإن هذا الكتاب سيُسَدُّ - بعد صدوره إن شاء الله - ثغرة واضحة في المكتبة اللغوية بعامة، واللسانيات الحاسوبية بخاصة.

وقبل أن أبدأ الحديث عن الصورة الثانية من صور جهود العرب المعاصرين في ميدان اللسانيات الحاسوبية، يجدر بي أن أثبت حقيقة تاريخية، وهي أن بحوث الدكتور إبراهيم أنيس التي كتبها بأخرة من العمر، تُعدُّ - فيما

أعلم - من أوائل الأعمال التي وجهت الأنظار إلى الاستعانة بتقنية الحاسوب، وتوظيفها لخدمة البحث اللغوي^(٢٤). ليس هذا فحسب، بل إنه (يرحمه الله) دلف بنفسه إلى هذا الميدان واستثمر نتائج تلك الجداول الإحصائية اللغوية التي كان يخرجها له الكمبيوتر الموجود بمعهد الإحصاء -آنذاك- جامعة القاهرة لصالح تفسير إحدى الظواهر اللغوية، وهي ظاهرة القلب المكاني^(٢٥)، وهذه سابقة علمية في مجال اللغة تُحسب للدكتور أنيس، وتُذكر له في مضمار الحاسوب واللغة، أو اللسانيات الحاسوبية العربية .

وباستعراض سريع لتلك البحوث نجد أنها كُتبت بالعربية، والإنجليزية - أيضاً -، وجاءت عناوينها شاملة للمستويات اللغوية كافة، أصواتاً، وتراكيب، وبنية، ودلالة، ومعجماً، ولبعض قضايا اللغة من المنظور الحاسوبي، كالترجمة الآلية، وبنوك المصطلحات، وتعليم اللغات، والذكاء الاصطناعي .

أما أصحابها فنجد أن جلهم من اللغويين الأكثر حضوراً وفاعلية على الساحة اللغوية، من أمثال الدكتور محمد الحناش (المغرب)، والدكتور محمود إسماعيل صيني (السعودية)، والأستاذ أحمد الأخضر غزال (المغرب)، والدكتور عبد القادر الفاسي الفهري (المغرب)، والدكتور مازن الوعر (سورية)، والدكتور محمود فهمي حجازي (مصر)، والدكتور عبد الرحمن الحاج صالح (الجزائر)، والدكتور سالم الغزالي (تونس)، والدكتور داود عبده (الأردن)، وبعضهم من المتخصصين في الحاسوب أو الهندسة الحاسوبية، كالدكتور يحيى هلال (المغرب)، والدكتور محمد مرياتي (سوريا)، والدكتور نبيل علي (مصر)، والدكتورة نادية حجازي (مصر). ويلاحظ على أغلب هذه البحوث أنها انتقلت باللسانيات الحاسوبية من مجالها النظري أو التنظيري إلى الجانب التطبيقي، وهو تطور إيجابي يُحسب لأصحاب هذا الاتجاه .

ومن المعروف أن الجانب التطبيقي - وهو الجانب الأهم في اللغويات الحاسوبية - يتمثل في تسخير العقل الإلكتروني لحل القضايا اللغوية، وهنا يبرز الدور الرئيس والأثر الفاعل لالتقاء اللغويين والحاسوبيين، والتعاون فيما بينهم، وما يثمر عنه من نتائج تسهم إلى حد كبير في تذليل العقبات وحل المشكلات التي تواجه التحليل الحاسوبي للغة العربية، هذه العقبات والمشكلات بعضها يتصل بطبيعة اللغة العربية، أصواتاً، وبنيةً، وتركيباً، ودلالةً، ومعجماً، وبعضها يتعلق بنظام الكتابة العربية، وبعضها يتصل بالمصطلح العلمي التكنولوجي للسانيات العربية، كما أن هناك مشكلات أخرى تتعلق بالبرمجيات، إعداداً، واختياراً للمادة اللغوية العربية (أنموذج لساني عربي)، وتعريباً للبرمجة. وثالث هذه المشاكل يكمن في الجهاز الحاسوبي (الكمبيوتر)، وأنظمة تمثيل المعرفة على الحاسوب باللغة العربية .

وقد بُذلت جهود كبيرة من الأطراف المعنية كافة بهذه القضية للتغلب على تلك الإشكالات، ومن ذلك ما قدمه الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح (الجزائر) من تصور حول وضع أنموذج لساني للعلاج الآلي للغة العربية، وما طرحه الدكتور محمد عبد المنعم حشيش (مصر) من تصميم قاعدة للمعلومات بغرض تغطية الثروة اللفظية للغة العربية، والمشروع الذي تبنته مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية (الرياض) حول إنشاء وتطوير بنك آلي للمصطلحات أطلق عليه (باسم)، وما وضعه الأستاذ أحمد الأخضر غزال (المغرب) من تصميم طريقة تكنولوجية آلية لتعريب الحاسوب، ووضع اللغة العربية في الحاسوبات الإلكترونية وفق هويتها وخصوصية ومارفهما ورسومها، وتعرف اختصاراً بمجموعة (العمم - شع) (*).

إن معالجة اللغة العربية حاسوبياً أصبحت اليوم أمراً لا حيدة عنه ولا مفرّ منه، وخاصة أن استثمار الدراسة الحاسوبية والمعلوماتية - بصفة عامة - يحقق نتائج كبيرة للغة العربية، في مجال التعريب، والإحصاء اللغوي، والمعالجة الآلية، وتعلم اللغات، والترجمة الآلية، وفي مجال التربية والتعليم .

ففي مجال التعريب، ونعني به هنا تعريب الحاسوب من حيث أنظمتة وبرامجه ومصطلحاته، فقد اتجهت جهود التعريب فيه إلى إعداد أنظمة وتصميمها لكي تكون قادرة على العمل باللغة العربية بدلاً من اللغة الإنجليزية، إضافة إلى إصدار المؤلفات الخاصة بعلوم الحاسبات وتقنياتها باللغة العربية، وترجمة ما كان مؤلفاً بغير العربية .

ولعل من أهم الإنجازات في هذا المجال ما قامت به الشركات العربية والأجنبية العاملة في مجال الحاسوبات، كالشركة العالمية للبرامج (صخر)، وشركة (آي. بي. إم)، والجريسي للتقنية، من تطوير الحواسيب الشخصية (PC) باللغة العربية، ووضع معالج النصوص(*) (عربستار ٢٠٠١) بالعربية أيضاً، وتعريب نظام قواعد المعلومات الخاص بتخزين المعلومات واسترجاعها، وتعريب البرامج اللاتينية... إلخ، علاوة على الهيئات العلمية العربية، كالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الأليكسو)، ومعهد الكويت للأبحاث العلمية، ومعهد الدراسات الإحصائية بجامعة القاهرة، ومعهد العلوم اللسانية والصوتية بالجزائر، ومعهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالمغرب... إلخ^(٢٦) .

أما مصطلحات الحاسوب - وهي مسألة لا تقل أهمية عن سابقتها - فقد أسهم فيها الأفراد، والمؤسسات، والشركات . وقد طُرحت في هذا المقام اقتراحات عدة من قبل خبراء الحاسوبيات، وكذلك اللغويين^(٢٧)، وقام عدد من المتخصصين في المدرسة الوطنية للمهندسين بجامعة تونس بتعريب

المصطلحات الخاصة بالحاسوبات الصغرى^(٢٨)، كما قامت بعض المؤسسات العلمية، كمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية (الرياض)، ومعهد الدراسات والأبحاث للتعريب (الرباط)، ومجمع اللغة العربية الأردني، والمعهد القومي للمواصفات والملكية الصناعية بتونس، بإنشاء بنوك للمصطلحات، تهدف إلى توفير المصطلحات المعرّبة وتوثيقها، وتنميطها وتقييسها وتوحيدها^(٢٩).

والواقع أن موضوع التعريب والمصطلح كان وما زال من أهم القضايا التي تشغل الأمة العربية وحضارتها المعاصرة، ورغم ما بذل من جهود في هذا الإطار فإن النتائج لم تكن على مستوى التقدم التقني الهائل في عصر المعلوماتية والعولمة !!.

أما في مجال الإحصاء اللغوي - وهو كما سبق الميدان الأول لتطبيق استخدام الحاسوب في البحث اللغوي العربي المعاصر - فلا يخفى أن استخدام الإحصاء الرياضي في اللغة يحقق تقييماً كمياً «لبعض الخواص النوعية للغة، كمعدلات استخدام الحروف، والكلمات، والصيغ الصرفية، والموازن الشعرية، وأنواع الأساليب النحوية، أو التوزيع النسبي للأفعال المعتلة والصحيحة، أو للإفراد والتثنية والجمع، أو لحالات الإعراب المختلفة»^(٣٠). كما يحقق توصيفاً كمياً لبعض العلاقات اللغوية، كالعلاقة بين طول جذر الكلمة وعدد مرات تكراره، والعلاقة بين طول الكلمة ومعدل استخدامها داخل النصوص.

ويقوم الإحصاء بتفسير بعض الظواهر اللغوية وتحليلها^(٣١). ليس هذا فحسب، بل هناك «إحصاء جديد يستطيع أن يتعامل مع البنية المعقدة للسياق اللغوي، حتى يكشف لنا عن علاقات الترابط والتماسك بين فقراته وجمله وألفاظه، وتلك التي تربط بين ظاهر العبارات وما تبطنه من معان وإشارات»^(٣٢).

ومن المشاريع العلمية القيمة في هذا المجال - بالإضافة إلى ما ذكر سابقاً - ما قام به كل من الدكتور يحيى مير علم، والدكتور محمد حسان الطيان والأستاذ مروان البواب (سورية)، تحت إشراف الدكتور محمد مرياتي، من دراسات إحصائية لدوران الحروف في الجذور العربية، وللمعجم العربي، ولدوران الحروف العربية المشكولة، ولحروف اللغة العربية^(٣٣). وهناك دراسات إحصائية أخرى صدرت باللغة الإنجليزية في الجامعات الأمريكية والأوروبية لجوانب لغوية متعددة، كالأصوات، والصرف، والنحو للغة العربية^(٣٤).

أما في مجال المعالجة الآلية(*) للغة العربية، فقد شملت الجهود مستويات اللغة كافة، كالمستوى الصوتي، والصرفي، والنحوي، والمعجمي، والدلالي، يضاف إليها الترجمة الآلية، والكتابة العربية.

فالمستوى الصوتي تمت معالجته آلياً بوساطة تحليل طيف الصوت، وتوليد (إنتاج) الكلام، وتخزين الأنماط الصوتية للشخص المتكلم. وتبعاً لهذا تمّ تصميم أجهزة تخليق الكلام وتحليله، وتوليد الكلام المنطوق آلياً بتحويل النصوص المدخلة في جهاز الحاسوب إلى مقابلها الصوتي، وعلاج عيوب النطق.

وقد أنجزت دراسات عدة في هذا المجال، من بينها دراسة الدكتور منصور الغامدي (السعودية) عن الإدراك الآلي للتضعيف^(٣٥)، وهي محاولة لكيفية حل مشكلة التفريق بين الأصوات اللغوية الطويلة والقصيرة في اللغة العربية، قد تعين مبرمجي الحاسوب على الإدراك الآلي للأصوات اللغوية. كما تأتي دراسة الدكتور محمد مرياتي (معالجة الكلام - تطبيق على اللغة العربية)^(٣٦) ضمن هذا التوجّه في تمثيل النظام الصوتي للغة العربية آلياً. ويلحق

بهذه الدراسات أيضاً ما كتبه الدكتور سالم غزالي عن (المعالجة الآلية للكلام المنطوق، التعرف والتأليف)^(٣٧) .

ويوجد ببعض الجامعات العربية، والمعاهد العلمية، والمؤسسات التقنية أقسام خاصة للصوتيات، أو مراكز للسمع والنطق، أو معالجة الكلام، تجري فيها أبحاث صوتية تعتمد في المقام الأول على أجهزة الحاسوب، ويتولى الإشراف عليها أساتذة متخصصون في علم الأصوات، كالدكتور محمد صالح الضالع (جامعة الإسكندرية)، والدكتور سمير استيئية (مدير مركز السمع والنطق بجامعة اليرموك)، والدكتور سالم غزالي (مدير مخبر معالجة الكلام العربي بالمعهد الإقليمي لعلوم الإعلامية والاتصال عن بُعد I.R.S.I.T. بتونس) والدكتور منصور الغامدي بمركز علوم وتقنية الأصوات بمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، والدكتور محمد صالح بن عمر (معهد بورقيبة للغات الحية بتونس)، والدكتورة تغريد السيد عنبر^(*) (كلية الألسن بجامعة عين شمس)، والدكتور سلمان العاني (جامعة انديانا) .

وهناك إنجازات أخرى صدرت باللغة الإنجليزية عن معالجة الكلام العربي آلياً^(٣٨)، ومع كل ما ذكر من جهود فما زال العمل في هذا المجال ينتظر بذل المزيد من الجهود، لا على مستوى الأفراد بل على مستوى الفريق البحثي المتكامل «نظراً للطبيعة الخاصة لمعالجة الكلام الآلي»^(٣٩) .

أما في المستوى الصرفي، فقد تمت المعالجة الآلية له في ضوء أهمية الصرف العربي بالنسبة لنظام اللغة ككل. وقد تناولت هذه المعالجة الآلية بعض جوانب الصرف العربي، كالخاصية الثلاثية للجذور العربية، وأصل الاشتقاق، والأنماط الصرفية، وثنائية الصيغة الصرفية والميزان الصرفي، والإنتاجية الصرفية، والفائض الصرفي، واللبس الصرفي^(٤٠) ... إلخ .

وفي هذا الصدد قدّم الدكتور نبيل علي إطاراً عاماً لمعالجة الصرف العربي آلياً، وأورد عدة نماذج للتحليل الصرفي الآلي بوجه عام، مبيّناً مدى ملائمتها لمطالب الصرف العربي. وتبعاً لهذا قام بعرض نموذج وضعه لمعالجة الكلمات العربية صرفياً في أطوار التشكيل المختلفة، وهو نموذج التحليل بالتركيب، وأطلق عليه اسم (المعالج الصرفي المتعدد الأطوار). ويشتمل هذا النموذج المبتكر على عناصر أربعة هي: المعالج الصرف - نحوي، والمعالج الاشتقائي، والمعالج الإعرابي، ومعالج التشكيل^(٤١).

ويذكر صاحب هذا النموذج أنه قام بمعاونة إحدى المتخصصات في اللسانيات الحاسوبية (أمل الشامي) بتطوير هذا المعالج الصرفي على ضوء أصول الصرف العربي وخصائصه المميزة، وعمد بعد ذلك إلى إخضاعه لاختبار قاسٍ في مجالين اثنين هما: تحليل النص القرآني كاملاً، مع إعادة توليده آلياً، ومفردات المعجم الوسيط، وبعد اجتيازه هذا الاختبار بنجاح - كما يقول - تم استخدامه في عدة تطبيقات أساسية، شملت ضغط النصوص، واسترجاعها، واكتشاف الأخطاء الإملائية، وتحليل النصوص صرفياً، وميكنة المعجم العربي، مع دمج هذه التطبيقات في قاعدة للنصوص العربية الكاملة.

وقد أسهمت إدارة البحوث والتطوير بشركة العالمية للبرامج في هذا النموذج التطويري للمعالج الصرفي، وتعدّ موسوعة الحديث الشريف - وهي من إنتاج هذه الشركة - من أهم أنظمة استرجاع النصوص التي استخدمت تقنية التحليل الصرفي^(٤٢).

وليس هذا هو النموذج الأوحده أو المحاولة الأولى لتطوير نظام آلي للتحليل والتركيب الصرفيين، بل هناك نماذج ومحاولات أخرى، قدمها على حدة كل من الدكتور يحيى هلال^(٤٣)، والدكتورة نادية حجازي بالاشتراك مع عبد

الفتاح الشرقاوي^(٤٤)، والدكتور مأمون الخطاب بالاشتراك مع الدكتور حسان عبد المنان^(٤٥) ... إلخ .

وبطبيعة الحال كانت هناك إشكالات كثيرة واجهت معالجة الصرف العربي آلياً، جُلُّها يندرج تحت طبيعة الصرف العربي^(٤٦)، وفي مقابل ذلك أمكن التغلب على تلك المصاعب، وإجراء عمليتي التوليد والتحليل الصرفيين الآليين ضمن الإطار العام للمعالجة الآلية للصرف العربي^(٤٧) .

وقد أنجز العديد من الدراسات المعالجة للصرف العربي آلياً، كما هو الشأن في النماذج السابقة، وقريباً منه ما قدمه الدكتور نهاد الموسى في كتابه (العربية...)^(٤٨)، وكذلك دراسة الأستاذ مروان البواب وزملائه عن نظام اشتقاق الكلمة العربية بالحاسوب^(٤٩) .

أما المستوى النحوي فتمت معالجته آلياً بوساطة تشخيص أزمة النحو العربي أولاً، ثم إدراك خصائص هذا النحو وتحديد أنسب النماذج النحوية التي تتلاءم مع هذه الخصائص ثانياً، والكشف عن موقع هذا النحو بإزاء النظريات النحوية الحديثة ثالثاً، وخاصة نظرية تشومسكي التوليدية التحويلية. وتبعاً لذلك جاءت معالجة النحو العربي آلياً ذات جانبيين: أحدهما تحليلي، والآخر توليدي. فعلى الجانب الأول يقوم المحلل النحوي الآلي بتفكيك الجملة إلى عناصرها الأولية (أي تحليلها إعرابياً)، واستظهار العلاقات النحوية المختلفة. أما على الجانب الآخر فيقوم المولد النحوي بتكوين الجمل على صورتها الأصلية، وبعد ذلك تُجرى عليها عمليات التحويل النحوي المختلفة، كالحذف والإضمار، والتقديم والتأخير^(٥٠) ... إلخ .

والجهود في هذا المجال كثيرة على المستويين النظري والتطبيقي، فنجدها - على سبيل المثال لا الحصر - في بحث الدكتور عبد الرحمن الحاج

صالح عن (منطق النحو العربي والعلاج الحاسوبي)^(٥١)، وبحث الدكتور نبيل علي عن (الحاسوب والنحو العربي)^(٥٢)، وهو بحث لا يكاد يخرج عما أورده في كتابه (اللغة العربية والحاسوب) .

ويضاف إلى هذه الأعمال العلمية في ميدان المعالجة الآلية للنحو العربي بحثٌ للدكتور مازن الوعر بعنوان (التوليد الصوتي والنحوي والدلالي لصيغ المبني للمجهول في اللغة العربية - معالجة لسانية حاسوبية)^(٥٣)، وكذا ما أورده الدكتور نهاد الموسى عن تمثيل النظم، وتمثيل الإعراب، ضمن كتابه (العربية...)^(٥٤)، كما أقيمت دراسات متعددة للمعالجة الآلية في ترتيب عناصر الجملة العربية باستخدام برامج ذات شبكات موسعة، ومن أبرزها نظام المعمدني، ونظام بن حماد وسعيدني، ومحاولة الدقاشي^(٥٥).

ويذكر الدكتور نبيل علي في معرض تناوله للعناصر الأساسية المكونة للمعالج النحوي الآلي متعدد الأطوار للجملة العربية المكتوبة، أنه بصدد تطوير معالج آلي للنحو العربي، يقوم بالمهمة الأساسية للتحليل النحوي الآلي وهي توفير المعطيات اللازمة للتحليل اللغوي الأعمق، التي تتمثل في المصحح الآلي للأخطاء النحوية، والتخاطب مع قواعد البيانات باللغة الطبيعية، والترجمة الآلية من وإلى العربية، وتعليم النحو بواسطة الحاسوب، وإعراب الجملة العربية آلياً^(٥٦). وهذه - على وجه العموم - هي جملة ما تفيده العربية (النحو) من استخدام المعالج النحوي .

أما المستوى المعجمي فمساحة استفادته من الحاسوب واسعة جداً، وبسبب من هذا ظهر ما يسمى بالمعاجم الحاسوبية أو المعاجم الآلية، بل إنه بدأ يأخذ بالبروز بوصفه علماً مستقلاً، أو فرعاً من فروع علم اللغة الحاسوبي يطلق عليه علم المعجم الحاسوبي (MRD) Machine Readable Dictionary

وبظهوره بدأت الصناعة المعجمية تتحول من المعاجم اليدوية أو الورقية إلى المعاجم الآلية أو الإلكترونية .

والمعجم الحاسوبي قطاع عام يضم معاجم لا حصر لها، سواء أكانت هذه المعاجم للناطقين بالعربية، أم معاجم للمصطلحات العلمية، أم معاجم من أنواع خاصة، أم معاجم مفهومة(*)، أم معاجم نصية... إلخ. ويتميز هذا المعجم بميزات هائلة لا تتوافر في المعاجم التقليدية، كالشمول، والانتظام، والاطراد، والدقة والوضوح، والقابلية للتوسع والتعديل^(٥٧) .

ونظراً للقضايا الشائكة التي تحيط بهذا النوع من المعجم، من حيث مستوياته، وحقله المعجمي، ومحتوياته، فقد عقدت له ندوة خاصة نظمتها مدرسة الملك فهد العليا للترجمة بطنجة (المغرب) عام ١٩٩٥م، وكان عنوانها (التقنيات الحاسوبية في خدمة المصطلح العلمي والمعجم المختص)^(٥٨). كما خصص له جلسة نقاش بعنوان (بناء المعجم حاسوبياً) ضمن ندوة استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات^(٥٩)، ولا تكاد تخلو ندوة من الندوات أو مؤتمرات من المؤتمرات في مجال اللسانيات الحاسوبية من بحوث عن المعاجم الآلية .

ويقف الدكتور محمد الحناش (المغرب) في صدارة اللغويين العرب المعاصرين الذين يولون المعجم الحاسوبي عناية خاصة، وجهداً كبيراً. وقد تمثل هذا في دراساته المتعددة عن بناء المعاجم الآلية في اللغة العربية، والمعجم الإلكتروني، والمعجم التركيبي للغة العربية^(٦٠)... إلخ. وهو صاحب مشروع علمي كبير عمل عليه لسنوات طويلة من البحث اللساني الحاسوبي، تُوِّج بإصداره كتاب (المعجم التركيبي للغة العربية - مقدمات في المعالجة الحاسوبية للغات الطبيعية)^(٦١) .

وأسهّم في هذا الإطار نظرياً كل من الدكتور نهاد الموسى، والدكتور أحمد مختار عمر، والدكتور عبد القادر الفاسي الفهري، بما كتبوه من بحوث عن حوسبة المعجم العربي، كما أسهم فيه عملياً الدكتور محمد مراياتي وزملاؤه بوساطة نظام خبير للغة العربية^(٦٢).

ومن المشاريع العلمية ضمن هذا التوجه أيضاً ما قام به معهد اللغة العربية بجامعة الملك سعود بالرياض (السعودية) من إصدار المكنز Corpus الوجيه (معجم في المترادف والمتوارد)، ومعجم التعبيرات الاصطلاحية، بإشراف - الدكتور محمود إسماعيل صيني^(٦٣).

وهناك جهود أخرى تبذل لميكنة المعجم العربي من قبل المراكز العلمية والمؤسسات التجارية، كما هي الحال في مشروع الشركة العالمية للبرامج (صخر) بالكويت، ومشروع الشركة العالمية لبرامج الحاسوب بالقاهرة عن المكنز الآلي أو قاعدة بيانات المادة المعجمية العربية، ومشروع المركز العلمي لشركة آي.بي.إم بالقاهرة لتطوير قاعدة بيانات معجمية^(٦٤)... إلخ.

وينبغي أن أشير هنا إلى أن استخدام الحاسوب في الصناعة المعجمية، رغم كل تلك الميزات والإيجابيات التي تتحقق للمعجم ومستخدميه، هناك بعض النسبيات التي تنتج عنه جراء ذلك، لعل من أبرزها التكاليف المادية الباهظة التي يتطلبها هذا النوع من المعاجم، وما يقتضيه من مهارات خاصة قد لا تتوافر لكثير من مستخدميهم^(٦٥).

على أن ذلك بطبيعة الحال لا يمكن أن يقلل من هذا التوجه المعاصر في حوسبة المعجم العربي، ولا ريب أن صياغته وفق أهداف واضحة، وغايات محددة، ومنهج علمي، ومن ثمّ توظيفه التوظيف الصحيح، سيحقق للعربية، والمعجمية بوجه خاص ما كانت - وما زالت - تصبو إليه من شمولية،

ومرونة، ودقة، ومعاصرة، كما سيحقق لعلمائها وباحثيها ما كانوا يظنون أنه من الأحلام والرؤى، بل المستحيل عينه .

أما المستوى الدلالي فيعد من أعقد الأنظمة اللغوية، وأشدّها تعصيماً على جهاز الحاسوب؛ وذلك عائد إلى أن الدلالة من أقلّ المستويات اللغوية فيما يخص التباين اللغوي - كما يقول الدكتور نبيل علي^(٦٦)، كما أنه يشيع فيها عدة ظواهر تُخرجها من واقع الاستخدام اللغوي وحقيقته إلى المجاز، كالاستعارة، والكناية، والتشبيه، وهذا أمر يتطلب تحديد تلك التعبيرات غير الحقيقية وتصنيفها دلاليًا بما يساعد النظام الحاسوبي على تمثيلها، ومن ثمّ معالجتها آلياً .

ويمثّل المعنى مشكلة كبرى بالنسبة للنظم الآلية، فتعدد المعنى للكلمة الواحدة، وحساسية السياق في تحديد دلالة الكلمة، واختلاف الدلالة باختلاف الثقافات...، كل ذلك يجعل المعالجة الآلية للدلالة تتطوي على مفارقات يصعب بسببها تمثيل هذا المستوى أو توصيفه حاسوبياً، وبسبب من هذا تجاوزت أول دراسة صادرة عن اللسانيات الحاسوبية العربية الحديث عن المعالجة الآلية لعنصر الدلالة في العربية !.

على أن هذا لا يعني أن المعالجة الآلية لجانب الدلالة في اللغة العربية قد أغفلت تماماً، بل إنه كان لها حضورها ضمن المستويات اللغوية الأخرى، كالمستوى الصوتي، وال صرفي، والنحوي، والمعجمي، وضمن قضايا لغوية ذات صلة وثقى بالدلالة، كالترجمة الآلية. وهذا ما نلمسه في الجهود التي بذلت لتغطية هذا الجانب من اللسانيات الحاسوبية، سواءً أكان ذلك في صورة بحوث نظرية، أو برامج تطبيقية .

فمن تلك البحوث ما كتبه الدكتور محمد غزالي خياط - وهو متخصص في الهندسة - عن تمثيل الدلالة الصرفية في النظم الآلية لفهم اللغة العربية^(٦٧)،

وقد خصَّصه صاحبه لأوزان الأفعال في العربية، معتمداً في ذلك التمثيل الدلالي على استخدام نظم القواعد الشرطية، والجمل الإخبارية، والأنماط التقليدية، وقَدَّمَ في ضوء هذا طريقة مقترحة لتمثيل الدلالة الصرفية لأوزان الأفعال .

ومن ذلك أيضاً ما ذكره الدكتور محمد عز الدين (تونس) أثناء حديثه عن تصميم برنامج للترجمة الآلية أطلق عليه (الناقل العربي)^(٦٨)، من أن هذا البرنامج يعمل على مستويات خمسة، من ضمنها مستوى التحليل الدلالي. وقد أوضح الدكتور عز الدين أن التمثيل الدلالي للجملة في هذا البرنامج يهدف إلى تحديد معنى كل كلمة في الجملة حسب السياق، مستعيناً في ذلك بمعطيات معجمية ودلالية، وبقواميس التعبير الاصطلاحية^(٦٩). وللسيد نصر الدين السيد بحث عن التحليل الدلالي للجملة الخبرية العربية باستخدام الحاسوب^(٧٠).

ومجمل القول في هذا إن المعالجة الآلية للدلالة العربية ما زالت في مراحلها الأولى، وهي تحتاج إلى بذل المزيد من الجهود لتصل إلى مرحلة متقدمة من مراحل التنظير والتطبيق والبرمجة .

ويفضي بنا هذا الأمر إلى الحديث عن الترجمة الآلية Machine Translation التي تعد من أقدم مجالات استخدام الحاسوب في اللغة .

وقد نال هذا الجانب من اللسانيات الحاسوبية العربية حيزاً كبيراً ومساحةً واسعةً من الجهود المبذولة، وذلك بالنظر إلى أنها الأنموذج الآلي للمنظومة اللغوية^(٧١) .

وكانت فكرة الاستعانة بالحاسوب في الترجمة قد طرحت عام ١٩٤٩م بأمریکا، ثم تحولت إلى مشروع علمي عام ١٩٥١م في معهد ماساشوستس للتقنية (M.I.T)، وكان عام ١٩٥٤م ميلاد الترجمة الآلية الفعلي، التي سرعان

ما انتقل الاهتمام بها إلى المراكز البحثية والجامعية في أوروبا والاتحاد السوفييتي، ودخل القطاع الخاص (التجاري) في السبعينيات منافساً لتلك المركز العلمية في العناية بالترجمة الآلية^(٧٢) .

أما واقع الترجمة الآلية* في الوطن العربي فقد حدث في التسعينيات من القرن المنصرم (العشرين) تطور نوعي في مشروعات الترجمة الآلية على المستويين النظري والعملي (البرامج) .

فعلى المستوى النظري نجد طائفة من البحوث التي تعنى بهذه المسألة، سواء أكانت مؤلفة أو مترجمة. وقد اقتصرَت الأبحاث النظرية على تحديد الصعوبات التي تعترض الترجمة الآلية، وكيفية التغلب عليها، وميزات هذا النوع من الترجمات، مع ذكر عمليات هذه الترجمة وأنظمتها المختلفة^(٧٣).

أما المستوى الآخر، وهو برامج الترجمة الآلية العلمية منها والتجارية، فقد أسهمت فيها جهود ذاتية (فردية)، وشركات تجارية، منها ما هو عربي، ومنها ما هو غربي، ومنها ما هو مشترك بينهما. ومن ذلك برنامج شركة صخر المسمى (القاموس Dictionary)، وبرنامج الناقل العربي، وبرنامج ترجمان، وبرنامج المترجم، وبرنامج عرب ترانز Arabtrans ... إلخ^(٧٤). وقد بدأت هذه البرامج بالعمل الفعلي، وما زال التطوير يلاحقها يوماً بعد يوم، وتتم الترجمة فيها من الإنجليزية إلى العربية، والعكس، وهذا تطور إيجابي يعكس الرغبة في نقل الثقافة العربية إلى الآخرين، مما يعد تحولاً ذا دلالة عميقة في الانتقال بالترجمة من الاستيراد إلى التصدير، بلغة الاقتصاديين .

ومن الملاحظ أن الترجمات الآلية كانت في بدء أمرها مقتصرة على ثنائية اللغات، أو ما يعرف باللسانيات التقابلية Contrastive Linguistics، أما الآن وبعد النقلة الكبيرة في هذا المضمار فقد أصبحت تقوم بترجمة عدد

كبير من اللغات في وقت واحد، وهو ما يعرف بالترميز الرقمي
Digital Coding^(٧٥) .

وبعد، فلئن كانت هناك في الماضي صيحات تحاول أن تُهَوِّن من شأن
الترجمة الآلية، وتُشكك في نجاحاتها، فإنها الآن بدأت تطالب بإلحاح بتطوير
أنظمة هذه الترجمة، بعد أن حققت نتائج ملحوظة وخاصة في ميدان النصوص
العلمية. واللغويون والحاسوبيون العرب مطالبون أكثر من أي وقت مضى
بالإفادة القصوى من معطيات الترجمة الآلية المعاصرة لدى الغرب، وتسخيرها
لخدمة اللغة العربية .

أما الكتابة العربية ومعالجتها آلياً، فتعد الكتابة العربية من ضمن أهم
المشكلات التي واجهت التحليل الحاسوبي، حيث تتعدد الأشكال البصرية للحرف
الواحد تبعاً لموقعه من الكلمة، كما أن اتجاه الكتابة العربية هو من اليمين إلى
اليسار، يضاف إلى ذلك أن حروفها متصلة وليست منفصلة... إلخ^(٧٦) .

وتبعاً لهذا قامت عدة محاولات لتلافي مشاكل الكتابة العربية في الحاسوب،
وكان من بينها مشروع الأستاذ أحمد الأخضر غزال، الذي أطلق عليه الطريقة
المعيارية للطباعة العربية، أو العربية المعيارية المشكولة - الشفرة العربية، والتي
تعرف اختصاراً بـ(العمم-شع)، كما سبق، وقد تم هذا عام ١٩٥٤م، ثم طُورت
للتلاءم مع التقدم التقني في الحاسوبات عام ١٩٧٤م^(٧٧) .

ويذكر الدكتور مازن الوعر أنه مع تطور الإلكترونيات أصبح هذا
التصميم غير واقعي، مما جعل بعض الباحثين يضع تصميماً آخر عرف
بـ(معالجة السياق)، أي استنباط الحرف من سياق الحروف، وليس من سياق
المعنى^(٧٨) .

وهناك أيضاً الشفرة العربية الموحدة للكتابة العربية التي تعرف بـ(الشفرة سباعية العزوم) التي أقرتها سنة ١٩٨٣م المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس^(٧٩). وفي الحقيقة أنني لا أعلم الآن ماذا تم بشأن تطوير هذه الشفرة خاصة أنه مضى عليها زمن طويل .

ومن تلك المحاولات ما قدمه الدكتور عاصم عبد الفتاح نبوي، والدكتور صبري عبد الله محمود، من تطوير نظام للتعرف على حروف العربية باستخدام شبكة عصبية ذات انتشار رجوعي^(٨٠) .

ومن الجوانب الأخرى التي أمكن للغة العربية الاستفادة منها من الحاسوب تعليم اللغة، سواء للناطقين بها من أبنائها، أو للناطقين بغيرها من اللغات. لقد استطاع الحاسوب أن يقدم للناطقين بالعربية نظاماً حاسوبية وبرامج لإكساب المتعلمين المهارات اللغوية المتعددة، كالقراءة، والكتابة، والمحادثة، والاستماع، إضافة إلى معالجة الخطوط العربية معالجة حاسوبية، والتدقيق الإملائي والنحوي، ووضع معاجم لغوية حاسوبية لمراحل التعليم العام، وتعليم الأطفال الأرقام والحروف والكلمات .

كما استطاع الحاسوب أن يسهم في مجال تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، بإمكاناته وقدراته الهائلة في التعليم المبرمج^(٨١)، ويوجد بمعهد اللغة العربية بجامعة أم القرى (مكة المكرمة) حالياً معمل حاسوبي لتعليم العربية للناطقين بغيرها، وهي تجربة فريدة ذات أبعاد علمية وحضارية، نأمل أن تتوسع دائرتها ومجال تطبيقاتها، وأن يكتب لها النجاح .

وبدهي القول إن الإفادة من الحاسوب في هذا المجال (المجال التعليمي) مرهونة بالنجاح في المعالجة الآلية للغة العربية أولاً .

هذا ما يتعلق بالمعالجة الآلية للنظم اللغوية العربية، أما البرامج الموضوعية لذلك، وهي كما يقول الدكتور نهاد موسى : «منجزات تطبيقية تستثمر التوصيف في وجوه من التوظيف»^(٨٢)، فإنها أكثر من أن تحصر، وخاصة أن الشركات التجارية العاملة في مجال الحاسوبيات تدفع يوماً إلى السوق برامج علمية وتعليمية، تتفاوت فيما بينها دقةً ومنهجيةً وأهدافاً، وهي تحتاج من الباحثين تقييماً وتقويماً، وهذه الدراسة الحالية لا تفي مطالبها باستعراض مجمل هذه البرامج ؛ إذ إن الخوض فيها يتطلب وقفة مطولة، وعسى أن نفرغ لها - أو غيرنا - في المستقبل المنظور إن شاء الله^(٨٣) .

وأما الصورة الأخيرة لرصد الجهود في ميدان اللسانيات الحاسوبية العربية فتتمثل - كما تقدم - في إنشاء قسم خاص لعلم اللغة الحاسوبي (اللسانيات الحاسوبية) في جامعة الأمير سلطان الأهلية بالرياض (السعودية)، وهو - على حد علمي - أول قسم متخصص في هذا المجال بالجامعات العربية، ولا شك أن إنشائه جاء نتيجة لمتطلبات السوق الاقتصادية من جهة، وتوتجياً - من جهة أخرى - للجهود الحاسوبية العربية التي أصبحت تشكل اتجاهاً عاماً في الدراسات اللغوية المعاصرة .

وبعد، فلقد تبين لنا بهذا العرض الموثق بما لا يدع مجالاً للريبة والشك أن اللغة العربية هي المستفيد الأول من استخدام تقنية الحاسوب، وأن الحاسوب يمكن تطويع آلياته وأنظمتها لتتواءم مع خصوصية اللغة العربية، على جميع مستوياتها اللغوية، الصوتية منها، والصرفية، والنحوية، والمعجمية، والدلالية. وتم بجهود الباحثين العرب، اللغويين منهم والحاسوبيين، تمثيل الكلام المنطوق وتوليده آلياً، وتحليل الكلمات المفردة وتركيبها آلياً، وتوصيف الجمل وتوليدها وإعرابها آلياً، وقراءة النصوص المكتوبة وتصحيحها ومعالجتها آلياً، وصناعة

المعاجم الآلية، وإنشاء البنوك المصطلحية، وتصويب الأخطاء النحوية والصرفية والإملائية آلياً، وتصميم البرامج الحاسوبية للترجمة الآلية، وتعليم اللغة العربية لأبنائها وغير أبنائها بواسطة الحاسوب .

إن هذه الجهود مؤشر حقيقي على نجاح الحاسوب في خدمة اللغة العربية، وتوظيفه في معالجة قضاياها المختلفة، تحليلاً، وتوليداً، وترجمة، وتعليماً، وصياغتها صياغة رياضية دقيقة وفق علاقة متبادلة بين المقاييس العلمية والمقاييس اللغوية .

والمحصلة النهائية لهذه الجهود تصب في خانة قدرة العربية على استيعاب لغة العصر، وتمثل تقنياته التكنولوجية بكل كفاية واقتدار، وهذه قضية من القضايا التي واجهتها - وما زالت تواجهها - كينونة الأمة العربية وحضارتها اللغوية، وهويتها الثقافية .

ومع كل ما ذكرته من إسهامات في اللسانيات الحاسوبية وتوظيفها لخدمة العربية - وهناك الكثير من تلك الإسهامات لم أتمكن من الاطلاع عليها، أو عرضها في هذه الدراسة - فإن الطريق في هذا المضمار مازال شاقاً وطويلاً، والأمل معقود على جميع العلماء والباحثين الذين أوقفوا أنفسهم على هذا المجال النادر من مجالات العلم والمعرفة الإنسانية، أن تتكاتف جهودهم لتذليل العقبات وحل المشكلات التي تحيط بلغة القرآن الكريم إزاء الثورة المعلوماتية - الحاسوبية المعاصرة .

واختتم هذه الدراسة بإبداء جملة من المقترحات، أحسب أنها تسهم في توطئ هذا التوجه في الدراسات اللغوية المعاصرة، وتدفع به نحو الأمام والأفضل، وهي على النحو الآتي :

أولاً : أن تتضافر الأعمال في مجال اللسانيات الحاسوبية العربية وتتآزر بين اللغويين والحاسوبيين في أي مشروع علمي يهدف إلى برمجة الأنظمة اللغوية للعربية، وتحليلها، ومعالجتها آلياً. وأرى في هذا المقام أن أي عمل منفرد، أو مستقل عن الطرف الآخر من المعادلة، أو غير منسق بين هذه الفئات العلمية، إنما هو بمثابة جهد ضائع لا طائل من ورائه .

إن التعاون والتنسيق في هذا الميدان - إن تمَّ - ستكون نتائجه غاية في الأهمية، وستدفع به خطوات وثقة إلى الأمام، وسوف تتغير قناعات ومسلمات كانت أشبه بالحقائق التي لا تقبل الجدل والنقاش حولها، كما ستتأكد قضايا في اللغة كانت أقرب ما تكون إلى الاحتمال والرجحان والظن، وهذا ما توفره اللسانيات الحاسوبية للعلوم الإنسانية بعامة .

والواقع أن هذا الأمر، أعني التقاء علماء اللغة وعلماء الهندسة والحاسوب، كان - وما زال - مطلباً ملحاً، وضرورة قصوى، لأي عمل ناجح في هذا الميدان على وجه الخصوص، وهو ما أكدت عليه جميع المؤتمرات التي عقدت لمناقشة قضية الحاسوب واللغة العربية .

ثانياً : ترجمة جميع الأعمال العلمية في مجال اللسانيات الحاسوبية العربية، التي كتبت باللغات الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، وغيرهن من اللغات، التي وضعها باحثون عرب وأجانب، ونقلها إلى العربية.

ثالثاً : عدم ترك أمر البرمجيات الحاسوبية العربية بيد الشركات ومراكز البحوث الغربية، بل ينبغي أن يصممها أبناؤها، فهم أقرب الناس رحماً بهذا المجال .

رابعاً : صناعة معجم موحد لمصطلحات اللسانيات الحاسوبية، بالعربية والإنجليزية، وفق المتعارف عليه علمياً في هذا النوع من المعاجم الاصطلاحية أو المصطلحية^(٨٤) .

خامساً : أن يكون علم اللغة الحاسوبي مقرراً دراسياً معتمداً في أقسام اللغة العربية بكليات الآداب، والتربية، كما هي الحال في كلية الآداب بجامعة الكويت .

سادساً : إنشاء قسم خاص للغويات الحاسوبية في الكليات والجامعات العربية يمنح درجة البكالوريوس في هذا التخصص، على غرار ما هو موجود بجامعة الأمير سلطان الأهلية بالرياض .

سابعاً : نشر تلك الرسائل العلمية التي كتبت أصلاً باللغة العربية عن قضايا استخدام اللغة العربية في الحاسوب، وهي تُشكّل فيما اطلعت عليه إسهاماً فاعلاً في ترسيخ هذا الاتجاه، ومعالجة موضوعية وعلمية لكثير من مشكلات تعامل العربية مع الحاسوب .

ثامناً : أن ما طرحه الدكتور نبيل علي في كتابه (اللغة العربية والحاسوب) من قائمة مقترحة في مجال بحوث اللسانيات الحاسوبية مطبقة على اللغة العربية، يحسن أن يكون قاعدة جيدة للانطلاق منها نحو تفعيل النشاط البحثي وتطويره في هذا المجال .

صحيح إن بعض ما اقترحه كان بعد ذلك ميدان عناية الباحثين، ولكن كثيراً منها ما يزال في انتظار الأقلام المخلصة والعقول النيرة التي ستضيف بعداً جديداً للاتجاه الحاسوبي في دراسة اللغة، وهو ما نتمنى أن يحدث في القريب العاجل بإذن الله،،،

الهوامش والمراجع

- (١) ينظر: د.نبيل علي، اللغة العربية والحاسوب، دار تعريب، ١٩٨٨م، ص ٣
د.أحمد شرف الدين أحمد، العلوم الشرعية والحاسبات، مجلة جامعة الملك
سعود (علوم الحاسب والمعلومات) المجلد ٧، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ص ١ .
- (٢) وردت هذه المعلومة في ندوة علمية عن اللسانيات الحاسوبية المعلوماتية،
عقدت في قسم اللسانيات الحديثة بجامعة جورج تاون - واشنطن العاصمة،
سنة ١٩٨٣م، وأدارها الدكتور مازن الوعر، ونشرها بعد ذلك في كتابه:
دراسات لسانية تطبيقية، ط ١، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٩م، ص ٣٢٥
وللمزيد ينظر د.أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، ط ١، عالم
الكتب، القاهرة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ص ١٦٨ (هامش ١) .
- (٣) ينظر د. محمد صالح بن عمر، الثورة التكنولوجية واللغة، ط ١، دار
الشؤون الثقافية العامة - وزارة الثقافة والإعلام، بغداد - العراق، ١٩٨٦
م، ص ٣٢-٣٥ .
- (٤) ينظر: د. أحمد شرف الدين أحمد، العلوم الشرعية والحاسبات (مصدر
سابق)، ص ٢ .
- (٥) صدرت هذه الدراسة الإحصائية - في كتابين اثنين - عن جامعة الكويت،
سنتي ١٩٧١ و ١٩٧٢م . ونظراً لأهمية هذا الاتجاه الإحصائي في البحث
اللغوي فقد نفذت نسخ هذين الكتابين في وقت قياسي، مما أدى إلى طباعتها
مرة ثانية سنة ١٩٧٣م، وضمهما في مجلد واحد. كما نشرتها الهيئة المصرية
العامة للكتاب سنة ١٩٧٨م، وتعد الطبعة الثالثة لها .

(٦) ينظر: د.علي حلمي موسى، دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكمبيوتر، ص٩ (جامعة الكويت، ١٩٧٣م) .

(٧) لمزيد من التفاصيل حول نتائج هذه الجداول الإحصائية لمعجم الصحاح ينظر: المصدر السابق، ص ١٧-٤٨ (ط١٩٧٨م)، د. علي حلمي موسى، استخدام الحاسب الإلكتروني في اللغة العربية - تحليل محتويات نتائج معجم الصحاح، مجلة الثقافة المصرية، السنة ٦، العدد ٦٩، يونيو ١٩٧٩م، ص ٥٢-٥٤، د.إبراهيم أنيس، النظامة الإلكترونية تحصي جذور مفردات اللغة العربية، مجلة اللسان العربي، المجلد ١٠، الجزء ١، ١٩٧٣م، ص ٢٠٧-٢١١ .

(٨) ينظر ما ذكره الدكتور علي حلمي موسى حول هذا الأمر في : دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكمبيوتر، ص٤٣ (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨م) .

(٩) تنظر هذه القضايا الإحصائية عند: د. علي حلمي موسى - د. عبد الصبور شاهين، دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس باستخدام الكمبيوتر، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٧٣م، ص ٥-٧٢ .

(١٠) ينظر: مقاله : استخدام الآلات الحاسبة الإلكترونية في دراسة ألفاظ القرآن الكريم، مجلة عالم الفكر (الكويت)، المجلد ١٢، العدد ٤، ١٩٨٢م، ص ١٥٣-١٩٤. وهناك دراسات إحصائية أخرى بالإنجليزية . ينظر: د.نبيل علي، اللغة العربية والحاسوب، ص١٨٢-١٨٣ .

(١١) ينظر مقاله : الحاسب الإلكتروني يدرس شعر (كعب) بن زهير بن أبي سلمى، محاولة رائدة في الدراسات اللغوية، مجلة الكاتب (المصرية)، السنة ١٤، العدد ١٦٥، ١٩٧٤، ص ٤٥-٤٨ .

(١٢) د.مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، - مدخل - ط١، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٨م، ص ٤٠٦. وينظر: المؤلف نفسه، دراسات لسانية تطبيقية، ص ٣١٧-٣٢٠، د.رمزي بعلبكي، معجم المصطلحات اللغوية، ط١، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ١٩٩٠م، ص ١١٠، ٣٠١، د.محمد علي الخولي، معجم علم اللغة التطبيقي، ط١، مكتبة لبنان بيروت، ١٩٨٦م، ص ٢١ .

(١٣) د.مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص ٤٠٧. وينظر: د.نهاد الموسى، العربية - نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ٥٤ .

(١٤) د. نهاد الموسى، العربية - نحو توصيف جديد ...، ص ٥٣. وينظر: د.مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص ٤٠٧، اللسانيات والحاسوب واللغة العربية، صحيفة رؤى ثقافية (سورية)، العدد ٤، ٢٠٠٣م، ص ٢٣ .

(٥) الدكتور نبيل علي أحد أبرز المتخصصين في بحوث اللغويات الحاسوبية، ويعمل منذ سنوات طويلة في مجال الكمبيوتر ونظم المعلومات، برمجة، وتصميم، وإدارة، وبحثاً. وهو صاحب فكرة مشروع كمبيوتر صخر والعالمية للبرامج. له من المؤلفات: اللغة العربية والحاسوب، العرب

وعصر المعلومات، الثقافة العربية وعصر المعلومات، صورة الثقافة العربية والحضارة العربية والإسلامية على الإنترنت .

(١٥) صدر عن مؤسسة تعريب (?) سنة ١٩٨٨م. وكان المؤلف قد مهد لصدور هذا الكتاب ببحث نشره في مجلة عالم الفكر، المجلد ١٨، العدد ٣، ١٩٨٧م، ص ٥٩-١١٨ بعنوان (اللغة العربية والحاسوب)، ثم صدر هذا الكتاب في طبعته الثانية سنة ١٩٩٨م عن دار غريب بالقاهرة . ولهذا الكتاب عرض تحليلي للدكتور علي فرغلي، نشره في مجلة عالم الفكر (الكويت)، المجلد ٢٠، العدد ٣، ١٩٨٩م، ص ٢٥٥-٢٧٨، كما أن له مراجعة أخرى للدكتور نهاد الموسى نشرها في المجلة العربية للعلوم الإنسانية (جامعة الكويت)، العدد ٣٨، المجلد ١٠، ١٩٩٠م، ص ٢٤٤-٢٥١ .

(١٦) د. نهاد الموسى، كتاب اللغة العربية والحاسوب لنبيل علي (مراجعة) المجلة العربية للعلوم الإنسانية (جامعة الكويت)، العدد ٣٨، المجلد ١٠، ١٩٩٠م، ص ٢٥١ .

(١٧) صدر هذا الكتاب سنة ١٩٩٦م، عن جامعة اليرموك - إربد (الأردن) .

(١٨) د. نهاد الموسى، العربية - نحو توصيف جديد ...، ص ٤٥ .

(١٩) صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت .

(٢٠) د. نهاد الموسى، العربية - نحو توصيف جديد ...، ٢٨٨ .

(٢١) لعل من أهم المؤتمرات والندوات التي تناولت بحوثها قضية اللسانيات الحاسوبية العربية ما يلي :

- أ - ندوة استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات، التي نظمتها مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض، سنة ١٩٩٢م.
- ب - ندوة استخدام اللغة العربية في الحاسب الآلي، التي عقدت بالكويت عام ١٩٨٥م .
- ج - مؤتمر اللسانيات التطبيقية العربية ومعالجة الإشارة والمعلومات، الذي عقده المركز القومي للتنسيق والتخطيط للبحث العلمي والتقني ومعهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالمغرب (الرباط) عام ١٩٨٣م (صدرت أعماله في كتاب بالإنجليزية والفرنسية) .
- د - المؤتمر الأول والثاني للغويات الحاسوبية العربية، اللذان عقدا في الكويت، سنة ١٩٨٩م
- هـ - ندوة اللغويات الحاسوبية العربية، التي عقدت في القاهرة، سنة ١٩٩٢م .
- و - أعمال المناظرة المنظمة بمؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية تحت عنوان : اللغة العربية والتقنيات المعلوماتية المتقدمة، الدار البيضاء، ١٩٩٣م .
- ز - مؤتمر استخدام اللغة العربية في المعلوماتية، الذي عقدته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٩٦م .
- ح - الملتقى الرابع للسانيات (اللسانيات العربية والإعلامية) الذي عقده مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية بالجامعة التونسية سنة ١٩٨٧م .

ط - المؤتمر الدولي الثاني في اللغة والترجمة (دور التكنولوجيا الحديثة في تعلم اللغات وتعليمها) الذي عقده مركز أطلس العالمي للدراسات والأبحاث بعمان، في ١٤ - ١٥ / ١٢ / ٢٠٠٢م (صدرت أعماله في كتاب سنة ٢٠٠٥م) .

(٢٢) د. نهاد الموسى، العربية - نحو توصيف جديد ... ص ٣٤-٥٢، وللمزيد ينظر: د. مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص ٤٠٨-٥٠٣، دراسات لسانية تطبيقية ص ٣١٣-٣٩١ .

(٢٣) هذا الكتاب سيصدر قريباً - إن شاء الله - عن مركز بحوث اللغة العربية وآدابها، بمعهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، بجامعة أم القرى (مكة المكرمة) .

(٢٤) ينظر: دور الكمبيوتر في البحث اللغوي، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الجزء ٢٨، ١٩٧١م، ص ٧-١١، مسطرة اللغوي، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الجزء ٢٩، ١٩٧٢م، ص ٧، الحاسبات الإلكترونية في البحوث اللغوية، مجلة المجمع العلمي المصري للثقافة العلمية، العدد ٤٢، ١٩٧٣م، ص ١٩٧-٢٠٣ .

(٢٥) ينظر: مسطرة اللغوي (مصدر سابق) ص ٧ .

(٥) (العم - شع) هو مصطلح مختصر منحوت من أوائل الحروف الأولى من النموذج الذي وضعه الأستاذ أحمد الأخضر غزال، وأطلق عليه اسم (العربية المعيارية المشكولة - الشفرة العربية). وللمزيد حول هذا المشروع ينظر: د. مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص ٤١٨ فما بعدها .

(٢٦) ينظر : د. نبيل علي، الحاسوب واللغة العربية، ص ١٠١-١١١، ص ١٧٨،
السجل العلمي لندوة استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات،
ص ٣١٥-٣٦٠، ص ٥٨٣-٦٥٠ .

(٢٧) ينظر - على سبيل المثال - : د. محمود فهمي حجازي، البحث اللغوي،
مكتبة غريب، القاهرة، د.ت، ص ١١١-١١٨، د.سعد الحاج بكري، مسألة
المصطلحات في تعريب الحاسبات، المجلة العربية للعلوم (تونس)، العدد
١١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، د. محمد مرياتي وزميله، التكنولوجيا الحديثة
والمصطلح العلمي العربي في ظل اقتصاد المعرفة، مجلة مجمع اللغة
العربية بدمشق، المجلد ٧٥، الجزء ٣، ١٤٢١هـ، ص ٦٤٩ فما بعدها .

(٢٨) ينظر: د. أحمد بوعزي، تعريب المصطلحات المستعملة في الحواسيب
الصغرى، ضمن (السجل العلمي لندوة استخدام اللغة العربية في تقنية
المعلومات) مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ١٤١٤
هـ - ١٩٩٣م، ص ٤٩٣ فما بعدها، د. داود عبده، مصطلحات الحاسب
الآلي دراسة وقائمة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،
١٩٩٥م.

(٢٩) لمزيد من التفاصيل حول بنوك المصطلحات، وأهدافها، ونظام العمل بها،
ينظر: د. محمود إسماعيل صيني، بنوك المصطلحات الآلية، مجلة اللسان
العربي، العدد ٤٨، ١٩٩٩م، ص ٢١١-٢٢١، د. عبد الرحمن بن عبد
العزيز الفاضل، البنك الآلي السعودي للمصطلحات (باسم)، مجلة اللسان
العربي، العدد ٤٧، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ص ٧٩-١٠٥، ليلي المسعودي،

علم المصطلحات وبنوك المعطيات، مجلة اللسان العربي، العدد ٢٨،
١٩٨٧م، ص ٨٥-٩٣ .

(٥) تقوم فكرة معالجة النصوص على كتابة النص - أي نص - باللغة
العربية، ومن ثم مراجعته وتنقيحه، وطباعته بعد ذلك .

(٣٠) د. نبيل علي، اللغة العربية والحاسوب، ص ١٣١ . وينظر: ص ٥٢-٥٤
من هذا الكتاب .

(٣١) المصدر السابق، ص ١٣٢-١٣٥ .

(٣٢) د.نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، المجلس الوطني للثقافة
والفنون والآداب، الكويت (سلسلة عالم المعرفة، رقم ٢٦٥)، ٢٠٠١م،
ص ٢٥٤ .

(٣٣) هذه الدراسات الإحصائية منها ما كان في رسالة جامعية بجامعة دمشق
سنة ١٩٨٣م، ومنها ما قدم لمركز الدراسات والبحوث العلمية بدمشق
سنتي ١٩٨٢م و ١٩٨٥م . ينظر: د.محمد مرياتي وزملاؤه، المعجم
الحاسوبي في نظام خبير للغة العربية، ضمن (بحوث المؤتمر العلمي
الأول حول الكتابة العلمية باللغة العربية - واقع وتطلعات) الذي نظّمته
جامعة العرب الطبية، بنغازي - ليبيا، وشارك في تنظيمه معهد الإنماء
العربي، بيروت، واليونسكو، سنة ١٩٩٠م ص ٣٣٩، ٣٥٨ .

(٣٤) تنظر هذه الدراسات الإحصائية عند : د.نبيل علي، اللغة العربية
والحاسوب، ص ١٨٢-١٨٣، د.مازن الوعر، قضايا أساسية في علم
اللسانيات الحديث، ص ٤١٦ .

(٠) المعالجة الآلية للغة العربية لا نعني بها هنا مجرد إدخال الحروف العربية من لوحة المفاتيح، وطباعتها على الورق، أو إظهارها على شاشة العرض فحسب، بل نعني بها في مفهومها الأوسع شمول نظم برامجها للمستويات اللغوية المتعددة، كنظام الصرف الآلي، ونظام الإعراب الآلي، ونظام التحليل الدلالي الآلي، وقواعد البيانات المعجمية والقواميس الإلكترونية، ومنهجيات هندسة اللغة، وكذلك ما يندرج تحت هذه المستويات، كالترجمة الآلية، والتدقيق الهجائي والنحوي، والفهرسة والاستخلاص الآلي، وفهم الكلام ونطقه آلياً. ينظر: د.نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، ص ٢٨٧ ..

(٣٥) نشرت هذه الدراسة ضمن (السجل العلمي لندوة استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات) مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ص ٨٣ -٩٠. والدكتور منصور الغامدي أحد المتخصصين في علم الأصوات الحديث، وهو يتبنى حالياً أحد المشاريع العلمية في مجال الأصوات بمعهد بحوث الحاسب والإلكترونيات، التابع لمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية بالرياض .

(٣٦) نشرت هذه الدراسة ضمن (وقائع مختارة من ندوة استخدام اللغة العربية في الحاسب الآلي) التي عقدت بالكويت سنة ١٩٨٥م، وصدرت عن دار الرازي، بيروت - لبنان، ١٩٨٩م، ص ٢٥-٥٧ .

(٣٧) نشرت هذه الدراسة ضمن كتاب المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (استخدام اللغة العربية في المعلوماتية) تونس، ١٩٩٦م. وللدكتور نهاد الموسى عرض لها وتعليق عليها. ينظر: العربية - نحو توصيف جديد.....، ص ٤٣-٤٤ .

(٥) تعد الدكتورة تغريد السيد عنبر (مصر) من المتخصصين في علم اللغة الحاسوبي، وخاصة الترجمة الآلية، وهي - الآن - صاحبة شركة كمبيوتر تعمل في مجال تطويع اللغة العربية للتعامل مع الحاسوب، وقد صدر عنها أول مدقق إملائي عربي في المايكروسوفت، والمدقق النحوي لتصحيح الأخطاء النحوية، والترجمة الآلية من العربية للإنجليزية والعكس. للمزيد من التفاصيل ينظر اللقاء الذي أجري معها ونشر بمجلة المجلة (لندن)، صفحة (فكر ونقاش)، العدد ١٠٦٣، ٢٥ يونية - ايلول ٢٠٠٠م، ٢٣-٢٩ ربيع الأول ١٤٢١هـ، ص ٥٢-٥٦.

(٣٨) لمزيد من التفاصيل حول المعالجة الآلية للأصوات (الكلام) في اللغة العربية، والجهود المبذولة فيه ينظر: د.نبيل علي، اللغة العربية والحاسوب، ص ١٨٤، ص ٤٢١-٤٥٦، سامر الأناسي، نظرة عامة على مكونات التطبيقات العربية المتقدمة للحاسوب، ضمن (وقائع مختارة من ندوة استخدام اللغة العربية في الحاسب الآلي) ص ١٤-١٥، ١٩-٢٠. د. محمد صالح ابن عمر، اللغويون العرب المعاصرون والوسائل التقنية الحديثة في دراسة الأصوات، مجلة دراسات عربية (بيروت) العددان ١-٢، السنة ٢٢، ١٩٨٥م، ص ٦٠-٧٨. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن للدكتور عبد الرحمن أيوب كتاباً بعنوان (الكلام إنتاجه وتحليله) صدر عن جامعة الكويت سنة ١٩٨٤م، وقد عالج فيه الكلام وتوليدته معالجة تعتمد على الآلات التقنية الخاصة بدراسة الناحية المادية للغة، كآلات التحليل الفيزيولوجي، والتحليل الأكوستيكي للأصوات، وآلات إنتاج الأصوات الصناعية، وهذه أجهزة أصبحت الآن في ذمة التاريخ بوجود الحاسب الإلكتروني، ولكن هذه الدراسة تظل في إطارها الزمني رائدة في مجالها،

وذا ت قيمة علمية لا يمكن لباحث منصف الغض من شأنها، أو التقليل من جدواها العلمية . ولقد كان مؤلف هذا الكتاب - وهو من هو في ميدان الدراسات اللغوية المعاصرة - أميناً مع نفسه حينما اعترف بتواضع العلماء بأن كتابه هذا فيه بعض القصور أو سوء الفهم، ومع ذلك فهو لا يخشى أن يقدمه برغم هذا للناس؛ لأنه لم يرد له أن يكون الكلمة الأخيرة، ولن يؤذيه أن يكون الخطأ الذي يدفع الآخرون لتصحيحه... (ينظر: الكلام إنتاجه وتحليله، ص ١٠ من مقدمة المؤلف). وليس الأمر على ما ذكر، بل هو - في نظري - الخطوة الأولى التي تدفع الآخرين لتطويرها، ومحاولة اللحاق بركب التقدم المتسارع في هذا المجال . وقدماً قِيل، وما أصدق ما قيل : وإنما الفضل للمتقدم .

(٣٩) د. نبيل علي، اللغة العربية والحاسوب، ص ٤٥٥ . وقد ذكر المؤلف في هذا الكتاب عدة نقاط لدفع جهود التطوير والبحث في معالجة الكلام العربي آلياً . ينظر : ص ٤٥٥-٤٥٦ .

(٤٠) تنظر هذه الجوانب عند : د. نبيل علي، اللغة العربية والحاسوب، ص ٢٧٤-٢٩٦ .

(٤١) ينظر: المصدر السابق، ص ٣٠١-٣١٤، ص ١٨١-١٨٢ .

(٤٢) نفسه، ص ١٨١، ٣٣١-٣٣٢ . وينظر: مساعد الطيار، كفاءة التحليل الصرفي في استرجاع النصوص العربية، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، المجلد ٤، العدد ١، ١٤١٩هـ، ص ٧-٢٣ .

(٤٣) نشر هذا النموذج في بحث له بعنوان (التحليل الصرفي للعربية) ضمن (وقائع مختارة من ندوة استخدام اللغة العربية في الحاسب الآلي)

ص ٢٦٥-٢٨٥. وينظر له أيضا: التوليد من الجذور والوزن، ضمن ندوة (تقدم اللسانيات في الأقطار العربية) ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩١م، ص ٣٣٧-٣٤٣.

(٤٤) نشرت ضمن (وقائع مختارة من ندوة استخدام اللغة العربية في الحاسب الآلي)، ص ٥٩-٧٨، وذلك في بحثها الموسوم بـ (معالجة اللغة العربية الطبيعية آلياً).

(٤٥) نشرت تجربتهما في بناء محل صرفي باستخدام الحاسوب في (الموسم الثقافي الرابع عشر لمجمع اللغة العربية الأردني) ١٩٩٦م، وذلك في بحثهما الموسوم بـ (التحليل الصرفي للغة العربية باستخدام الحاسوب)، وللدكتور نهاد الموسى عرض له وتعليق عليه. ينظر: العربية - نحو توصيف جديد...، ص ٤٢-٤٣، ص ٥١. ولمزيد من التفاصيل حول النظم الآلية المقترحة لمعالجة الصرف العربي، التي قدمها باحثون عرب أو أجنب ينظر: د.نبيل علي، اللغة العربية والحاسوب، ص ٣٣٠-٣٣١. د.نهاد الموسى، العربية - نحو توصيف جديد...، ص ٤٥.

(٤٦) لمعرفة تلك الإشكاليات ينظر: د. نبيل علي، اللغة العربية والحاسوب، ص ٢٩٨-٣٠١.

(٤٧) لمزيد من التفاصيل حول العناصر الرئيسية التي يحتويها الإطار العام لمعالجة الصرف العربي آلياً، ومجالات استخدامه، ينظر: المصدر السابق، ص ٣٠١-٣٣٠، د. مراد عبد الرحمن مبروك، أثر التقنيات المعلوماتية في لسانيات النص الأدبي (النص النقدي خاصة) المجلة العربية للعلوم الإنسانية - جامعة الكويت - العدد ٦٠، السنة ١٥، ١٩٩٧م، ص ٥٤ - ٥٧.

(٤٨) ينظر: د. نبيل علي، اللغة العربية والحاسوب، ص ١٩٧-٢٣٣. وقد ذكر الدكتور نبيل علي أن له وزميلته أمل الشامي بحثاً عن التحليل الصرفي للقرآن باستخدام الحاسوب، قيد النشر. ينظر: المصدر السابق، ص ٣٣٢، ٥٧١. ولا أدري هل صدر هذا الكتاب أم لا؟

(٤٩) لمعرفة طبيعة هذه الدراسة وجوانبها المختلفة ينظر: د. هادي نهر، اللغة العربية والحاسوب، مجلة التواصل (جامعة عدن) العدد ٤، ٢٠٠٠م، ص ٧٢-٧٤.

(٥٠) ينظر: د. نبيل علي، اللغة العربية والحاسوب، ص ٣٨٨-٣٩١.

(٥١) نشر ضمن (السجل العلمي لندوة استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات) مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ص ٢٧-٤٢. وللدكتور نهاد الموسى تعليق موجز عليه أورده في كتابه، العربية - نحو توصيف جديد...، ص ٣٩-٤٠.

(٥٢) نشر ضمن (الموسم الثقافي الرابع عشر لمجمع اللغة العربية الأردني) ١٩٩٦م. وانظر تعليق الدكتور نهاد الموسى عليه في كتابه: العربية - نحو توصيف جديد...، ص ٤٣، ٤٩.

(٥٣) نشر أولاً ضمن (السجل العلمي لندوة استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات) ص ٢٤٣-٢٨٦، ثم نشر ثانياً ضمن كتابه: دراسات نحوية ودلالية وفلسفية في ضوء اللسانيات المعاصرة، دمشق، ٢٠٠٢م، ص ١٣٤-١٧٨.

(٥٤) ينظر: ص ١٠١-١٩٥ من هذا الكتاب .ولمعرفة مدلول مصطلح (تمثيل) لدى الدكتور نهاد الموسى ينظر كتابه السابق، (العربية - نحو توصيف جديد...) ص ٥٩-٦٠.

(٥٥) لمزيد من التفاصيل حول هذه الدراسات ينظر: د.هادي نهر، اللغة العربية والحاسوب، مصدر سابق، ص ٧٤-٧٦ .

(٥٦) ينظر : د. نبيل علي، اللغة العربية والحاسوب، ص ٤٠٦-٤١٩، د. مراد عبد الرحمن مبروك، أثر التقنيات المعلوماتية في لسانيات النص الأدبي (مصدر سابق) ص ٥٧ - ٥٩ .

(٥٧) من تلك الأعمال ما قام به الدكتور خليل عمايرة وزميله من فهرسة للسان العرب باستخدام الحاسوب، وكذلك ما قام به مركز التراث للبرمجيات (الأردن)، والمجمع الثقافي (أبو ظبي)، وجامعة أم القرى (مكة المكرمة) من فهرسة للشعر العربي .

(٥٧) لمزيد من المعلومات عن هذه الميزات والخصائص ينظر: د. أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، ص ١٧٩-١٨٨، د. محمود فهمي حجازي، البحث اللغوي، ص ٧١-٧٨، د. محمد الحناش، مشروع نظرية حاسوب لسانية في بناء معاجم آلية للغة العربية، مجلة التواصل اللساني، المجلد ٢، العدد ٢، ١٩٩٠م، ص ٤٣، د.عبد الغني أبو العزم، الحاسوب والصناعة المعجمية، مجلة اللسان العربي، العدد ٤٦، ١٩٩٨م، ص ٢٨-٣٩ .

(٥٨) نشرت أبحاث هذه الندوة في مجلة اللسان العربي، العدد ٤٨، ١٩٩٩، ص ١٦٩-٢٢٩ .

(٥٩) ينظر : السجل العلمي لندوة استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات،
ص ٧٨١-٧٩٦.

(٦٠) جاءت هذه البحوث على النحو التالي : المعجم الإلكتروني للغة العربية،
مؤتمر الكويت الأول للحاسوب، ١٩٨٩م، مشروع نظرية حاسوب - لسانية
في بناء معاجم آلية للغة العربية، مجلة التواصل اللساني (المغرب) المجلد
٢، العدد ٢، ١٩٩٠م، ص ٤٠-٥٥ (وقد نشر هذا البحث أيضاً ضمن
السجل العلمي لندوة استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات، ص ٣٦٣-
٤٠١)، المعجم التركيبي للغة العربية - معالجة المصادر والأسماء، مجلة
التواصل اللساني، المجلد ٢، العدد ١، ١٩٩٠م، ص ٤٢-٤٩. المعجم
الآلية للغة العربية - بناء قاعدة المعطيات، مجلة التواصل اللساني، المجلد ٤،
العدد ١، ١٩٩٢م، ص ٨١-١٠٨.

(٦١) صدر هذا الكتاب عن مجلة التواصل اللساني، فاس (المغرب)، ١٩٩٢م
ويقع في جزئين، عدد صفحاتهما ٣٥٠ صفحة .

(٦٢) ينظر في هذا : د. نهاد الموسى، العربية - نحو توصيف جديد...، ص ٢٤٧
-٢٦٢، د. أحمد مختار عمر، المعجم العربي الحديث والخروج من الدائرة،
مجلة كلية دار العلوم، العدد ٢١، ١٩٩٧م، ص ١٦ فما بعدها، د. عبد القادر
الفاصي الفهري، المعجمة والتوسيط، - نظرات جديدة في قضايا اللغة العربية.
ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، الدار البيضاء - المغرب،
١٩٩٧م، ص ٥٩-٧١، د. محمد مراياتي وزملاؤه، المعجم الحاسوبي نظام
خبير للغة العربية، ضمن (بحوث المؤتمر العلمي الأول حول الكتابة العلمية
باللغة العربية - واقع وتطلعات)، ص ٣٣٩ فما بعدها.

(٦٣) ينظر في هذا مداخلة الدكتور محمود إسماعيل صيني في الجلسة التي عقدت بهامش ندوة استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات، ضمن (السجل العلمي لهذه الندوة) ص ٧٨٧-٧٨٨ .

(٦٤) للاطلاع على هذه الجهود المبذولة لإنتاج برامج معجمية بواسطة الحاسوب ينظر: د.نبيل علي، اللغة العربية والحاسوب، ص ٥٢٩، د.أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، ص ١٦٩، ١٨٩ فما بعدها .

(٦٥) ينظر : د. أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، ص ١٨٦-١٨٨

(٦٦) اللغة العربية والحاسوب، ص ٥٣١ .

(٦٧) نشر هذا البحث ضمن (السجل العلمي لندوة استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات) ص ٢٩٩-٣١٢ .

(٦٨) كان هذا في مقاله : الناقل العربي أول برنامج للترجمة الآلية من العربية إلى الإنكليزية، ضمن أعمال ندوة (واقع اللغات ومستقبلها في تونس) إصدار مركز النشر الجامعي، تونس، ٢٠٠٠م، ص ٣٠٩-٣٢١ .

(٦٩) ينظر المصدر السابق، ص ٣١٥-٣١٧ .

(٧٠) نشر هذا البحث بعنوان : مقارنة معرفية لتحليل دلالة الجملة الخبرية العربية - الإطار المفهومي العام، ضمن (المؤتمر الثاني حول اللغويات الحاسوبية العربية)، الكويت، ١٩٨٩م، ص ١٤٨-١٧١ .

(٧١) نشر البحث هذا ضمن (أعمال مناظرة اللغة العربية والتقنيات المعلوماتية المتقدمة) مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، ١٩٨٩م ص ٤٥-٥٥ .

(٧٢) ينظر: د. نادية حامد حجازي، الترجمة الآلية.. هل هناك أفاق حقيقية؟ ضمن ندوة (الترجمة والثقافة العربية...) المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠١م، ص ٣٧٢، د. عبد الفتاح أبو السيدة، الحاسب الآلي والترجمة، مجلة اللسان العربي، العدد ٢٨، ١٩٨٧م، ص ٩٥-١٠٤، د. فؤاد فرسوني، الترجمة الآلية واللغة العربية، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، المجلد ١، العدد ١، ١٤١٦هـ، ص ١٢٩ فما بعدها، د. محمد ديداوي، علم الترجمة بين النظرية والتطبيق، دار المعارف، سوسة - تونس، ١٩٩٢م، ص ٤٢٨ .

(٠) هناك نظامان حاسوبيان يتعاملان مع الترجمة هما : الترجمة الآلية، والترجمة بمساعدة الحاسوب . فأما الترجمة الآلية فلا تحتاج إلا لقليل من التدخل البشري، في حين أن الترجمة الأخرى تحتاج إلى العنصر البشري (الإنساني) احتياجاً كبيراً. ينظر: د. محمود إسماعيل صيني، الترجمة الآلية واللغة العربية، ضمن (وقائع مختارة من ندوة استخدام اللغة العربية في الحاسب الآلي) ص ٢٣٩، ألبيرت نيوبرت و غريغوري شريف، الترجمة وعلوم النص، ترجمة: د. محيي الدين حميدي، جامعة الملك سعود بالرياض، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ص ٣٥-٩٣ .

(٧٣) بالإضافة إلى ما سبق ذكره في الهوامش من مراجع ينظر: د. عبد الله الحميدان، مقدمة في الترجمة الآلية، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠١م، ولفرام ويكز، الترجمة الآلية، ترجمة: د. علي حسين حجاج، مجلة البيان (الكويت)، العدد ٢١٩، ١٩٨٤م، د. حسام الخطيب، الترجمة الآلية وقضية تعريب العلوم، ضمن (مازن المبارك : بحوث مهداة إليه بمناسبة بلوغه

السبعين) دار الفكر، دمشق، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ص١١٨-
١٤٢، د.فؤاد فرسوني، الترجمة الآلية واللغة العربية، مجلة مكتبة الملك
فهد الوطنية، مصدر سابق، ص١٢٩-١٥١، د. سليمان الواسطي، التفاعل
بين الإنسان والآلة في الترجمة الحاسوبية، مجلة التعريب، دمشق، العدد
٢٠، ٢٠٠٠م .

(٧٤) لمعرفة هذه البرامج ينظر: د. محمود إسماعيل صيني، الترجمة الآلية
للغة العربية (مصدر سابق) ص ٢٤١ فما بعدها، د.حسام الخطيب،
الترجمة الآلية وقضية تعريب العلوم (مصدر سابق) ص ١٣٣ فما بعدها،
د.نادية حامد حجازي، الترجمة الآلية... (مصدر سابق) ص ٣٧٥ فما
بعدها، د. عبد الفتاح أبو السيدة، الحاسب الآلي والترجمة (مصدر سابق)
ص ٩٦ فما بعدها .

(٧٥) ينظر: د. حسام الخطيب، الترجمة الآلية وقضية تعريب العلوم (مصدر
سابق) ص ١٤٠-١٤١

(٧٦) لمزيد من التفاصيل حول مشكلة الكتابة العربية ينظر: د.نبيل علي، اللغة
العربية والحاسوب، ص ٢٠١-٢١١، د.مازن الوعر، اللسانيات
والحاسوب واللغة العربية، صحيفة رؤى ثقافية (سورية) العدد ٤، ١٣
أيلول ٢٠٠٣م، ص ٢٣ .

(٧٧) لمعرفة الملامح الرئيسة لهذه الطريقة ينظر: أحمد الأخضر غزال،
استخدام اللغة العربية في علوم الحاسوب، المجلة العربية للتربية، تونس،
المجلد ٦، العدد ١، ١٩٨٦م، ص ٥٧-٨١، د.مازن الوعر، قضايا أساسية
في علم اللسانيات الحديث، ص ٤١٧-٤٢١. والأمر اللافت للنظر أن هناك
بحثاً قدمه كل من الدكتور التهامي الراجي الهاشمي والمهندس وليد

بنجيلاني (المغرب) ذكرا فيها تلك الطريقة التي تنسب للأستاذ أحمد الأخضر غزال، دون إشارة منهما إلى صاحبها!! ينظر: إدخال العربية المشكولة والشفرة العربية الموحدة في الإعلاميات. مجلة الحاسبات الإلكترونية، بغداد، ١٩٨٠م، ص ٣٥١-٣٧٠.

(٧٨) ينظر: د.مازن الوعر، اللسانيات والحاسوب واللغة العربية (مصدر سابق)، ص ٢٣ .

(٧٩) ينظر: د.نبيل علي، اللغة العربية والحاسوب، ص ٢١٣-٢٢٠. وللمزيد حول المحاولات بهذا الخصوص ينظر: د. ممدوح النجار - د.منظر مسعود، أسلوب بناء حاسوب بغرض معالجة النصوص العربية، ضمن (وقائع مختارة من ندوة استخدام اللغة العربية في الحاسب الآلي) ص ٨١ فما بعدها .

(٨٠) ينظر: تمييز حروف اللغة العربية المكتوبة آلياً باستخدام الشبكات العصبية ذات الانتشار الرجوعي، مجلة جامعة الملك سعود (علوم الحاسب والمعلومات) المجلد ٩، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ص ٢٨-١ .

(٨١) ينظر : د.محمود إسماعيل صيني، تعليم اللغات باستخدام الحاسب الآلي، المجلة العربية للدراسات اللغوية (الخرطوم) المجلد ٢، العدد ٢، ١٩٨٢م، رضا السويسي، في تعليم العربية لغة ثانية بمساعدة الحاسوب، ضمن (اللسانيات العربية والإعلامية) تونس، ١٩٨٩م، ص ٢٢١-٢٦٦، د.صلاح عبد المجيد العربي، تعلم اللغات الحية وتعليمها بين النظرية والتطبيق، ط١، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨١م، ص ٢٢٩ فما بعدها، د.نبيل علي، اللغة العربية والحاسوب، ص ١٤٦، د. صلاح الدين حسنين، استخدام العقل الإلكتروني في تعليم العربية لغير المتكلمين بها، مجلة الفيصل (الرياض) مجلد ٧، العدد ٧٤، ١٩٨٣م، ص ٤٤-٤٦

(٨٢) العربية - نحو توصيف جديد ...، ص ٣٥ .

(٨٣) لمعرفة بعض هذه البرامج الحاسوبية ينظر: المصدر السابق، ص ٤٦ - ٤٧، د.ناصر عبد الرزاق الموافي، استخدام التقنيات الحديثة في الدراسات الأدبية واللغوية - دراسة في مجموعة البرامج التراثية على الحاسوب، ملخص بحث مقدم للمؤتمر العلمي الأول لقسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة الأردنية (آفاق الدراسات في اللغة والأدب بين الحاضر والمستقبل ١٦-١٨/٥/١٩٩٩م)، ص ١١٠-١١٢ من ملخصات أبحاث هذا المؤتمر، لغويات الكمبيوتر العربية من الخيال إلى الواقع، مجلة بايت الشرق الأوسط، كانون الثاني ١٩٩٥م، ص ٦٦-٦٧ .

(٨٤) كان للدكتور الطيب البكوش واثنين من زملائه محاولة أولى ووحيدة - فيما أعلم - لصناعة معجم للمصطلحات اللسانية الحاسوبية، صدرت ضمن أشغال الملتقى الرابع للسانيات (اللسانيات العربية والإعلامية) تونس، ١٩٨٩م، ص ١٣٩-١٦٦. والذي أراه أن صناعة معجم كهذا يتطلب تعاوناً أكثر، وتخطيطاً أشمل من المختصين في اللغة والحاسوب، وهذا ما نتمناه أن يتحقق في قابل الأيام .

لغة كسر ياء المتكلم المدغم فيها

د. كامل محمد أبو سنينة
جامعة الإسراء - الأردن

الملخص

يصنف هذا البحث في جملة المسائل النحوية واللغوية المختلف فيها،
أتصح فتعتمد؟ أم تفسد فتطرح؟.

ومسألة هذا البحث كسر ياء المتكلم المدغم فيها، وقد عملت على أن
أصل إلى القول الفصل في هذه المسألة، فخلصت إلى صحتها في القياس
والاستعمال، وإن كان الفتح هو الأصل، وهو أولى وأحسن.

أما في القياس فللكسر وجهان، ولبعض صورته ثلاثة أوجه، بسطت
القول فيها، وتكلمت على صور متنوعة لكل وجه منها.

وأما في الاستعمال فوفقت على خمسة شواهد شعرا ونثرا، إلى جانب
قراءة "بِمُصْرِحِي" في الآية ٢٢ من سورة إبراهيم عليه السلام، التي طال كلام
النحويين، واللغويين، والمفسرين عليها، وتضاربت أقوالهم فيها، وكان التحقيق
ثبوتها بالتواتر عن رسول الله ﷺ.

وأخيراً قومت هذه المسألة اللغوية من جهتي المعنى واللفظ.

أما من جهة المعنى فرأيت فيها ضرباً من التوكيد، فكسر الياء أكد في
الدلالة على المتكلم من فتحها.

وأما من جهة اللفظ ففيها إثراء له، وقد أسعفت الشاعر في بعض
الشواهد التي أثبتتها، في إقامة الوزن تارة، وفي إقامة القافية تارة أخرى.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على
رسوله الكريم الأمين، وبعد:

فيدخل هذا البحث في باب المسائل النحوية واللغوية المختلف فيها،
أَتَصِحُّ فَتَعْتَمِدُ وَيُصَارُ إِلَيْهَا، أَمْ تَفْسُدُ فَتُطْرَحُ وَيُنْبَى عَنْهَا؟.

ومسألة هذا البحث كسرُ ياء المتكلم المدغم فيها في مثل: لَدَيَّ، وَعَلَيَّ،
وإِلَيَّ، الْأَصْلُ: لَدَى، وَعَلَى، وَإِلَى، فَقَلْبَتِ الْأَلْفُ فِي كُلِّ وَأَدْغَمَتْ فِي الْيَاءِ. وَفِي
مِثْل: مُسَلِّمِيَّ، وَمُعَلِّمِيَّ، الْأَصْلُ: مُسَلِّمُونَ وَمُعَلِّمُونَ، وَمُسَلِّمِينَ وَمُعَلِّمِينَ، أَسْقَطَتْ
النُّونَ فِيهَا كُلَّهَا لِلْإِضَافَةِ، وَقَلْبَتِ الْوَاوُ فِي الرَّفْعِ وَأَدْغَمَتْ فَقَلَّتْ: جَاءَ مُسَلِّمِيَّ
وَمُعَلِّمِيَّ، وَأَدْغَمَتْ فِي النَّصْبِ وَالْجَرِّ فَقَلَّتْ: رَأَيْتَ مُسَلِّمِيَّ وَمُعَلِّمِيَّ، وَمَرَرْتُ
بِمُسَلِّمِيَّ وَمُعَلِّمِيَّ.

وقد طال كلام النحويين، واللغويين، والمفسرين، في كسر الياء من
"مُصْرِحِيَّ" في قوله تعالى: "وَقَالَ الشَّيْطَانُ لِمَا قَضَى الْأَمْرَ إِنْ اللَّهُ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ
الْحَقُّ وَوَعَدْتُمْ فَأَخْلَفْتُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ
لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِحِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِحِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ
بِمَا أَشْرَكْتُمُونَ مِنْ قَبْلُ إِنْ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"^(١) ما بين مُصَحِّحٍ وَمُخْطِئٍ
فعملت على أن أصل إلى القول الفصل في هذا الحرف، وفي جملة كسر ياء
المتكلم المدغم فيها التي يقع فيها هذا الحرف.

وقد أفدت في هذا البحث من كتب النحو والصرف واللغة، وأفدت كثيراً
من كتب القراءات والتفسير. وأسأل الله التوفيق.

(١) إبراهيم ٢٢.

كسر ياء "مُصْرَخِي" في الآية الكريمة قراءة يحيى بن وثاب والأعمش^(٢)، وحمران بن أعين، وجماعة من التابعين^(٣)، وإحدى قراءتي حمزة^(٤).

المُخَطَّنُونَ لهذه القراءة:

نسب الفراء هذه القراءة إلى الوهم، قال: ولعلها من وهم القراء من طبقة يحيى، فإنه قلَّ من سلم منهم من الوهم، ولعله ظن أن الباء في بِمُصْرَخِي خافضة للحرف كله، والياء من المتكلم، خارجة من ذلك^(٥).

وقال الأخفش: وبلغنا أن الأعمش قال: بمصرخي، فكسره. وهذه لحن لم نسمع بها من أحد من العرب، ولا من أهل النحو^(٦).

(٢) انظر: الفراء - معاني القرآن ٧٥/٢، النحاس - إعراب القرآن ٣٦٨/٢، الفارسي - الحجة ١٦/٣، الرازي - التفسير الكبير ١١٤/١٩، ابن الجزري - النشر ٢٩٩/٢، الأوسي - روح المعاني ٢٠٩/١٣-٢١٠. يحيى بن وثاب الأسدي الكوفي، مولى بني أسد. تابعي. قرأ القرآن كله على عبيد بن نضيلة، وقرأ عليه: الأعمش وطلحة بن مصرف، وأبو حصين الأسدي، وحمران بن أعين. توفي ١٠٣هـ. الذهبي - معرفة القراء الكبار ٦٢/١ - ٦٥.

الأعمش: أبو محمد سليمان بن مهران الأسدي الكوفي. تابعي. قرأ على يحيى بن وثاب وغيره، وقرأ عليه حمزة الزيات وغيره. كان صاحب سنة. توفي ١٤٨هـ. الذهبي - معرفة القراء الكبار ٩٤/١ - ٩٦. القراء الكبار ٦٢/١ - ٦٥.

(٣) انظر: المنتجب - الفريد في إعراب القرآن المجيد ١٦٠/٣-١٦١، ابن الجزري - النشر ٢٩٩/٢. حمران بن أعين مولى بني شيبان، كوفي مقرئ كبير. قرأ على يحيى بن وثاب وغيره، وقرأ عليه حمزة. قال ابن معين: ضعيف. وقال النسائي: ليس بثقة. وقال أبو داود: كان رافضياً. توفي في حدود ١٣٠هـ. الذهبي - معرفة القراء الكبار ٧٠/١ - ٧١.

(٤) ابن مجاهد - السبعة في القراءات ٣٦٢، الفارسي - الحجة ١٦/٣. حمزة بن حبيب الزيات، أبو عمارة، أحد القراء السبعة. كوفي. توفي بخلوان في خلافة أبي جعفر المنصور سنة ١٥٦هـ. ابن الجزري - تحبير التيسير ١١٠.

(٥) الفراء - معاني القرآن ٧٥/٢. وانظر: ابن قتيبة - تأويل مشكل القرآن ٦٢، أبا حيان - البحر المحيط ٤٠٨/٥، الأوسي - روح المعاني ٢١٠/١٣.

(٦) الأخفش الأوسط - معاني القرآن ٣٧٥/٢. وانظر: تفسير البغوي بهامش تفسير الخازن ٣٩/٤، أبا حيان - البحر المحيط ٤٠٨/٥، الأوسي - روح المعاني ٢١٠/١٣.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: نراهم غلطوا، ظنوا أن الباء تكسر لما بعدها^(٧).

وذهب الزجاج إلى أنها رديئة مردولة عند جميع النحويين. قال: قرئت بِمُصْرَخِيّ بفتح الياء، كذا قرأه الناس. وقرأ حمزة والأعمش^(٨) بمصرخيّ، بكسر الياء، وهذه القراءة عند جميع النحويين رديئة مردولة، ولا وجه لها إلا وجه ضعيف ذكره بعض النحويين، وذلك أن ياء الإضافة إذا لم يكن قبلها ساكن حركت إلى الفتح، تقول: هذا غلامي قد جاء، وذلك أن الاسم المضمّر لما كان على حرف واحد وقد منع الإعراب، حُرِّكَ بأخف الحركات، كما تقول: هو قائم، بفتح الواو، وتقول: أنا قمت، فتفتح النون. ويجوز إسكان الياء لثقل الياء التي قبلها كسرة. فإذا كان قبل الياء ساكن حُرِّكَت إلى الفتح لا غير، لأن أصلها أن تُحَرِّكَ ولا ساكن قبلها، وإذا كان قبلها ساكن صارت حركتها لازمة لالتقاء الساكنين. ومن أجاز بمصرخيّ بالكسر، لزمه أن يقول: "هي عَصَايِ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا"^(٩) وأجاز الفراء على وجه ضعيف الكسر، لأن أصل التقاء الساكنين الكسر، وأنشد:

(٧) انظر: أبا حيان - البحر المحيط ٤٠٨/٥، الألوحي - روح المعاني ٢١٠/١٣. أبو عبيد اللغوي القاسم بن سلام، كان إمام عصره في كل فن من العلم. أخذ عن أبي زيد الأنصاري، وأبي عبيدة، والأصمعي، وأبي محمد اليزيدي، وغيره من البصريين. وأخذ عن ابن الأعرابي، وأبي زياد الكلابي، والأموي، وأبي عمرو الشيباني، والكسائي، والأحمر، والفراء. توفي بمكة سنة ٢٢٣، أو ٢٢٤، وقيل: ٢٣٠. انظر: القفطي - إنباه الرواة ١٢/٣-٢٣، السيوطي - بغية الوعاة ٢٥٣/٢-٢٥٤.

(٨) في الأصل: والأعشى. تحريف.

(٩) طه الآية ١٨. وفي الأصل: "هذه عصاي . . .".

قُلْتُ لَهَا هَلْ لَكَ يَا تَا فِيِّي^(١٠) . قَالَتْ لَنَا مَا أَنْتَ بِالْمَرَضِيِّ^(١١)

وهذا الشعر مما لا يلتفت إليه، وعمل مثل هذا سهل، وليس يعرف قائل هذا الشعر من العرب، ولا هو مما يُحتج به في كتاب الله عز وجل^(١٢).

وذكر النحاس ما قاله الفراء والأخفش في إنكار هذه القراءة وقال: فقد صار هذا بإجماع لا يجوز، وإن كان الفراء قد نقض هذا وأنشد:

قُلْتُ لَهَا هَلْ لَكَ يَا تَا فِيِّي قَالَتْ لَنَا مَا أَنْتَ بِالْمَرَضِيِّ

ولا ينبغي أن يُحمل كتاب الله جلَّ وعزَّ على الشذوذ^(١٣).

وقال الواحدي: والقراءة الصحيحة فتح الياء في مصرخيٍّ، وهو الأصل، لأن ياء الإضافة إذا كان قبلها ساكن، حُرِّكَتْ إِلَى الْفَتْحِ لَا غَيْرَ نَحْوَ "هَدَايِ"^(١٤).

(١٠) في الأصل: تاء، بالمثلثة فوقية. تحريف.

(١١) بيتان من الرجز المشطور. نسباً إلى الأغلب العجلي في: أبي حيان - البحر المحيط ٤٠٩/٥، السمين الحلبي - الدر المصون ٩٠/٧-٩١، الألوسي - روح المعاني ٢١٠/١٣. قال السمين الحلبي: ذكر الشيخ أبو شامة أنه للأغلب العجلي، قال (أبو شامة): ورأيتُه أنا في أول ديوانه، وأول هذا الرجز:

أَقْبَلَ فِي تَوْبٍ مُعَاْفِرِيٍّ عِنْدَ اخْتِلَاطِ اللَّيْلِ وَالْعَشِيِّ

الدر المصون ٩١/٧

الأغلب العجلي: قال البغدادي: هو الأغلب بن عمرو بن عبيدة. أَرَجَزَ الرَّجَازَ، وَأَرَصَنَهُمْ كَلَامًا، وَأَصْحَهُمْ مَعَانِسِي. قال ابن قتيبة في كتاب الشعراء: كان الأغلب جاهلياً إسلامياً، وقتل بنهاوند. وهو أول من أطال الرجز، وكان الرجل قبله يقول البيت والبيتين إذا فاخر أو شاتم. وعده ابن الأثير في أسد الغابة من الصحابة. انظر: البغدادي - خزائن الأدب ٢٣٩/٢.

(١٢) الزجاج - معاني القرآن وإعرابه ١٥٩/٣-١٦٠. وانظر: مكي بن أبي طالب - الكشف ٢٦٦/٢-٢٧، مشكل إعراب القرآن ٤٤٨/١، أبا حيان - البحر المحيط ٤٠٨/٥.

(١٣) النحاس - إعراب القرآن ٣٦٨/٢-٣٦٩. وانظر: أبا حيان - البحر المحيط ٤٠٨/٥.

(١٤) البقرة ٣٨ من قوله تعالى: "فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون". طه ١٢٣ من قوله تعالى: "فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى". وانظر: الواحدي - الوسيط ٢٩/٣.

وذكر الفخر الرازي أن من النحويين من تكلف بذكر وجه لصحة مثل هذا، إلا أن الأكثرين قالوا: إنه لحن^(١٥).

وذكر أبو حيان أن جعفرا الصادق رد على حمزة هذه القراءة وقال: أخالفك فيها^(١٦). وذكر أيضاً أن الكسائي قال: كان نصير النحوي يحمل قراءة حمزة على اللحن، وكان أهل النحو يحسبونه من حمزة غلطاً^(١٧).

وضَعَّفَ الزمخشري والعكبري القراءة^(١٨). وذكر الزمخشري أنهم استشهدوا لها ببيت مجهول، وهو بيت الأغلب المتقدم، وقال: وكأنه قَدَّرَ ياء الإضافة ساكنة، فحركها بالكسر لما عليه أصل التقاء الساكنين، ولكنه غير صحيح، لأن ياء الإضافة لا تكون إلا مفتوحة حيث قبلها ألف في نحو "عصاي"^(١٩)، فما بالها وقبلها ياء؟ فإن قلت: جرت الياء الأولى مجرى الحرف الصحيح لأجل الإدغام، فكأنها ياء وقعت ساكنة بعد حرف صحيح ساكن، فحركت بالكسر على الأصل، قلت: هذا قياس حسن، ولكن الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر، تتضاءل إليه القياسات^(٢٠).

(١٥) للفخر - التفسير الكبير ١٩/١١٤.

(١٦) أبو حيان - ارتشاف الضرب ٢/٥٣٦.

جعفر الصادق: أبو عبد الله جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط. من أجلاء التابعين، سادس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية. مولده بالمدينة، ووفاته بها سنة ١٤٨. الخزرجي - خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ١/١٨٧.

(١٧) أبو حيان - ارتشاف الضرب ٢/٥٣٧.

الكسائي: أبو الحسن علي بن حمزة الكوفي النحوي. أحد القراء السبعة. توفي في رنيوية، قرية من قرى الري، حين توجه إلى خراسان مع الرشيد سنة ١٨٩. انظر: ابن الجزري - تحبير التيسير ١١١-١١٢.

نصير النحوي: نصير بن أبي نصير الرازي. كان علامة نحويًا. جالس الكسائي، وأخذ عنه النحو، وقرأ عليه القرآن. ورأى الأصمعي، وأبا زيد الأنصاري، وسمع منهما. له مؤلفات حسان، سمعها منه أبو الهيثم الرازي، ورواها عنه. انظر: القفطي - إنباه الرواة ٣/٢٤٧، السيوطي - بغية الوعاة ٢/٣١٦.

(١٨) الزمخشري - الكشاف ٢/٣٧٤، العكبري - التبيان ٢/٧٦٧.

(١٩) طه ١٨.

(٢٠) الزمخشري - الكشاف ٢/٣٧٤-٣٧٥. وانظر: أبا حيان - البحر المحيط ٥/٤٠٨-٤٠٩، الألويسي - روح المعاني ١٣/٢١٠.

ووجهها مكى بن أبى طالب على أنها لغة لبني يربوع، على ما
سيأتي، وقال: فالقراءة بكسر الياء فيها بعد من جهة الاستعمال، وهي
حسنة على الأصول، ولكن الأصل إذا طرح كان استعماله مكروهاً
بعيداً^(٢١).

المُصَوَّبُونَ لها: -

هذه القراءة التي نسبها الفراء إلى الوهم، وضعفها من ذكرنا،
وجعلها مكى بن أبى طالب مكروهة بعيدة، وذكر بعضهم أن الفراء
استشهد لها ببيت مجهول، رجع الفراء فأجازها. والرجز للأغلب
العجلي، وليس مجهولاً. قال الفراء: وقد سمعت بعض العرب يُنشد،
وذكر رجز الأغلب وقال: فخفف الياء من فيي، فإن يك ذلك صحيحاً،
فهو مما يلتقي من الساكنين، فيخفف الآخرُ منهما، وإن كان له أصل في
الفتح، ألا ترى أنهم يقولون: لم أَره مُذُ اليوم، ومُدُ اليوم، والرفع في
الذال هو الوجه، والخفف جائز؟ فكذلك الياء من مصرخي، خففت
ولها أصل في النصب^(٢٢).

وذكر أبو حيان أن الفراء قال: وزعم القاسم بن معن أنها صواب، وكان
ثقة بصيراً^(٢٣).

(٢١) مكى - مشكل إعراب القرآن ٤٤٩/١.

(٢٢) الفراء - معاني القرآن ٧٦/٢.

(٢٣) أبو حيان - ارتشاف الضرب ٥٣٦/٢، البحر المحيط ٤٠٩/٥.

القاسم بن معن بن عبد الرحمن ابن الصحابي عبد الله بن مسعود النحوي القاضي الكوفي. صنف: النوادر
في اللغة، وغريب المصنف، وكتبا في النحو. أخذ عنه محمد بن زياد الأعرابي اللغوي الراوية. وأخذ عنه
الليث بن المظفر نحواً ولغة. توفي سنة ١٧٥، وقيل ١٨٨. انظر: القفطي - إنباه الرواة ٣٠/٣-٣١،
السيوطي - بغية الوعاة ٢٦٣/٢.

وأجاز هذه القراءة ابن خالويه^(٢٤)، وابن زنجلة^(٢٥)، وابن الأنباري^(٢٦)،
والمُنْتَجِب الهمداني^(٢٧)، وأبو حيان^(٢٨)، وابن الجزري^(٢٩)، والبنا^(٣٠)،
والألوسي^(٣١)، وقيل هؤلاء إمام النحو واللغة والقراءة أبو عمرو بن العلاء^(٣٢).

وجهها في القياس:

وجهت هذه اللغة ثلاثة توجيهات، وهي:

الأول: ما ذكره الفراء وغيره أنها مما يلتقي من الساكنين، فيُخَفَضُ الآخرُ
منهما، لأن ياء المتكلم حركتها حركة بناء لا إعراب، والعرب تكسر لالتقاء
الساكنين كما تفتح^(٣٣).

(٢٤) الحجة في إعراب القراءات السبع ١٧٨، إعراب القراءات السبع وعلها ١/٣٣٥-٣٣٦.

(٢٥) حجة القراءات ٣٧٧-٣٧٨.

(٢٦) البيان في غريب إعراب القرآن ٥٧/٢.

(٢٧) الفريد في إعراب القرآن المجيد ٣/١٥٨-١٦١.

(٢٨) البحر المحيط ٤٠٩/٥.

(٢٩) النشر في القراءات العشر ٢/٢٩٨.

(٣٠) إتحاف فضلاء البشر ٢/١٦٧-١٦٨.

(٣١) روح المعاني ١٣/٢٠٩-٢١٠.

(٣٢) انظر: ابن خالويه - إعراب القراءات السبع وعلها ١/٣٣٥، ابن زنجلة - حجة القراءات ٣٧٨، أبا حيان

- ارتشاف الضرب ٢/٥٣٦، البحر المحيط ٥/٤٠٩، ابن الجزري - النشر ٢/٢٩٨، البنا - إتحاف فضلاء

البشر ٢/١٦٧، الألوسي - روح المعاني ١٣/٢١٠.

أبو عمرو بن العلاء البصري. من القراء السبعة. ليس فيها ولا في العشرة من العرب غيره وغير ابن

عامر. توفي بالكوفة سنة ١٥٤. ابن الجزري - تحبير التيسير ١٠٧-١٠٨.

(٣٣) انظر: الفراء - معاني القرآن ٢/٧٦، ابن خالويه - الحجة في القراءات السبع ١٧٨، إعراب القراءات

السبع وعلها ١/٣٣٦-٣٣٥، ابن زنجلة - حجة القراءات ٣٧٧-٣٧٨، تفسير البغوي بهامش تفسير الخازن

٤/٣٩٩، ابن الأنباري - البيان في غريب إعراب القرآن ٢/٥٧، المكبري - التبيان في إعراب القرآن ٢/

٧٦٧، إعراب القراءات الشواذ ١/٧٣٤، المنتجب - الفريد في إعراب القرآن المجيد ٣/١٥٨، القرطبي -

الجامع لأحكام القرآن ٢/٢٩٨-٢٩٩، ابن الجزري - النشر ٢/٢٩٨-٢٩٩، البنا - إتحاف فضلاء البشر ٢/

١٦٧-١٦٨، الألوسي - روح المعاني ١٣/٢٠٩-٢١٠.

ولا وجه لما ذهب إليه النحاس، والواحدي، والقرطبي، أن ياء النفس فيها لغتان: الفتح والتسكين إذا لم يكن قبلها ساكن مثل: غلامي، وغلامي، فإذا كان قبلها ساكن فالفتح لا غير^(٣٤).

ولا وجه لما ذهب إليه الزجاج والنحاس أن من أجاز بمصرخي بالكسر، لزمه أن يقول: "هي عصاي أتوكأ عليها"^(٣٥)، فقد قرئ بها، أثبت ذلك أبو حيان، وهو مقدم على من نفى، قال: وإذا أضفت المقصور قلت: "عصاي" في الأحوال الثلاثة، والياء مفتوحة، وقد تكسر نحو "عصاي". وتسكينها بعد ألف كقراءة نافع^(٣٦) "ومحيائي" في الوصل^(٣٧)، من إجراء الوصل مجرى الوقف^(٣٨).

ولا وجه لما ذهب إليه الزمخشري أن قراءة الكسر في بمصرخي حسنة في القياس، ولكن الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل إليه القياسات^(٣٩)، فإنها حسنة في القياس والاستعمال أيضاً.

ومن التحريك بالكسر لالتقاء الساكنين قوله تعالى: "أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى"^(٤٠) قرئت الواو في "اشتروا" بالضم، والكسر، والفتح، والاختلاس، وقلبها همزة. كل ذلك للتبلغ بالحركة لاضطرار الساكنين إليها. ولكل قراءة من هذه القراءات الخمس وجهها وخصوصيتها^(٤١).

(٣٤) انظر: النحاس - إعراب القرآن ٣٦٨/٢، الواحدي - الوسيط ٢٩/٣، القرطبي - الجامع لأحكام القرآن ٩/٣٥٧.

(٣٥) طه ١٨. وانظر: الزجاج - معاني القرآن وإعرابه ١٥٩/٣، النحاس - إعراب القرآن ٣٦٨/٢.

(٣٦) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني. من القراء السبعة. توفي بالمدينة ١٦٩. ابن الجزري - تحبير التيسير ١٠٥.

(٣٧) الأتعمام ١٦٢، من قوله سبحانه: قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين.

(٣٨) أبو حيان - ارتشاف الضرب ٥٣٧/٢. وانظر: البحر المحيط ٤٠٩/٥.

(٣٩) الزمخشري - الكشاف ٣٧٥/٢.

(٤٠) البقرة ١٦.

(٤١) انظر: الزجاج - معاني القرآن وإعرابه ٨٩/١، ابن مجاهد - السبعة في القراءات ١٤٥، الفارسي -

الحجة ٢٣٠/١-٢٣٣، ابن جني - المحتسب ٥٤/١-٥٥، الخصائص ٣٣٧/٢، سر صناعة الإعراب ٧٧٧/٢

- ٧٧٨، المكبري - التبيان ٣٢/١، ابن منظور - لسان العرب: شري.

ومن التحريك بالكسر لالتقاء الساكنين قوله تعالى: "يكاد البرق يخطف أبصارهم"^(٤٢). في يخطف قراءات: الأولى: يَخْطَفُ، بتسكين الخاء وفتح الطاء، يُقال: خَطِفَ يَخْطِفُ يَخْطَفُ. والثانية: يَخْطِفُ، بتسكين الخاء وكسر الطاء، يُقال: خَطَفَ يَخْطِفُ. والثالثة: يَخْطَفُ، بفتح الخاء وتشديد الطاء مكسورة. والرابعة: يَخْطَفُ، بكسر الخاء وتشديد الطاء مكسورة. والخامسة: يَخْطَفُ، بتسكين الخاء وتشديد الطاء مكسورة، بالجمع بين الساكنين. والسادسة: يَخْطَفُ، بكسر الياء والحاء وتشديد الطاء مكسورة^(٤٣).

والقراءات الأربع الأخيرة من: اختطف يختطف، بوزن: افتعل يفتعل. والكسر لالتقاء الساكنين في قراءة "يَخْطِفُ"، فقد سكنت الخاء في يَخْطِفُ، وسكنت التاء بعد إبدالها طاء وإدغامها، لقرب مخرجي الحرفين، فكسرت الخاء لالتقاء الساكنين. وهذا أحد توجيهي هذه القراءة. وأنكره الفراء، وذهب في التوجيه الثاني إلى أن الخاء كسرت طلباً لكسرة الألف في اختطف. قال: وأما من كسر الخاء فإنه طلب كسرة الألف في اختطف والاختطاف. وقد قال فيه بعض النحويين: إنما كسرت الخاء لأنها سكنت وأسكنت التاء بعدها، فالتقى ساكنان، فخفضت الأول. كما قال: اضرب الرجل، فخفضت الباء لاستقبالها اللام. وليس الذي قالوا بشيء، لأن ذلك لو كان كما قالوا لقاتل العرب في يَمْدُ: يَمْدُ، لأن الميم ساكنة، وسكنت الأولى من الدالين. ولقالوا في يَعْضُ: يَعْضُ^(٤٤).

وردَّ الزجاج إنكار الفراء الكسر لالتقاء الساكنين، قال: ومن قال يَخْطِفُ، كسر الخاء لسكونها وسكون الطاء. وزعم بعض النحويين أن الكسر لالتقاء الساكنين ها هنا خطأ، وأنه يلزم من قال هذا أن يقول في يَعْضُ: يَعْضُ، وفي يَمْدُ: يَمْدُ. وهذا خلط غير لازم، لأنه لو كسر ها هنا لالتبس ما أصله يَفْعَلُ

(٤٢) البقرة ٢٠.

(٤٣) انظر: الفراء - معاني القرآن ١٧/١-١٨، الأخفش - معاني القرآن ٥٠/١، الزجاج - معاني القرآن وإعرابه ٩٥-٩٦، ابن منظور لسان العرب: خطف.

(٤٤) الفراء - معاني القرآن ١٨/١.

وَيَفْعَلُ بما أصله يَفْعَلُ، وَيَخْطَفُ ليس أصله غير هذا، ولا يكون مرة على يَفْتَعِلُ، ومرة على يَفْتَعِلُ^(٤٥)، فكسر لالتقاء الساكنين في موضع غير ملبس، وامتنع في الملبس من الكسر لالتقاء الساكنين، وألزم حركة الحرب الذي أدغمه لتدل الحركة عليه^(٤٦).

ومن التحريك بالكسر لالتقاء الساكنين قوله تعالى: "أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى"^(٤٧) في يَهْدِي سبع قراءات: الأولى: يَهْدِي، بتسكين الهاء وكسر الدال مخففة. والثانية: يَهْدِي، بتسكين الهاء والدال، بالجمع بين الساكنين. والثالثة: يَهْدِي، بفتح الهاء وكسر الدال مشددة. والرابعة: يَهْدِي، باختلاس فتحة الهاء وكسر الدال مشددة، والاختلاس، والإخفاء، والإشمام، وتضعيف الصوت، والإشارة، واحد، وهو الإتيان بثلاثي الحركة وحذف ثلثها الأخير. والخامسة: يَهْدِي، بتسكين الهاء وكسر الدال مشددة، بالجمع بين الساكنين. والسادسة: يَهْدِي، بكسر الهاء وتشديد الدال مكسورة. والسابعة: يَهْدِي، بكسر الياء والهاء وتشديد الدال مكسورة.

والقراءات الخمس الأخيرة من اهتدى يهتدي. والكسر لالتقاء الساكنين في قراءة يَهْدِي. وهي قراءة عاصم^(٤٨)، وحفص بن سليمان^(٤٩)، ويعقوب^(٥٠). والقول فيها نحوه في قراءة يَخْطَفُ المتقدمة^(٥١).

(٤٥) في الأصل: يَفْتَعَلُ. تحريف.

(٤٦) الزجاج - معاني القرآن وإعرابه ١/٩٥-٩٦. وانظر: ابن منظور - لسان العرب: خطف.

(٤٧) يونس ٣٥.

(٤٨) عاصم بن أبي النجود الكوفي، أبو بكر. من التابعين، وأحد القراء السبعة. توفي بالكوفة سنة ١٢٨. ابن الجزري - تحبير التيسير ١٠٩.

(٤٩) حفص بن سليمان الكوفي، أبو عمر، ويعرف بحفص. راوية عاصم الكوفي. توفي سنة ١٨٠. انظر: ابن الجزري - تحبير التيسير ١١٠.

(٥٠) يعقوب بن إسحاق الحضرمي مولاهم، أبو محمد. من القراء العشرة. توفي بالبصرة سنة ٢٠٥. انظر: ابن الجزري - تحبير التيسير ١١٣.

(٥١) انظر: الزجاج - معاني القرآن وإعرابه ٣/١٩-٢٠، ابن مجاهد - السبعة في القراءات ٣٢٦، ابن جني - سر صناعة الإعراب ١/٥٧، مكي بن أبي طالب - الكشف ١/٥١٨-٥١٩، الواحدي - الوسيط ٢/٥٤٧، ابن أبي مريم - الموضح في وجوه القراءات وعللها ٢/٦٢٣-٦٢٥، ابن منظور - لسان العرب: هدى، ابن الجزري - تحبير التيسير ٣٩٩، النشر ٢/٢٨٣، البنا - إحاف فضلاء البشر ٢/١٠٩-١١١.

ومن التحريك بالكسر لالتقاء الساكنين قوله تعالى: «ما ينظرون إلا صيحةً واحدةً تأخذهم وهم يخصمون»^(٥٢) في يخصمون ست قراءات: الأولى: يَخْصِمُونَ، بسكون الخاء وكسر الصاد مخففة. والثانية: يَخْصُمُونَ، بفتح الخاء وتشديد الصاد مكسورة. والثالثة: يَخْصَمُونَ، باختلاس فتحة الخاء وكسر الصاد مشددة. والرابعة: يَخْصُمُونَ، بتسكين الخاء وكسر الصاد مشددة، بالجمع بين الساكنين. والخامسة: يَخْصَمُونَ، بكسر الخاء والصاد مشددة. والسادسة: يَخْصَمُونَ، بكسر الياء والحاء وتشديد الصاد مكسورة.

والقراءات الخمس الأخيرة من اختصم يختصم. والكسر لالتقاء الساكنين في قراءة يَخْصِمُونَ، وهي قراءة ابن عامر^(٥٣)، وعاصم، والكسائي، ويعقوب. والقول فيها نحوه في قراءتي: يَخْطَفُ، ويَهْدِي^(٥٤).

ومن التحريك بالكسر لالتقاء الساكنين قوله:

فوالله لولا بغضكم ما سببتكم ولكنني لم أجد من سبكم بداً^(٥٥)

(٥٢) يس ٤٩.

(٥٣) عبد الله بن عامر اليحصبي، أبو عمران. شامي تابعي. من القراء السبعة، ليس فيها ولا في العشرة من العرب غيره وغير أبي عمرو، والباقون موال. توفي بدمشق سنة ١١٨. ابن الجزري - تحبير التيسير ١٠٨.

(٥٤) انظر: الزجاج - معاني القرآن وإعرابه ٢٨٩/٤-٢٩٠، ابن جني - سر صناعة الإعراب ٥٧/١، مكى بن أبي طالب - الكشف ٢١٧/٢-٢١٨، الواحدي - اللوسيط ٥١٥/٣، ابن أبي مريم - الموضح في وجوه القراءات وعللها ١٠٧٤/٣-١٠٧٥، ابن منظور - لسان العرب: خصم.

(٥٥) البيت من البحر الطويل. وهو دون نسبة في: الزبيدي - تاج العروس: وجد. والشرط الثاني دون نسبة أيضا في: ابن جني - الخصائص ٣٣٣/٢.

مجرى الحرف الذي لا بد له من غيره. فمن ضمها شبهها بقبل وبعد. ومن فتحها طلب الخفة. ومن كسرها فعلى الأصل في التقاء الساكنين^(٥٩).

الثاني: أنها لمطابقة كسرة إن بعدها، وما أنتم بمُصْرَخِيّ إني كفرت بما أشركتمون من قبل" ويقال أيضاً: الإبتاع، والتجانس، والتناسب، والتقريب. لأنه أراد الوصول دون الوقف، فلما أراد هذا المعنى، كان كسر الياء أدلّ على هذا من فتحها^(٦٠).

أقول: وأريد أيضاً مطابقة كسرتي الخاء والراء قبلها، لأن بين ياء المتكلم المكسورة، والحاء والراء المكسورتين، ياء الجمع الساكنة، وهي حاجز غير منيع.

والمطابقة في اللغة باب واسع، يُحمل عليها مثلاً قراءة فتح الواو المتقدمة في قوله تعالى: "أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى"^(٦١) فتحت الواو في: "اشتروا الضلالة" لمطابقة فتحتي الراء والتاء قبلها، ولمطابقة فتحتي الضاد واللام بعدها في الضلالة، لأن الضاد المدغمة ساكنة، والساكن حاجز غير منيع. وهذا لا يُنافي حمل ابن جني والعكبري الفتح طلباً للخفة مع نقل الواو^(٦٢).

ويُحمل على المطابقة أيضاً القراءات: يَخِطُّفُ، وَيَهْدِي، وَيَخِصِّمُونَ المتقدمة، بكسر الحرف الذي يسبق الحرف المشدد في هذه الكلمات الثلاث، فقد أتبعته كسرة كسرة الحرف المشدد، وأول الحرفين المدغمين ساكن غير منيع.

(٥٩) ابن الخباز - توجيه اللع ٧٠.

(٦٠) انظر: ابن الأنباري - البيان ٥٧/٢، المنتجب - الفريد في إعراب القرآن المجيد ١٦٠/٣، الألوحي - روح المعاني ٢١٠/١٣.

(٦١) البقرة ١٦. وانظر قراءة الفتح في: الزجاج - معاني القرآن وإعرابه ٩١/١، ابن جنّي - المحتسب ٥٤/١، الخصائص ٣٣٧/٢، سر صناعة الإعراب ٧٧٧/٢-٧٧٨، العكبري - التبيان ٣٢/١.

(٦٢) ابن جنّي - المحتسب ٥٥/١، العكبري - التبيان ٣٢/١.

ومن كسر الياء فيما تقدم، فقد أتبع كسرتها كسرة ما بعدها.

ومن كانت لغته كسر الياء، وهو ما يعرف بثلاثة بهراء^(٦٣)، فقد أتبع

كسرة الحرف الذي بعدها كسرتها، وكسرة الحرف المشدد بعده.

ويُخطئ الفراء أن تكون كسرة الحرف الثاني في هذه الكلمات تبعت

كسرة الحرف المشدد، لتوجيهه المتقدم لقراءة يَخِطُّفُ، فقد ذهب إلى أن كسرة

الخاء فيها إنما كان لكسرة الألف في اختطف والاختطاف. وكذا من خفض الياء

والخاء، فإنه أيضاً من طلبه كسرة الألف، لأنها كانت في ابتداء الحرف

مكسورة^(٦٤).

وليس الذي قاله شيئاً، وقد تقدم في توجيه القراءة رد الزجاج عليه.

وأيضاً فإن طلب كسرة الألف أمر تخيلي، وليس له دور عملي في نطق قراءتي:

يَخِطُّفُ وَيَخِطُّفُ.

ويُحمل على المطابقة أيضاً قول النابغة:

كَلَيْنِي لِهَمْ يَا أَمِيمَةَ نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ^(٦٥)

فأحد توجيهي المنادى أن فتحة التاء في أميمة لمطابقة فتحتي الميم والنون قبلها

وبعدها^(٦٦).

(٦٣) مجالس ثعلب ١/٨١. وجعل سيبويه ذلك لغة جميع العرب إلا أهل الحجاز. ولم يطلق الفعل المضارع.

انظر: سيبويه - الكتاب تحقيق هارون ٤/١١٠-١١٣. ولعل نسبة هذه اللغة إلى بهراء لاستمرارها فيهم،

وغلبيتها عليهم، فإن العرب بعد استقرار الفصحى ونزول القرآن، جنحوا إلى الفتح.

(٦٤) الفراء - معاني القرآن ١/١٨.

(٦٥) النابغة الذبياني - الديوان ص ٤٠ قصيدة ٣ بيت ١.

(٦٦) انظر: سيبويه - الكتاب تحقيق هارون ٢/٢٠٧، الفراء - معاني القرآن ٢/٣٢، السيرافي يوسف بن أبي

سعيد - شرح أبيات سيبويه ١/٢٩٨، أبو سنيينة - بناء الجملة ١/٤٠٢.

وتكلم سيبويه على المطابقة في مواضع كثيرة من الكتاب، وسماها
الإتباع^(٦٧).

من ذلك ما يكون في كلمتي "ابنم"، و "امرؤ". وما يكون من اتباع العلم
غير المضاف صفته إذا كانت كلمة ابن، أو بنت، أو ابنة، منادى وغير منادى.
قال: هذا باب ما يكون الاسم والصفة فيه بمنزلة اسم واحد، ينضم فيه قبل
الحرف المرفوع حرف، وينكسر فيه قبل الحرف المجرور الذي ينضم قبل
المرفوع، وينفتح فيه قبل المنصوب ذلك الحرف، وهو ابنم وامرؤ. فإن جررت
قلت: في ابنم وامرئ، وإن نصبت قلت: ابنمًا وامرأ، وإن رفعت قلت: هذا ابنم
وامرؤ. ومثل ذلك قولك: يا زيدَ بنَ عمرو، وقال الراجز وهو من بني الحرّماز:

يا حكمَ بنِ المنذرِ بنِ الجارودِ

وقال العجاج:

يا عمرَ بنَ مَعْمَرٍ لا مُنْتَظَرٌ^(٦٨)

وإنما حملهم على هذا أنهم أنزلوا الرفع التي في قولك: زيدُ، بمنزلة
الرفعة في راء امرؤ، والجرة بمنزلة الكسرة في الراء، والنسبة كفتحة الراء،
وجعلوه تابعاً لابن. ألا تراهم يقولون: هذا زيدُ بنُ عبد الله؟ ويقولون: هذه هندُ
بنتُ عبد الله، فيمن صرف؟ فتركوا التثوين ها هنا لأنهم جعلوه بمنزلة اسم
واحد لما كثر في كلامهم، فكذاك جعلوه في النداء تابعاً لابن^(٦٩).

(٦٧) انظر: سيبويه - الكتاب تحقيق هارون ٤٣٦/١، ٢٠٣/٢-٢٠٤، ٥٣٢/٣-٥٣٤، ١٠٧/٤-١٠٩، ١٤٦-
١٤٧، ١٧٤، ١٩٦.

(٦٨) البيت من الرجز المشطور. وهو للعجاج في ديوانه ٤٧.

(٦٩) سيبويه - الكتاب تحقيق هارون ٢٠٣/٢-٢٠٤.

ومن ذلك إتباع الثاني الأول في الفعل المضعف. قال: اعلم أن منهم من يحرك الآخر كتحرريك ما قبله، فإن كان مفتوحاً فتحوه، وإن كان مضموماً ضمّوه، وإن كان مسكوراً كسروه، وذلك قولك: رُدُّ، وَعَضُّ، وفِرٌّ يا فتى. واقشعِرٌّ، واطمِنِنٌّ، واستعِدِّ، واجتَرِّ، واحمَرِّ، وضارٌّ، لأن قبلها فتحة وألفاً، فهي أجدر أن تفتح. ورُدُّنا، ولا يُسَلِّكُم اللهُ، وَعَضُّنا، ومُدُّني إليك، ولا يُسَلِّكُ اللهُ، وليعَضِّكُم (٧٠).

ومن ذلك ضم همزة الوصل في الفعلين الماضي والأمر. قال: واعلم أن الألف الموصولة فيما ذكرنا في الابتداء مكسورة أبداً، إلا أن يكون الحرف الثالث مضموماً فتضمها، وذلك قولك: اقتُل، استضعف، احتقر، احترجم. وذلك أنك قرَّبت الألف من المضموم إذ لم يكن بينهما إلا ساكن، فكرهوا كسرة بعدها ضمة، وأرادوا أن يكون العمل من وجه واحد، كما فعلوا ذلك في: مَدُّ اليوم يا فتى، وهو في هذا أجدر، لأنه ليس في الكلام حرف أوله مكسور والثاني مضموم. وفعل هذا به كما فعل بالمدغم إذا أردت أن ترفع لسانك من موضع واحد. وكذلك أرادوا أن يكون العمل من وجه واحد. ودعاهم ذلك إلى أن قالوا: أنا أجوعك، وأنبؤك، وهو مُنَحَّرٌ من الجبل. أنبأنا بذلك الخليل. وقالوا أيضاً: لإمك. وقالوا:

اضربِ الساقينِ إمكِ هابل^(٧١)

فكسرهما جميعاً، كما ضمَّ في ذلك^(٧٢).

(٧٠) السابق ٥٢٢/٣. وانظر لغات بني تميم في آخر الأمر من المضاعف في: ابن جني - الخصائص ٣٦/٣ - ٣٧.

(٧١) شطر بيت من الطويل، وهو بتمامه: وقال اضرب الساقين أمك هابل. وهو دون نسبة في: سيبويه - الكتاب تحقيق هارون ١٤٦/٤، ابن جني - الخصائص ١٤٥/٢ بلفظ: الساقين إمك.

(٧٢) سيبويه - الكتاب ١٤٦/٤-١٤٧. يريد: كما ضم النون في الساقين، والهمزة في أمك، أتبع الأول الثاني.

ومن ذلك كسر النون والباء في نِعَمَ وبيُسَ من أجل حرفي
 الحلق. قال ابن السراج: نِعَمَ وبيُسَ فعلان ماضيان، كان أصلهما نَعِمَ
 وبيُسَ، فكسرت الفاءان من أجل حرفي الحلق وهما العين في نَعِمَ،
 والهمزة في بيُسَ، فصارا: نِعَمَ وبيُسَ، كما تقول: شهِدَ، فتكسر الشين
 من أجل انكسار الهاء. ثم أسكنوا لها^(٧٨) العين من نَعِمَ، والهمزة من
 بيُسَ، كما يسكنون الهاء من شهِدَ فيقولون: شهِدَ، فقالوا: نِعَمَ وبيُسَ . . .
 ففي نَعِمَ أربع لغات: نَعِمَ، ونِعِمَ، ونِعِمَ، ونَعِمَ^(٧٩).

ومن المطابقة لم يَلِدَهُ، ولم أَجِدَ، في قول أحدهم:
 أَلَا رَبُّ مَوْلُودٍ وَلَيْسَ لَهُ أَبٌ وَذِي وَدٍ لَمْ يَلِدْهُ أَبْوَانٌ^(٨٠)

لأنه أراد: لم يَلِدَهُ، فأسكن اللام استئقلاً للكسرة، وكانت الدال ساكنة، فحركها
 لالتقاء الساكنين. وقول الآخر:

فَوَاللَّهِ لَوْلَا بُغْضُكُمْ مَا سَبَّيْتُكُمْ وَلَكِنِّي لَمْ أَجِدْ مِنْ سَبِّكُمْ بُدَاً^(٨١)

أي لم أَجِدَ، فأسكن الجيم، وحرك الدال على ما مضى^(٨٢).

(٧٨) يعني للكسرة.

(٧٩) ابن السراج - الأصول في النحو ١/١١١. وفي الأصل تحريفات كثيرة. وانظر: تقريرات السيرافي على
 هامش الكتاب طبعة بولاق ١/٣٠٠.

(٨٠) البيت من البحر الطويل. وهو في: سيوييه - الكتاب تحقيق هارون ٤/١١٥. بلفظ: عجبت لمولود، أنشده
 الخليل لرجل من أزد السراة. وهو أول ثلاثة أبيات في: السيوطي - شرح شواهد المغني ١/٣٩٨-٣٩٩،
 وفيه: قال ابن يسعون: هذه الأبيات لرجل من أزد السراة، وقيل: هي لعمر الجني. والبيت دون نسبة في:
 ابن جني - الخصائص ٢/٣٣٣، ابن يعيش - شرح المفصل ٩/١٢٦، السمين الحلبي الدر المصون ١/٤٦٣.
 (٨١) تقدم برقم (٥٥).

(٨٢) انظر: ابن جني - الخصائص ٢/٣٣٣، الزبيدي - تاج العروس: وجد.

فتحريك الدال في الفعلين بالفتح من طلب الخفة، ومن الإتياع أيضاً،
تبعث فتحة الدال فتحة حرف المضارعة، وبينهما حاجز غير منيع.

وأورد ابن جني أمثلة كثيرة لما كانت الحركة فيه غير لازمة، أي
للمطابقة التي سماها الإتياع.^(٨٣)

وتقدمت لغات العرب في اسم الفعل المضارع أفّ، وفي حيث، التحريك
في الاثنتين لالتقاء الساكنين. وضم الفاء في الأول منونا وغير منون للإتياع.
ذكر ذلك ابن جني^(٨٤). وفتح الناء في الثاني للتخفيف. ذكر ذلك ابن الخباز،
وابن هشام^(٨٥). وقال سيبويه: شبهوه بأين^(٨٦).

أقول: وفتح الناء في حيث للإتياع أيضاً، تبعث حركة الناء فتحة الحاء،
وبينهما حاجز غير منيع.

ووضع ابن جني لمصطلح المطابقة أو التناسب مصطلح الإدغام الصغير
أو الأصغر، في مقابل الإدغام الأكبر الذي هو إدغام المثلين. والغرض من
كليهما تقريب الصوت من الصوت. وتكلم على كثير من مسائل الإدغام الصغير
وقال: وجميع ما هذه حاله مما قُرّب فيه الصوت من الصوت، جارٍ مجرى
الإدغام فيما ذكرناه من التقريب. وإنما احتطنا له بهذه السمة التي هي الإدغام
الصغير، لأن في هذا إيذاناً بأن التقريب شامل للموضعين، وأنه هو المراد
المبغى في كلتا الجهتين. فاعرف ذلك^(٨٧).

(٨٣) انظر: الخصائص ٢/٣٣٣-٣٣٦.

(٨٤) السابق ٣/٣٧-٣٨.

(٨٥) ابن الخباز - توجيه اللع ٧٠، ابن هشام - معني اللبيب ١/١٣١.

(٨٦) الكتاب تحقيق هارون ٣/٢٨٦.

(٨٧) انظر: ابن جني - الخصائص ٢/١٣٩-١٤٥.

وقد دعتهم المطابقة، أو الإتياع، أو ما سماه ابن جنى الإدغام الصغير أو الأصغر، الذي غرضه تقريب الصوت من الصوت، إلى الإخلال بالإعراب، ومن هذا "الحمد لله رب العالمين"^(٨٨). قال العكبري: ويُقرأ بكسر الدال إتياعاً لكسرة اللام، كما قالوا: المغيرة^(٨٩) ورغيف. وهو ضعيف في الآية، لأن فيه إتياع الإعراب البناء، وفي ذلك إبطال للإعراب^(٩٠).

ومن هذا بيت الكتاب:

[وقال] اضرب الساقين إمك هابل^(٩١)

قال ابن جنى: وأصله: أمك هابل، إلا أن همزة أمك كسرت لانكسار ما قبلها، على حد قراءة من قرأ "فلامه التث"^(٩٢)، فصار: إمك هابل، ثم أتبع الكسر الكسر، فهجمت كسرة الإتياع على ضمة الإعراب، فابتزتها موضعها، فهذا شاذ لا يقاس عليه، ألا تراك لا تقول: قدرك واسعة، ولا عدلك ثقيل، ولا بنتك عاقلة؟^(٩٣)

ومن هذا بيت الكتاب أيضا للنعمان بن بشير:

ويلمها في هواء الجوّ طالبةً ولا كهذا الذي في الأرض مطلوب^(٩٤)

(٨٨) الفاتحة ٢. وانظر: ابن جنى - الخصائص ١٤٥/٢، العكبري - التبيان ٥/١، أبا حيان - البحر المحيط ١/١٣١، السمين الحلبي الدر المصون ٤١/١.

(٨٩) في الأصل: المعيرة، بالعين المهملة. تحريف.

(٩٠) العكبري - التبيان ٥/١.

(٩١) تقدم برقم (٧١).

(٩٢) النساء ١١.

(٩٣) سيبويه - الكتاب تحقيق هارون ١٤٦/٤-١٤٧، ابن جنى - الخصائص ١٤١/٣.

(٩٤) سيبويه - الكتاب تحقيق هارون ١٤٧/٤. والبيت من البحر البسيط. نسب إلى النعمان بن بشير الأنصاري

في: سيبويه - الكتاب تحقيق هارون ١٧٤/٤، وطبعة بولاق ٢٧٢/٢، الشنتمري - تحصيل عين الذهب بذيل

الكتاب طبعة بولاق ٢٧٢/٢. ونسب إلى امرئ القيس في: سيبويه - الكتاب تحقيق هارون ٢٩٤/٢، وطبعة

بولاق ٣٥٣/١، الشنتمري - تحصيل عين الذهب بذيل الكتاب طبعة بولاق ٣٥٣/١. وهو في ديوان امرئ

القيس ص ٢٢٧ من القصيدة رقم ٤٨، وفيه: ويقال: إنها لإبراهيم بن بشير الأنصاري. يصف عقابا تطلب

نذبا.

ودعتهم المطابقة أيضا إلى إجراء الكلام على غير وجهه، وإلى الإخلال بحركة الإعراب، على تباعد الحروف التي تجرى فيها. قال سيبويه: ومما جرى نعنا على غير وجه الكلام: هذا جحر ضبٌ خربٌ. فالوجه الرفع، وهو كلام أكثر العرب وأصحهم، وهو القياس، لأن الخرب نعت الجحر، والجحر رفع. ولكن بعض العرب يجروه، وليس بنعت للضب، ولكنه نعت للذي أضيف إلى الضب، فجروه لأنه نكرة كالضب، ولأنه في موضع يقع فيه نعت الضب، ولأنه صار هو والضب بمنزلة اسم واحد. ألا ترى أنك تقول: هذا حبٌ رمان، فإذا كان لك قلت: هذا حبٌ رمانى؟ فأضفت الرمان إليك وليس لك الرمان، إنما لك الحب. ومثل ذلك: هذه ثلاثة أثوابك. فكذلك يقع على جحر ضب ما يقع على حبٌ رمان، تقول: هذا جحر ضبى، وليس لك الضب، إنما لك جحر ضب، فلم يمنعك ذلك من أن قلت: جحرٌ ضبى، والجحر والضب بمنزلة اسم مفرد، فانجر الخرب على الضب، كما أضفت الجحر إليك مع إضافة الضب. ومع هذا أنهم أتبعوا الجر الجر، كما أتبعوا الكسر الكسر نحو قولهم: بهم، وبادرهم، وما أشبه هذا.

وكلا التفسيرين تفسير الخليل، وكان كل واحد منهما وجهاً من التفسير.

وقال الخليل رحمه الله: لا يقولون إلا: هذان جحرا ضبٌ خربان، من قبل أن الضب واحد، والجحر جحران، وإنما يغلطون إذا كان الآخرُ بعدة الأول، وكان مذكراً مثله أو مؤنثاً. وقالوا: هذه جحرةٌ ضبابٍ خربة، لأن الضباب مؤنثة، ولأن الجحرة مؤنثة، والعدة واحدة، فغلطوا.

وهذا قول الخليل رحمه الله ولا ترى إلا هذا والأول سواء، لأنه إذا قال: هذا جحرٌ ضبٌ متهدمٌ، ففيه من البيان أنه ليس بالضب، مثل ما في التثنية من البيان أنه ليس بالضب.

وقال العجاج:

كَأَنَّ نَسِجَ الْعَنْكَبُوتِ الْمُرْمَلِ^(٩٥)

فالنسيج مذكر، والعنكبوت أنثى^(٩٦).

الثالث: ما نقله جماعة من أهل اللغة أنها لغة قَلَّ استعمالها^(٩٧). ونكر أبو علي قطرب^(٩٨) أنها لغة في بني يربوع، يزيدون على ياء الإضافة ياء، وأنشد لها شاهداً بيت الأغلب المتقدم:

قَالَ لَهَا هَلْ لَكَ يَا تَا فَيِّي قَالَتْ لَهُ مَا أَنْتَ بِالْمَرْضِيِّ^(٩٩)

وربما حذفوا الياء، فبقيت الياء المشددة مكسورة^(١٠٠).

(٩٥) البيت من الرجز المشطور. وهو في ديوان العجاج ١٥٨-١٥٩. ونسب إليه في: السيرافي يوسف بن أبي سعيد - شرح أبيات سيويه ٣٤١/١-٣٤٢. وبعده:

عَلَى ذُرَى قَلَامِهِ الْمُهْدَلِ سُبُوبِ كَتَانٍ بِأَيْدِي الْغَزَلِ

ذكر منهلاً ورده. المرمل: المنسوج. القلام: ضرب من النبات، وزعموا أنه الذي يعرف بالقاقلي. المهدل: المدلى. سُبُوب: جمع سِبَب وهو ثوب من كتان أبيض. شبه ما نسجت العنكبوت على أعالي قلام هذا الماء المدلى، بثياب رقيقة من كتان أبيض.

(٩٦) سيويه - الكتاب تحقيق هارون ٤٣٦/١-٤٣٧. وانظر: الفراء - معاني القرآن ٧٤/٢-٧٥.

(٩٧) أبو حيان - البحر المحيط ٤٠٩/٥، الألويسي - روح المعاني ٢١٠/١٣.

(٩٨) قطرب: أبو علي محمد بن المستنير. أخذ النحو عن سيويه، وعن جماعة من العلماء البصريين. يقال: إن سيويه لقبه قطرباً لمباكرته له في الأسفار. والقطرب: دويبة تدب ولا تفتر. توفي سنة ٢٠٦. الققطي - إنباه الرواة ٢١٩/٣.

(٩٩) تقدم برقم (١١).

(١٠٠) انظر: الفارسي - الحجة ١٦/٣-١٧، مكي بن أبي طالب - مشكل إعراب القرآن ٤٤٩/١، الكثف ٢/٢٦، الواحدي - الوسيط ٢٩/٣، ابن أبي مريم - الموضح ٧١٠/٢، ابن الأثيري - البيان ٥٧/٢، المنتجب - الفريد ١٥٨/٣، القرطبي - الجامع ٣٥٧/٩، أبا حيان - البحر المحيط ٤٠٩/٥، الألويسي - روح المعاني ٢١٠/١٣.

فالأصل في "مصرخي" ثلاث ياءات: ياء الجمع، وياء الإضافة، وياء زيدت للمد، ثم حذفت الياء التي زيدت للمد، وبقيت ياء الإضافة مكسورة^(١٠١).

ووجه هذه اللغة من القياس أن ياء الإضافة كهاء الإضمار في النصب والجر، فكما يلحقون الهاء الزيادة فيهما تارة، ويحذفونها أخرى، فكذلك يفعلون في ياء الإضمار^(١٠٢). قال سيبويه: هذا باب ثبات الياء والواو في الهاء التي هي علامة الإضمار وحذفهما.

فأما الثبات فقولك: ضربهُو زيد، وعليها مال^(١٠٣)، ولديهُو رجل. جاءت الهاء مع ما بعدها ها هنا في المذكر. كما جاءت وبعدها الألف في المؤنث، وذلك قولك: ضربها زيد، وعليها مال.

فإذا كان قبل الهاء حرف لين، فإنَّ حذف الياء والواو في الوصل أحسن، لأن الهاء من مخرج الألف، والألف تشبه الياء والواو، تشبههما في المد، وهي أختهما، فلما اجتمعت حروف متشابهة حذفوا. وهو أحسن وأكثر. وذلك قولك: عليه يا فتى، ولديه فلان، ورأيت أباهُ قبل، وهذا أبوهُ كما ترى. وأحسن القراءتين: "ونزلنَاهُ تنزيلاً"^(١٠٤) و "إنَّ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ"^(١٠٥)، و"شروهُ بئس بئس"^(١٠٦) و "خذوه فغلوه"^(١٠٧) والإتمام عربي^(١٠٨).

(١٠١) انظر: مكي بن أبي طالب - مشكل إعراب القرآن ٤٤٨/١-٤٤٩.

(١٠٢) انظر: الفارسي - الحجة ١٧/٣، مكي بن أبي طالب - مشكل إعراب القرآن ٤٤٩/١، المنتجب - الفريد

١٥٩/٣-١٦٠، الألويسي - روح المعاني ٢١٠/١٣.

(١٠٣) بالإمالة في عليها.

(١٠٤) الإسراء ١٠٦.

(١٠٥) الأعراف ١٧٦.

(١٠٦) يوسف ٢٠.

(١٠٧) الحاقة ٣٠.

(١٠٨) سيبويه - الكتاب تحقيق هارون ٤/١٨٩. وجاء في الذيل ما ملخصه بتصريف عن السيرافي

أبي سعيد: فصل سيبويه في الهاء التي قبلها ساكن، فإذا كان حرف علة واوا أو ياء أو ألفا،

فالاختيار أن تحرك ولا توصل بحرف نحو عليه، وألقى عصاه، وخذوه. وإذا كان غير حرف

علة، فالاختيار أن تحرك وتوصل بواو نحو: "منهو آيات"، وأصابتهو جائحة. واختار أبو العباس

حذف الصلة في: منه، وأصابته، ولم يفرق بين حرف اللين وغيره. وهذا هو الصحيح، لأن

أكثر القراء، والجمهور على: "منه آيات محكمات". آل عمران ٧.

ووجهها من القياس أيضا أن ياء الإضافة ككاف الإضمار في النصب
والجر، فكما يلحقون الكاف الزيادة فيهما ويحذفونها فيقولون: عليك مال،
وعليكي مال، وأعطيتكاه، وأعطيتكيه، ويقولون: عليك مال، وعليك مال،
وأعطيتكاه، وأعطيتكيه، فذلك يفعلون في ياء الإضافة فيقولون: عليي،
ومكرميي، ويقولون: علي، ومكرمي^(١٠٩).

ووجهها من القياس أيضا أن ياء الإضافة كتاء المؤنث، فكما يلحقون تاء
المؤنث الياء صلة ويحذفونها، لأنها كهاء الإضمار، فذلك يفعلون في ياء
الإضافة. قال الشاعر:

رَمَيْتِيهِ فَأَضْمَيْتِ فَمَا أَخْطَأَتْ فِي الرَّمْيَةِ^(١١٠)

وتقول: رَمَيْتِهِ^(١١١).

التوجيهان الأول والثالث في مطلق ياء المتكلم المدغم فيها. والثاني
خاص في مثل: "بمصرخي إني"، فليس كل ياء متكلم مدغم فيها يكسر ما بعدها

(١٠٩) انظر: الفارسي - الحجة ١٧/٣، المنتجب - الفريد ١٥٩/٣-١٦٠، الألويسي - روح المعاني ٢١٠/١٣.
(١١٠) البيت من البحر الهزج. وهو أول بيتين دون نسبة في: أبي حيان - ارتشاف الضرب ٤٦٣/١، والثاني
قوله:

بِسَهْمَيْنِ مَلِيحَيْنِ أَعَارَتَكِيهَما الطَّبِيَّةَ

والبيت دون نسبة في: الفارسي - الحجة ١٧/٣، مكي بن أبي طالب - مشكل إعراب القرآن ٤٤٩/١،
المنتجب - الفريد ١٦٠/٣ بلفظ: فأضميت بالضاد المعجمة، السمين الحلبي - الدر المصون ٩٣/٧.
والشطر الثاني من البيت الشاهد في غير ارتشاف الضرب دون "في"، فيقرأ في هذه الحالة بقطع همزة
الوصل في "الرمية".

أسمى الرمية: أنفذاها. وضما وأضمي بمعنى ظلم. قال أبو منصور: كأنه مقلوب ضام، وكذلك يضى إذا
أقام، مقلوب باض. ابن منظور لسان العرب: ضما، ضما.

والشطر الأول من البيت الشاهد في بعض المراجع بلفظ: فأقصدت. والقصد: الاعتماد، والتوجه، والأم.
(١١١) انظر: الفارسي - الحجة ١٧/٣، مكي بن أبي طالب - مشكل إعراب القرآن ٤٤٩/١، المنتجب - الفريد
١٦٠/٣.

وما قبلها، فإنك تقول: عَلِيّ دِين، وجاء بُنَيّ أَمْس، ورأيت بُنَيّ أَمْس، ومررت
ببُنَيّ أَمْس.

وجهها في الاستعمال:

وشواهد إحقاق ياء المتكلم المدغم فيها ياء الصلة، وحذفها أحيانا
والاجتزاء عنها بالكسرة، إلى جانب قراءة "بمصرخي" قوله تعالى: "قَالَ كَذَلِكَ
قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلِيّ هَيْنَ وَقَدْ خَلَقْتكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً"^(١١٢) بكسر الياء من
عليّ، وهي قراءة الحسن البصري^(١١٣).

وقول الأغلب المتقدم:

قال لها هل لك يا تافِيي قالت له ما أنت بالمرضي^(١١٤)

وقول أمية بن أبي الصلت:

يا بُنَيّي إِنِّي نَذَرْتُكَ لِلـ هـ شَحِيطاً فَاصْبِرْ فِدَى لِكَ خَالِي^(١١٥)

(١١٢) مريم ٩.

(١١٣) أبو حيان - البحر المحيط ١٦٦/٦، البنا - إتحاف فضلاء البشر ٢٣٤/٢.

(١١٤) تقدم برقم (١١).

(١١٥) البيت من البحر الخفيف. وهو في: البغدادي - خزنة الأدب تحقيق هارون ٢٥٢/١ لأمية، من قصيدة
طويلة عدتها تسعة وسبعون بيتاً، ذكر منها شيئاً من قصص الأنبياء عليهم السلام: داود، وسليمان، ونوح،
وموسى، وذكر قصة إبراهيم وإسحاق عليهما السلام، وأنه هو الذبيح، وهو قول مشهور للعلماء.
والبيت في ديوان أمية ٤٤١، وأثبت جامعه ومحققه رواية البدء والتاريخ للمقدسي، وذكر أنها بلفظ/ أبني
إبني... سحيطاً. وذكر أن البيت بالخزانة بلفظ: يا بُنَيّي إبني، هكذا زعم. وذكر أنه في تاريخ الطبري
بلفظ: أبني إبني قد. التفعيلة الأولى على ما أثبتته جامع الديوان من الروايات تكون مشكولة في البدء
والتاريخ، أي دخلها زحاف الشكل المركب من الخين والكف. ومكفوفة في خزنة الأدب، أي دخلها
زحاف الكف المفرد. ومشكولة والوزن غير مستقيم في تاريخ الطبري.
الشحيط: الذبيح. من سَحَطَ يَسْحَطُه سَحَطاً. وكذلك السحيط بالسین المهملة من سَحَطَه يَسْحَطُه سَحَطاً.
قال ابن سيده: والسين أعلى. ابن منظور - لسان العرب: سحط.
أمية بن أبي الصلت: لم يختلف أصحاب الأخبار أنه مات كافراً سنة ٨ أو ٩ في الطائف، قبل أن يسلم
التقيون. البغدادي - خزنة الأدب تحقيق هارون ٢٥٢/١.

وما ذكره أبو حيان، والسمين الحلبي، والألوسي، أنهم رَووا بيت النابغة:
عَلَى لَعْمَرُو نَعْمَةً بَعْدَ نَعْمَةٍ لَوَالِدِهِ لَيْسَتْ بِذَاتِ عِقَارِبٍ (١١٦)

بخفض الياء من عَلَى (١١٧). وما ذكره الألوسي أن رسول الله ﷺ تكلم بها في حديث بدء الوحي، وشرح حاله عليه الصلاة والسلام، لورقة بن نوفل (١١٨).

الحسن والأحسن في حركتي الياء:-

لبعض من أجاز لغة الكسر في "مصرخي" وصححها، عبارات تحوم حول مسألة الحسن والأحسن، مثل: الفتح أخف عليهم، وهو الوجه، والاختيار، والأولى، والأفصح، والأقش، والقياس، والمشهور المستعمل الفاشي، ولغته هي الفصحى (١١٩).

وغاية كلامهم في هذا أن كون لغة أحسن من أخرى، لا يمنع من استعمال اللغة الحسنة. قال الفراء: ألا ترى أنهم يقولون: لم أره مَدُّ اليوم، ومَدُّ اليوم، والرفع في الذال هو الوجه، لأنه أصل حركة مذ، والخفض جائز؟ فكذلك الياء من مصرخي، خفضت ولها أصل في النصب (١٢٠).

(١١٦) البيت من البحر الطويل. وهو في ديوان النابغة ص ٤١ قصيدة ٣ بيت ٤، بفتح الياء من علي. ليست بذات عقارب: ليس فيها مكروه، لا يكدرها من ولا أذى.

(١١٧) أبو حيان - البحر المحيط ٤٠٩/٥، السمين الحلبي - الدر المصون ٩٢/٧، الألوسي - روح المعاني ٢١٠/١٣.

(١١٨) الألوسي - روح المعاني ٢١٠/١٣. يريد الحديث المتفق عليه، وفيه: أومخرجي هم؟ صحيح البخاري ج ١ باب ١ حديث ٣ ص ٤-٥، صحيح مسلم ج ١ كتاب ١ باب ٧٣ حديث ٢٥٢ (١٦٠) ص ١٣٩-١٤٢. وضبطه فيهما بفتح الياء.

(١١٩) انظر: الفراء - معاني القرآن ٧٦/٢، ابن خالويه - الحجة ١٧٨، إعراب القراءات السبع وعللها ٣٣٦/١، ابن زنجلة - حجة القراءات ٣٧٧-٣٧٨، الفارسي - الحجة ١٧/٣، مكى بن أبي طالب - مشكل إعراب القرآن ٤٤٨/١، الكثف ٢٦-٢٧، ابن أبي مريم الموضح ٧١٠-٧١١، العكبري - إعراب القراءات الشواذ ٧٣٤/١، المنتجب - الفريد ١٦٠/٣، القرطبي - الجامع ٣٥٧/٩.

(١٢٠) الفراء - معاني القرآن ٧٦/٢.

وقال الفارسي، وقد ذكر أن كسر الياء من مصرخي لغة في بني يربوع، وبين وجهها من القياس: فإذا كانت هذه الكسرة في الياء على هذه اللغة، وإن كان غيرها أفشى منها، وعضده من القياس ما ذكرنا، لم يجز لقائل أن يقول إن القراءة بذلك لحن، لاستفاضة ذلك في السماع والقياس، وما كان كذلك لا يكون لحناً^(١٢١).

وقال المُنْتَجِب الهمذاني، وقد ذكر الوجوه الثلاثة في هذه اللغة: فهذه الوجوه صحيحة فاشية حسنة على الأصول، وإذا كان كذلك، فلا وجه لمن ضَعَّف هذه القراءة، وعدّها من اللحن، ولو لم يكن لها إلا وجه واحد، ولا يحل لمسلم أن يقدم على الطعن في شيء ثبتت روايته عن رسول الله ﷺ، مع صحة مخرجه، والرادّ عليه كالرادّ على رسول الله ﷺ^(١٢٢).

وقال القرطبي، وقد ذكر تضعيف الفراء والزجاج لهذه القراءة، وذكر تصحيح قطرب لها، وأنها لغة في بني يربوع: القشيري: والذي يغني عن هذا، أن ما يثبت بالتواتر عن النبي ﷺ، فلا يجوز فيه هو خطأ، أو قبيح، أو رديء، بل هو في القرآن فصيح، وفيه ما هو أفصح منه، فلعل هؤلاء أرادوا أن غير هذا الذي قرأ به حمزة أفصح^(١٢٣).

وقال البنا: وهي متواترة صحيحة، والطاعن فيها غلط قاصر، ونفى النافي لسماعها لا يدل على عدمها، فمن سمعها مقدم عليه، إذ هو مثبت^(١٢٤).

وكون لغة أحسن من أخرى كثير في كلام العرب، ولم تمنعهم اللغة الأحسن من استعمال اللغة الحسنّة. فضم الواو في قوله تعالى: "أولئك الذين

(١٢١) الفارسي - الحجة ١٧/٣. وانظر: المنتجب - الفريد ١٦٠/٣.

(١٢٢) المنتجب - الفريد ١٦٠/٣.

(١٢٣) القرطبي - الجامع ٣٥٧/٩.

(١٢٤) البنا - إتحاق فضلاء البشر ١٦٨/٢.

اشترخوا الضلالة بالهدى" (١٢٥) مجمع عليها (١٢٦)، وهى قراءة السبعة (١٢٧)، ونكر العكبىرى فى ؤوجيها خمسة أوجه (١٢٨)، ولم يمنعهم ذلك من قراءاتها الأخرى.

وفتح الثانى من يَخْطَفُ، وَيَهْدِي، وَيَخْصَمُونَ، صحيح جيد بالغ على ما ذكر الزجاج (١٢٩). وهو الاختيار (١٣٠)، وأجود القراءة (١٣١)، لأنه من قبيل إلقاء فتحة تاء الافتعال على ما قبلها بعد الإبدال والإدغام. ولم يمنعهم هذا من القراءات الأخرى فى هذه الحروف.

وأكثر من هذا، أن الفصيح من العرب، قد يعمد إلى لغة، غيرها أقوى عنده فى القياس منها. قال ابن جنى: ويدلك على أن الفصيح من العرب، قد يتكلم باللغة غيرها أقوى فى القياس عنده منها، ما حدثنا به أبو علي رحمه الله قال: عن أبي بكر (١٣٢)، عن أبي العباس (١٣٣)، أن عمارة (١٣٤) كان يقرأ "ولا الليل سابقُ النهار" (١٣٥) بالنصب، قال أبو العباس: فقلت له: ما أردت؟ فقال: أردت: "سابقُ النهار"، قال: فقلت له: فهلاً قلت؟ فقال: لو قلته لكان أوزن.

(١٢٥) البقرة ١٦.

(١٢٦) الزجاج - معاني القرآن وإعرابه ٨٩/١.

(١٢٧) ابن مجاهد - السبعة فى القراءات ١٤٥.

(١٢٨) العكبىرى - التبيان ٣٢/١.

(١٢٩) معاني القرآن وإعرابه ١٩/٣. وانظر: ٢٩٠/٤.

(١٣٠) مكى بن أبى طالب - الكشف ٢١٨/٢.

(١٣١) الواحدى - الوسيط ٥١٥/٣.

(١٣٢) أبو بكر بن السراج.

(١٣٣) أبو العباس المبرد.

(١٣٤) عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية الخطفى، أبو عقيل. كان شاعرا متقدما فصيحاً، وكان المبرد يقول: ختمت الفصاحة فى شعر المحدثين بعمارة بن عقيل. كان نحاة البصرة يأخذون عنه اللغة.

توفى ٢٣٩. انظر: الصفدى - الوافى بالوفيات ٢٥٢/٢٢.

(١٣٥) يس ٤٠.

فقوله: أوزن، أي أقوى وأمكن في النفس. أفلا تراه جنح إلى لغة وغيرها أقوى في نفسه منها؟^(١٣٦)

وقال في موضع آخر وقد أورد القصة: ففي هذه الحكاية لنا ثلاثة أغراض مستتبطة منها: أحدها: تصحيح قولنا: إن أصل كذا كذا. والآخر: قولنا: إنها^(١٣٧) فعلت كذا لكذا، ألا تراه إنما طلب الخفة؟ يدل عليه قوله: لكان أوزن، أي أنقل في النفس وأقوى، من قولهم: هذا درهم وازن، أي ثقيل له وزن. والثالث: أنها قد تنطق بالشيء غيره في أنفسها أقوى منه، لإيثارها التخفيف^(١٣٨). إذ لولا ذلك لكان الأقوى أحق وأحرى، كما أنهم لا يستعملون المجاز إلا لضرب من المبالغة، إذ لولا ذلك لكانت الحقيقة أولى من المسامحة^(١٣٩).

إن كسر ياء المتكلم المدغم فيها، يمكن أن يدخل فيما سماه الدكتور رمضان عبد التواب "الركام اللغوي للظواهر المندثرة في اللغة"^(١٤٠)، فقد امتدت هذه الظاهرة اللغوية على الأيام، فقد ذكر أبو حيان أنها لغة باقية في أفواه كثير من الناس إلى اليوم، يقول القائل: ما فيّ أفعل كذا، بكسر الياء^(١٤١). وتوفي أبو حيان سنة ٧٤٥. وقال ابن الجزري: وهذه اللغة باقية شائعة في أفواه أكثر الناس إلى اليوم، يقولون: ما فيّ أفعل كذا، ويطلقونها في كل ياءات الإضافة المدغم فيها فيقولون: ما عليّ منك، ولا أمرك إليّ. وبعضهم يبالغ في كسرتها حتى

(١٣٦) ابن جني - الخصائص ١/١٢٥.

(١٣٧) أي العرب. (المحقق، محمد علي النجار).

(١٣٨) الخصائص ١/٢٤٩.

(١٣٩) السابق ١/٢٧٣.

(١٤٠) عبد التواب - فصول في فقه العربية ١٢٦.

(١٤١) أبو حيان - البحر المحيط ٥/٤٠٩.

تصير ياء^(١٤٢). وتوفي ابن الجزري سنة ٨٣٣. وذكر الألويسي أنها لغة أهل الموصل، وكثير من الناس اليوم^(١٤٣). وتوفي الألويسي سنة ١٢٧٠.

أقول: كسر ياء المتكلم المدغم فيها، لغة شائعة إلى يومنا هذا، القرن الخامس عشر الهجري، وقد يبالغ بعضهم في الكسرة حتى تصير ياء، نحو ما ذكر ابن الجزري، فيقول: فيِّي، وَعَلَيِّي، وعلى الخصوص إذا وقعت في الاستفهام في الوقف. وهذا فاش في لغة كثير من أهل الخليل في فلسطين.

الخاتمة:-

لغة كسر ياء المتكلم المدغم فيها صحيحة في القياس والاستعمال. أما في القياس فلها وجهان مطردان: أحدهما؛ أنها مما يلتقي من الساكنين. والثاني؛ أنها لغة في بني يربوع. ولبعض صورها وجه ثالث وهو المطابقة، على ما في الآية الثانية والعشرين من سورة إبراهيم عليه السلام، وعلى ما في بيتي أمية بن أبي الصلت، والنابغة الذبياني. وقد بسطت الكلام على هذه الوجوه الثلاثة.

وأما في الاستعمال فوقفت على ستة شواهد: اثنين من القرآن الكريم، وواحد من الحديث الشريف، وثلاثة من الشعر.

ولغة الكسر على صحتها تظل فرعاً على لغة الفتح الأصل، وأربعة من الشواهد الستة التي وقفت عليها وردت باللغتين. وبيت أمية، ورجز الأغلب، هما اللذان وردا بلغة الكسر حسب.

ولغة الكسر على كونها فرعاً، لها خصوصيتها في المعنى واللفظ.

(١٤٢) ابن الجزري - النشر ٢/٢٩٩.

(١٤٣) الألويسي - روح المعاني ١٣/٢١٠.

أما في المعنى فهي أكد في الدلالة على المتكلم من الفتح، لأنها من جنس الياء الدالة عليه، فهي شبه تكرير للياء. فإذا زيدت ياء على ياء الإضافة زادت الدلالة، وصارت من قبيل الزيادة في المبنى، الدالة على زيادة في المعنى.

وأما في اللفظ فهي إثراء له، فقد أقامت الوزن في بيت أمية:

يَا بُنَيَّ إِنِّي نَذَرْتُكَ لِلْـ ۙ شَحِيحاً فَاصْبِرْ فِدَىٰ لَكَ خَالِي (١٤٤)

وأقامت القافية في رجز الأغلب:

قَالَ لَهَا هَلْ لَكَ يَا نَا فِيَّ ۙ قَالَتْ لَهَا مَا أَنْتَ بِالْمَرَضِيِّ (١٤٥)

والحمد لله أولاً وآخراً.

(١٤٤) تقدم برقم (١١٥).

(١٤٥) تقدم برقم (١١).

المصادر والمراجع

- ١- الأخفش الأوسط، أبو الحسن سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥ = ٨٣٠): معاني القرآن. تحقيق: د. فائز فارس، ط٢، ١٤٠١ = ١٩٨١.
- ٢- الألويسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود (ت ١٢٧٠ = ١٨٥٤): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. دار إحياء التراث العربي ببيروت.
- ٣- أمية بن أبي الصلت (ت ٨ أو ٩ = ٦٣٠ أو ٦٣١): الديوان. جمع وتحقيق ودراسة: د. عبد الحفيظ السطلي، ط٢، ١٩٧٧.
- ٤- ابن الأنباري، كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٧٧ = ١١٨٢): البيان في غريب إعراب القرآن. تحقيق: د. طه عبد الحميد طه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠ = ١٤٠٠.
- ٥- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ = ٨٧٠): صحيح البخاري. تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، نشر وتوزيع دار القلم بدمشق وبيروت، دار الإمام البخاري بدمشق.
- ٦- البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣ = ١٦٨٢): خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة.
- ٧- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت ٥١٦-١١٢٢): تفسير البغوي المعروف بمعالم التنزيل، بهامش تفسير الخازن، دار الفكر، ١٣٩٩ = ١٩٧٩.
- ٨- البناء، أحمد بن الحسين (ت ١١١٧ = ١٧٠٥): إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر. تحقيق: د. شعبان محمد إسماعيل، ط١، عالم الكتب ببيروت، مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة، ١٩٨٧ = ١٤٠٧.

٩- ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى (ت ٢٩١ = ٩٠٤): مجالس ثعلب.
شرح وتحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر، القسم
الأول ط٣، القسم الثاني ط٢.

١٠- ابن الجزري، شمس الدين محمد بن محمد (ت ٨٣٣ = ١٤٣٠):
أ- تحبير التيسير في القراءات العشر. تحقيق: د. أحمد محمد مفلح
القضاة، ط١، دار الفرقان للنشر والتوزيع بالأردن، ١٤٢١ =
٢٠٠٠.

ب- النشر في القراءات العشر. تحقيق: علي محمد الضباع، دار
الكتب العلمية ببيروت.

١١- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ = ١٠٠٢):
أ- الخصائص. تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة
والنشر ببيروت.

ب- سر صناعة الإعراب. دراسة وتحقيق: د. حسن هندراوي،
ط١، دار القلم بدمشق، ١٤٠٥ = ١٩٨٥.

ج- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها.
تحقيق: علي النجدي ناصف، د. عبد الحلیم النجار، د. عبد
الفتاح إسماعيل شلبي، القاهرة، ١٤١٥ = ١٩٩٤.

١٢- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف (ت ٧٤٥ = ١٣٤٤):
أ- البحر المحيط. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، علي
محمد معوض، دار الكتب العلمية ببيروت.

ب- ارتشاف الضرب من لسان العرب. تحقيق: د. مصطفى أحمد
النماس، ط١، ج١، مطبعة النسر الذهبي. ج٢ مطبعة المدني
١٤٠٨ = ١٩٨٧. ج٣ مطبعة المدني ١٤٠٩ = ١٩٨٩.

- ١٣- ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد (ت ٣٧٠ = ٩٨١):
 أ- إعراب القراءات السبع وعللها. تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط١، مطبعة المدني بالقاهرة، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٤١٣ = ١٩٩٢.
- ب- الحجة في القراءات السبع. تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق ببيروت ١٩٧١.
- ١٤- ابن الخباز، أحمد بن الحسين (ت ٦٣٧ أو ٦٣٩ = ١٢٤٠ أو ١٢٤٢):
 توجيه اللمع. دراسة وتحقيق: أ.د. فايز زكي محمد دياب، ط١، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة بالقاهرة، ١٤٢٣ = ٢٠٠٢.
- ١٥- الخزرجي، صفي الدين أحمد بن عبد الله (ت بعد ٩٢٣ = بعد ١٥٧):
 خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال. تحقيق: مجدي منصور الشورى - دار الكتب العلمية ببيروت.
- ١٦- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ = ١٣٤٧):
 معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار. تحقيق: بشار عواد معروف، شعيب الأرنؤوط، صالح مهدي عباس، ط١، مؤسسة الرسالة ببيروت، ١٤٠٤ = ١٩٨٤.
- ١٧- الزبيدي، السيد محمد مرتضى (ت ١٢٠٥ = ١٧٩٠): تاج العروس.
 دار ليبيا للنشر والتوزيع بينغازي.
- ١٨- الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري (ت ٣١١ = ٩٢٤): معاني القرآن وإعرابه. تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، ط١، عالم الكتب ببيروت، ١٩٨٨ = ١٤٠٨.
- ١٩- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨ = ١١٤٤):
 الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. دار

- المعرفة للطباعة والنشر ببيروت.
- ٢٠- ابن زنجلة، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد (من رجال المائة الرابعة = القرن العاشر الميلادي): حجة القراءات. تحقيق: سعيد الأفغاني، ط ٢، مؤسسة الرسالة ببيروت، ١٣٩٩ = ١٩٧٩.
- ٢١- ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل (ت ٣١٦ = ٩٢٨): الأصول في النحو. تحقيق: عبد "الحسين" الفتلي، ط ١، مؤسسة الرسالة ببيروت، ١٤٠٥ = ١٩٨٥.
- ٢٢- السمين الحلبي، أحمد بن يوسف (ت ٧٥٦ = ١٣٥٥): الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، ط ١، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع بدمشق وبيروت، ١٤٠٦ = ١٩٨٦.
- ٢٣- أبو سنيينة، د. كامل محمد: بناء الجملة العربية في شعر حسان بن ثابت. رسالة دكتوراه، إشراف: أ.د. محمود فهمي حجازي، د. عبد الحميد عوض السيوري، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ١٤٠٢ = ١٩٨٢.
- ٢٤- سيبويه، أبو بشر عمرو بن قنبر (ت ١٨٠ = ٧٩٨): الكتاب. أ- طبعة بولاق، ط ١، ج ١، ١٣١٦، ج ٢، ١٣١٧. ب- تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة. ج ١ + ج ٢، ط ٣، ١٤٠٨ = ١٩٨٨. ج ٣ لم تذكر الطبعة ولا سنتها. ج ٤ ط ٢، ١٤٠٢ = ١٩٨٢. ج ٥، ط ٢، ١٤٠٣ = ١٩٨٣.
- ٢٥- السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله (ت ٣٦٨ = ٩٧٩): تقارير السيرافي على هامش الكتاب طبعة بولاق الأولى، ج ١، ١٣١٦، ج ٢، ١٣١٧.
- ٢٦- السيرافي، أبو محمد يوسف بن أبي سعيد (ت ٣٨٥ = ٩٩٥): شرح

أبيات سيبويه. تحقيق: د. محمد علي الريح هاشم، مكتبة الكليات
الأزهرية بالقاهرة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة،
١٩٧٥ = ١٣٩٥.

- ٢٧- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ = ١٥٠٥):
أ- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. تحقيق: محمد أبو الفضل
إبراهيم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت.
ب- شرح شواهد المغني. تحقيق: الشيخ محمد محمود بن التلاميذ
التركزي الشنقيطي، طبع ونشر لجنة التراث العربي.
٢٨- الشنتمري، يوسف بن سليمان (ت ٤٧٦ = ١٠٨٤): تحصيل عين الذهب
من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب. ذيل الكتاب طبعة بولاق
الأولى، ج ١، ١٣١٦، ج ٢، ١٣١٧.
٢٩- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤ = ١٣٦٣): الوافي
بالوفيات. تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث
العربي ببيروت.
٣٠- عبد التواب، أ.د. رمضان: فصول في فقه العربية. ط ٢، مكتبة الخانجي
بالقاهرة، دار الرفاعي بالرياض، ١٤٠٤ = ١٩٨٣.
٣١- العجاج بن رؤبة (ت ٩٠ = ٧٠٩): الديوان. تحقيق: د. عزة حسن،
مكتبة دار الشرق ببيروت.
٣٢- العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين (ت ٦١٦ = ١٢١٩):
أ- إعراب القراءات الشواذ. دراسة وتحقيق: محمد السيد أحمد عزوز،
ط ١، عالم الكتب للطباعة والنشر ببيروت، ١٤١٧ = ١٩٩٦.
ب- التبيان في إعراب القرآن. تحقيق: علي محمد البجاوي، ط ٢، دار
الجيل ببيروت، ١٤٠٧ = ١٩٨٧.
٣٣- الفارسي، أبو علي الحسن بن أحمد (ت ٣٧٧ = ٩٨٨): الحجة للقراء

- السبعة. تحقيق: كامل مصطفى الهداوي، ط ١، دار الكتب العلمية
بيروت، ١٤٢١ = ٢٠٠١.
- ٣٤- الفخر الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر (ت ٦٠٦ =
١٢١٠): التفسير الكبير. ط ٣، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- ٣٥- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد (ت ٢٠٧ = ٨٢٣): معاني القرآن. ج ١،
تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار، ط ٢، الهيئة المصرية
العامة للكتاب، ١٩٨٠. ج ٢، تحقيق: محمد علي النجار، الدار المصرية
للتأليف والترجمة، ١٩٦٦. ج ٣، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، علي
النجدي ناصف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢.
- ٣٦- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ = ٨٩٠): تأويل مشكل
القرآن. تحقيق: السيد أحمد صقر، ط ٢، دار التراث بالقاهرة، ١٩٧٣ =
١٣٩٣.
- ٣٧- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٦٧١ = ١٢٧٣): الجامع
لأحكام القرآن. دار إحياء التراث العربي بيروت.
- ٣٨- القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت ٦٢٤ = ٦٠٥): إنباه
الرواة على أنباه النحاة. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، دار الفكر
العربي بالقاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، ١٤٠٦ = ١٩٨٦.
- ٣٩- ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى (ت ٣٢٤ = ٩٣٦): السبعة في
القراءات. تحقيق: د. شوقي ضيف، ط ٢، دار المعارف بمصر.
- ٤٠- امرؤ القيس بن حجر (ت ٨٠ ق.هـ. = ٥٤٤): الديوان. تحقيق: محمد
أبو الفضل إبراهيم، ط ٣، دار المعارف بمصر.
- ٤١- ابن أبي مريم، نصر بن علي (ت بعد ٥٦٥ = بعد ١١٧٠): الموضح
في وجوه القراءات وعللها. تحقيق ودراسة د. عمر حمدان الكبيسي،

- ط ١، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، ١٤١٤ = ١٩٩٣.
- ٤٢ مسلم بن الحجاج، أبو الحسين (ت ٢٦١ = ٨٧٥): صحيح مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.
- ٤٣ مكي بن أبي طالب، أبو محمد (ت ٤٣٧ = ١٠٤٦):
- أ- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها. تحقيق: د. محيي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٤ = ١٩٧٤.
- ب- مشكل إعراب القرآن. تحقيق: ياسين محمد السواس، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٧٤ = ١٣٩٤.
- ٤٤ المُنْتَجِب حسين بن أبي العز (ت ٦٤٣ = ١٢٤٦): الفريد في إعراب القرآن المجيد. تحقيق: د. فهمي حسن النمر، د. فؤاد علي مخيمر، ط ١، دار الثقافة بالدوحة بقطر، ١٩٩١ = ١٤١١.
- ٤٥ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ = ١٣١١): لسان العرب. دار صادر ببيروت.
- ٤٦ الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد (ت ٥١٨ = ١١٢٤): مجمع الأمثال. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة السنة المحمدية، ١٣٧٤ = ١٩٥٥.
- ٤٧ النابغة الذبياني، زياد بن معاوية (ت نحو ١٨ = نحو ٦٠٥): الديوان. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ذخائر العرب ٥٢، دار المعارف بمصر.
- ٤٨ النحاس، أبو جعفر محمد بن إسماعيل (ت ٣٣٨ = ٩٥٠): إعراب القرآن. تحقيق: زهير غازي زاهد، ط ٢، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ١٩٨٥ = ١٤٠٥.
- ٤٩ ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف (ت ٧٦١ = ١٣٦٠):

مغني اللبيب عن كتب الأعراب. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني بالقاهرة، نشر مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بميدان الأزهر بالقاهرة.

٥٠- الواحدي النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد (ت ٤٦٨ = ١٠٧٦): الوسيط في تفسير القرآن المجيد. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، د. أحمد محمد صيرة، د. أحمد عبد الغني الجمل، د. عبد الرحمن عويس، ط١، دار الكتب العلمية ببيروت، ١٩٩٤ = ١٤١٥.

٥١- ابن يعيش، يعيش بن علي بن يعيش (ت ٦٤٣ = ١٢٤٦): شرح المفصل. عالم الكتب ببيروت، مكتبة المثني بالقاهرة.

العدد بين الحساب واللغة

د. محمد سمير نجيب اللبدي

جامعة الإسراء الخاصة

المقدمة:

العدد في مفهومه الظاهري والحقيقي هو ما دل على الكميات والمقادير، سواء أكان جوابا عن سؤال صريح أو مقدر أو كان إخبارا عن استكثار، وليس له في اللغات في ما نعلم أية دراسات لغوية خاصة تغطي صياغته وبيان إعرابه وأصول استخدامه وطبيعة علاقته بالمعدود من حيث التذكير والتأنيث أو الإفراد والتنثنية والجمع كما هو شأنه في لغتنا العربية التي خصت كل مفرداته بقواعد ثابتة تبين كل جوانب الاستعمال المتعلقة به.

فالعدد في اللغة العربية فئات مختلفة، تتباين في علاقاتها مع معدوداتها تقديما أو تأخيرا وتذكيرا أو تأنيثا أو مطابقة أو مخالفة، بالإضافة إلى مواقع إعرابه رفعا أو نصبا أو جرا، ومواقع المعدود فيه من حيث الوصف أو التأكيد أو النصب على التمييز أو الجر بالإضافة.

لذلك نراه قد خص بنصيب وافر من الحديث عنه في ألفية ابن مالك، كما أن مراجع النحو ومصنفاته قد خصته بمساحة جيدة من البحث والشرح والتفصيل وصياغة المتون حوله وتحسينها.

فلأعداد في لغتنا أصولها الاشتقاقية، ولها مدلولاتها الكثيرة، كما أن لها أصولا صياغية يجب أن تراعى في التعبير عنها، وأصولا صوتية يجب أن تلاحظ كذلك، فلا يجوز رفعها أو رفع معدوداتها في موضع النصب، كما لا

يجوز جرّها في موضع الجر، ولا إعرابها في موضع البناء، ولا بناؤها في موضع الإعراب، ولا تذكيرها في موضع التأنيث أو تأنيثها في موضع التذكير.

لكل ذلك فلسفته التي انطلق منها أو بنى عليها؛ إذ لم ينشأ سمت معين في صياغة الأعداد من فراغ، وإنما قام على أصول وتعليلات تستحق التبجيل لمن جهدوا في تحليلها واجتهدوا في وضعها كما سنذكر في متن البحث.

من هنا، رأينا أن نبحت في العدد ليس فقط كرمز حسابي مقداري وإنما كصياغة لغوية لها أصولها وقواعدها مغايرين في ذلك ما أمكن الطريقة المعهودة التي عرضته بها كتب النحو ومؤلفاته متوخين في بحثنا التعرض لعلاقة العدد بشكل عام باللغة من كل جوانبها، بالإضافة إلى دلالة المقدارية في أصل وضعه ومفهومه، وهو ما نأمل أن نكون قد وفقنا في عرضه وكشفه.

العدد بين الحساب واللغة

يشغل العدد في حياتنا مساحة كبيرة، حتى إذا ما بحثنا عنه في كل المرافق والجوانب وجدناه حاضرا في الأموال والأزمنة والأمكنة، ولا يكاد حديث من أحاديثنا يخلو من ذكر للأعداد بكل مستوياتها. فإذا تناولنا الزمن وجدناه في الأيام والأسابيع والشهور والسنوات والأعمار والأجيال والقرون والتاريخ والمعارك والغزوات والحروب والأحداث.

وإذا تناولنا المكان وجدناه في جغرافية الحدود وأطوالها ومساحاتها، وما زاد فيها وما نقص، ناهيك عن الأموال والأرزاق ومقاديرها وأرباحها ودخولها وخساراتها ومدفوعات عجزاتها.

نجد العدد في كل هذه الجوانب وغيرها حاضرا قائما لا يخلو منه حديث أو مقال أو محاضرة أو بحث أو تقرير.

وقد تتخذ الأعداد في كلامنا أشكالا مختلفة، فهي حينما أعلام على الكميات والمقادير، وهي في أحيان أخرى دلالات على التقسيم والترتيب والتبويب والقياس، وهي كذلك كنايات عن المبالغة في الكثرة أو القلة.

وفي كتابتها تكون حينما بشكل الرموز الاصطلاحية المعروفة في اللغات، وحينما بشكل الحروف الهجائية، كما أنها تصنف إلى خانات ومنازل تحفظ لها كمياتها المقدارية نزولا أو صعودا.

وما من شك في أن الأعداد بكل مقاديرها تنتمي إلى كل العلوم الإنسانية، وبخاصة علم الرياضيات بعامة والحساب بخاصة، فهو الأساس بالنسبة لها، وبقية العلوم كما أشرنا آنفا لا تخلو منها ولا غناء لها عنها، فهي وسيلة التقسيم والجدولة، وهي دائما محتوية النتائج الإحصائية لكل المتعددات،

ولهذا يقرر النقاد والأدباء أن خلو الكلام الأدبي من الأعداد هو خاصية من خصائص هذا الأسلوب.

وإذا كان العدد في حقيقته العلمية الرياضية مجرد علم على كمية أو ترتيب، فإنه أيضا بحث عقلي تجريدي تتبثق منه رياضيات ذهنية مختلفة، تكتسب أحيانا أبعادا فرعية إضافية فضلا عن أبعاده العلمية البحتة.

والعدد بمفهومه الكمي جانب عالمي إنساني، يعد كما قلنا عنصرا رئيسا في كل جوانب العلم وفروعه، وهو بهذا المفهوم لا يفيدنا في بحثنا هذا إلا بمقدار ما يتصل منه بالجانب اللغوي الذي سنتطرق إليه.

وفي تأكيدنا أن بحث العدد من الناحية اللغوية لم يطرق كأسلوب، ولم يُتناول كتراكيب لغوي يخضع لقواعد ثابتة، وأسس صوتية لغوية محددة كما طرقت في اللغة العربية التي اتخذت منه عنوانا لبحث نحوي أسلوبى واسع، خضع لاستقراء منطقي وفلسفة تحليلية دقيقة طريفة. فالعدد في لغتنا بحث تكويني، وليس بحثا حسابيا كليا فقط، فهو في نحونا أسلوب استخدامي مستقرا من كلام العرب والقرآن الكريم وشواهد العصور المعتمدة.

حديثنا إذن في هذا البحث: سيدور حول العدد من الجانب اللغوي وليس الجانب الحسابي، أي: أننا سنتناول هذا الموضوع من حيث العدد اللغوي كأسلوب تركيبى له قواعده وأصوله التي يجب أن تتبع عند بنائه حتى تتوافر له سلامة الاستخدام وصحة التعبير.

وابتداء وقبل أن نتعرف إلى العدد من الناحية اللغوية، وما إذا كان هناك علاقة بين هذا الجانب والجانب الكمي الحسابي أم أنهما متداخلان يجب أن نتعرف إلى لفظي العدد والرقم، وهل هما مترادفان أم مختلفان ؟

بين العدد والرقم:

يستخدم الناس لفظ الرقم مرادفا للعدد، بمعنى أن الرقم هو العدد والعدد هو الرقم، في حين أن نصوص المعجمات لا تحتل ذلك ولا تفيد، فكلمة رقم تدور حول معانٍ متعددة ليس منها العدد، فمن ذلك: الكتابة، يقال: رقمت الكتاب أي كتبت، والتوشية، يقال: رقم الثوب وشاه.

كما يقال: التاجر يرقم الثياب أي: يعلمها، ويقال رقم الكتاب، بين حروفه ونقطه، ورقم الكتاب وترقيمه وتبينه^(١)، والرقم الكتابة والختم^(٢) وهو ضرب من البرود، وضرب مخطط من الوشي^(٣).

ومن المجاز قولهم: هو يرقم في الماء: وهذا مثل يضرب للذي يعمل ما لا يعمل أحد لحذقه^(٤)، أو لمن يعمل عملا لا طائل تحته^(٥) والرقيم في قوله تعالى: "أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم"^(٦) اسم الكلب الذي كان مع أهل الكهف، أو اسم الوادي الذي كانوا فيه، وقيل أيضا إنه لوح رقم أي: كتب فيه حديثهم، وجعل على باب الكهف^(٧).

وهكذا ويتبع هذه المادة في معجمات اللغة التراثية لم أفع فيها على ما يفيد أن الرقم هو العدد، ويبدو أنه استخدام حديث قد شاع على ألسنة الكتاب والمتكلمين، حتى أصبح في الاستعمال مرادفا للعدد، ويعزز هذا القول ما ورد في المعجمات الحديثة، حيث جاء في أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد^(٨). أن هذا الاستخدام خاص بالحاسبين الذين يطلقونه على الأعداد من ١-١٠ ويتناول الصفر أيضا، ويقال لها الأرقام الهندية.

(١) أساس البلاغة الزمخشري مادة (رقم) ص ١٧٤ ط ١ دار المعرفة، بيروت، لبنان.

(٢) اللسان ابن منظور مجلد ١٢ ص ٢٤٩ مادة رقم

(٣) اللسان ابن منظور باب الميم فصل الراء مجلد ١٢ ص ٢٤٩.

(٤) أساس البلاغة الزمخشري مادة رقم ص ١٧٤.

(٥) المعجم الأساسي جماعة من اللغويين مادة رقم ص ٥٤٣.

(٦) سورة الكهف الآية ٨.

(٧) تفسير القرآن الكريم، مختصر تفسير القاسمي - اختصار الشيخ صلاح أرقه دان - دار النفائس.

(٨) الشرتوني، سعيد الشرتوني، أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، ج ٣، ص ٤٢٥.

وقيل في جملة ما قيل إن الرقم رمز يستعمل للتعبير عن العدد^(١)، وإن الرقم لفظ مَجْمَعِي، وأنه في علم الحساب رمز مستعمل للتعبير عن أحد الأعداد البسيطة، وهي الأعداد التسعة الأولى والصفر^(٢). وهو كلام يشعر بأن الرقم مجرد رمز للعدد وليس العدد نفسه، بدليل قَصْرِهِ على الأعداد الأولية دون تغطية الأعداد كلها.

وفي رأينا إذا ما أردنا التوفيق بين اللفظين أن نقول إن العدد لا يكون رقما إلا إذا كان مكتوبا، حيث يقال الرقم المرقوم كما يقال العدد المرقوم، أو المبلغ المرقوم، ولا يقال العدد المعدود، فالأرقام هي علامات الترقيم من نقطة وفاصلة وتعجب، توضع أثناء الكلام أو في آخره، ولا تكون أعدادا مفيدة للكميات إلا في حالة كتابتها، لتكون بذلك أعدادا مرقومة، وأما في حالة لفظها، فهي كما نرجح أعداد وليست غير، فكل رقم ليس بالضرورة أن يكون عددا كما أن كل عدد ليس بالضرورة أن يكون رقما ما لم يكتب.

ويقوي هذا في رأينا أن العرب لم يكونوا يستعملون الرموز العددية في التعبير عن الكميات، سواء أكانت رموزا هندية نحو ١، ٢، ٣ أو عربية نحو 1، 2، 3، بل كانوا يلفظون العدد أو يكتبونه ويرقمونه بالحروف، سواء في رسائلهم أو تاريخ أحداثهم ورصد وقائعهم وتسجيل مقاديرهم وكمياتهم، ولعل هذا ما أدى إلى الخلط بين لفظي العدد والرقم، واستعمال كل منهما مرادفا للأخر. ومع ذلك فإن هذا الاستنتاج لا يعني في رأينا بالضرورة مصادرة لفظ الرقم في معنى العدد، فاللغة تنمو وتتطور، ولا يضيرها أن يرادف لفظ آخر ذاع وشاع كما هو الشأن في الرقم والعدد، فنحن في كل الأحوال مع نمو اللغة،

(١) المعجم الأساسي جماعة من اللغويين مادة رقم ص ٥٤٤.

(٢) المعجم الوسيط د. إبراهيم أنيس وآخرون ج ١ ط ٢ مادة (رقم) ص ٣٦٦.

وليس مع تجميدها وحصرها في لغة المعجمات ومفرداتها، وما قلناه هو للتحقيق والتوثيق وليس غير.

العدد في اللغة:

العدد مصدر الفعل "عد"، ويجمع على أعداد، والعدد هو مقدار ما يعد، والعد هو الإحصاء^(١)، أي: تعقب المعدود وإعطاؤه لفظاً يصبح بالتالي عَلَمًا عليه يدل على مقداره وكميته أو ترتيبه.

ومما يجدر التنويه به في هذا المقام أن العدد الحسابي لم يكن ببعيد عن الحديث عنه في مراجع اللغة ومعجماتها ومصنفات نحوها، فقد ورد في تعريف العدد بعامة أنه ما ساوى نصف حاشيته الصغرى والكبرى^(٢) بمعنى أن لكل عدد حاشية كبرى وهي العدد الذي يسبقه، وصغرى وهي العدد الذي يلحقه فإذا جمعت الحاشيتان كان العدد نصف هذا المجموع، فالعدد - ٦ - مثلاً هو نصف مجموع السبعة والخمسة.

وجاء في بعض مراجع اللغة المعجمية النوعية، كمعجم الكليات لأبي البقاء الكفوي أن العدد هو الكمية المتألفة من الوحدات^(٣)، وقد يطلق على كل ما يقع في مراتب العدد^(٤).

(١) المعجم العربي الأساسي جماعة من اللغويين (لاروس) مادة عدد ص ٨٢٤.

(٢) الصبان، محمد بن علي الصبان، الحاشية على الأشموني، ج ٤، ص ٦١ الحلبي + الكفوي/ أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني ١٠٩٤هـ، ١٦٨٣م، منشورات وزارة الثقافة دمشق، ج ٣، ص ٢٥٤.

(٣) المصباح المنير الفيومي - دار الكتب العلمية مادة العين والذال وما يتلئهما ص ٤٦٩ + الكفوي، الكليات، ج ٣، ص ٢٥٤.

(٤) الكفوي، الكليات ج ٣، ص ٢٥٤.

كما ورد فيه كذلك تقسيم العدد إلى تَام^(١)، وهو الذي إذا ما اجتمعت أجزاؤه كانت مثله، نحو الستة فإن أجزاءها البسيطة الصحيحة هي النصف والثالث والسدس، فالنصف - ٣ -، والثالث اثنان، والسدس واحد ومجموع ذلك ستة.

وعدد ناقص وهو الذي إذا اجتمعت أجزاؤه البسيطة الصحيحة كانت جملتها أقل منه، وهو الثمانية، فإن أجزاءها: النصف وهو ٤، والرابع وهو ٢، والثمان وهو ١. فالمجموع سبعة، والعدد الزائد وهو العدد الذي إذا اجتمعت أجزاؤه زادت عليه وهو اثنا عشر، فإن أجزاءها النصف وهو -٦- والثالث وهو -٤- والرابع وهو -٣- والسدس وهو -٢- فالمجموع خمسة عشر وهو زائد على الأصل.

فمرجع كهذا يتعرض لتصنيف العدد إلى هذه الأصناف الدقيقة بالشكل الذي قدمناه، يدل على أن اللغويين لم يكونوا بعيدين عن العدد الحسابي الإحصائي الذي لا يمكن أن ينفصل عن البيان اللغوي بأي حال.

فاللفظ بكل مشتقاته وصيغته يدور حول العدد والتعداد، واللغة كما رأينا وسنرى هي الراصد الدقيق لكل الصيغ التي دارت حول هذا المعنى.

العدد في الدراسة النحوية:

إذا كان العدد في مفهومه الاصطلاحي الحسابي كما عرفنا هو الكم الذي يترتب عليه في ما بعد وضع لفظ يكون نتيجة لعمليات الإحصاء والعد والتجميع، فإن العدد في البحث اللغوي يتضمن هذا المعنى ولكنه يأخذ منحى آخر.

فالعدد الحسابي بكل أشكاله كمية ومقدار في حين أن العدد اللغوي بالإضافة إلى ذلك هو أسلوب وتركيب وسمت كلام.

(١) المرجع السابق.

والحديث عن العدد اللغوي صياغة يختلف عن العدد الحسابي ترميزا وجدولة، ونحن في بحثنا هذا سنتطرق إلى العدد من حيث الاستخدام التركيبي اللغوي، لأنه في هذا الإطار نوع من المركبات اللفظية التي يؤلفها العدد مع المعدود. إذ إن العدد مفردا لا مفهوم له إلا بمعدوده^(١)، مذكورا أو مقدرا، وهذا المعدود في الاصطلاح هو المسمى بتمييز العدد، لأنه موظف لتمييزه وإزالة إبهامه.

والعلاقة بين العدد والمعدود لا تخرج عن العلاقة بين التمييز والمميز، فكما أن التمييز ويسمى التفسير والتبيين^(٢) يفسر ويميز المميز المبهم، فإن المعدود كذلك يفسر العدد ويبينه، ولهذا يصنفه النحاة من أنواع التمييز الخاص بالمقادير وهو من أنواع التمييز المفرد.

والمعدود سواء أكان مفردا منصوبا نحو "طالباً" في ثلاثون طالبا أم مفردا مجرورا في نحو: "طلاب" من ثلاثة طلاب، فهو اللفظ الذي يزيل الإبهام الموجود في العدد.

فالعدد ثلاثون لا مفهوم له مفردا، وهو مجهول المعنى والغرض، وكذلك لفظ ثلاث، ولا يزول إبهامهما إلا بذكر المعدود، فلهذا يسمى بالتمييز في حالة النصب وهو كذلك في حالة الجر بالإضافة.

لكل ما ذكرنا نرى العدد والمعدود يشكلان مركبا متعدد الأنواع، لأن الجزء الأول من هذا المركب لا يستغني كما أسلفنا عن الجزء الثاني ولأن الثاني يكون مع الأول مفهوما مقداريا لا يتضح إلا بهما.

(١) عباس حسن، النحو الوافي ج٤، ص ٤٨٢، دار المعارف.

(٢) عباس حسن، النحو الوافي ج٤، ص ٤٨٩.

والعدد بعامة خاضع إعرابيا لموقعه في الجملة، فقد يكون مرفوعا أو منصوبا أو مجرورا، وقد يكون مبنيا على الفتح كالأعداد المركبة التي لا تريم عن البناء، باستثناء العدد ١٢ الذي يعرب جزؤه الأول إعراب المثنى، ويبني جزؤه الثاني على الفتح دون أن يكون له إعراب، لأنه بمثابة النون من المثنى، وهو السبب في عدم إضافته كأخواته المركبة إلى صاحبها، فلا يقال هذه اثنا عشر كما يقال هذه إحدى عشر^(١).

والعدد إذا لم يكن جزءا من مفهوم الجملة فيخضع للإعراب وأريد به العد فقط، سمي بالعدد المسرود، ويكون في هذه الحالة موضوعا على الوقف، حيث يقال: واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة، إلى الألف، وذلك لأن المعاني الموجبة للإعراب مفقودة، شأنه في ذلك شأن حروف التهجي، حيث يقال في سردها: ألف، جيم، تاء، هاء، نون^(٢).

دلالة العدد اللغوي:

إن الحديث عن العدد اللغوي لا ينفصل كما ذكرنا عن الحديث عنه حسابيا ومقداريا، فنحن عندما نفرد عنوانا لدلالة العدد اللغوي، لا يعني أننا سلخناه عن مفهومه الدلالي الأصلي، وإنما أردنا الحديث عنه في صياغاته اللفظية اللغوية.

فالعدد بعامة إما أن يدل على الكمية، ويسمى العدد الأصلي، نحو خمسة وستة وأحد عشر، أو يدل على ترتيب الأشياء فيسمى العدد الترتيبي^(٣)، وهو

(١) الزمخشري/ أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، المتوفى سنة ٥٣٨ هـ، المفصل في علم العربية ص ١٥ دار الجيل، بيروت.

(٢) الزمخشري، المفصل ص ٢١٦.

(٣) الشرتوني، رشيد، مبادئ العربية في العرض والنحو، ص ١٤٠، منشورات الآداب الشرقية.

الذي يدل على رتبة الأشياء فيما بينها نحو: الخامس والسادس والحادي عشر والسبعون والمائة والألف.

ولهذين النوعين: الأصلي والترتيبي أحكام لغوية تتعلق بكل منهما، وتبين طريقة استعماله ولفظه وتركيبه.

فالعدد الأصلي، وهو الدال على الكميات يبدأ من ١-١٠٠٠، وما قبل الواحد هو الصفر الذي لا يدل على شيء. والصفر كما ورد في المعجم لفظة تدل على خلو منزلتها من العدد، ويرمز إليه بالعربية هكذا (0) وبالهندية (.)^(١).

وليس بعد الألف إلا مضاعفاته، وما يتبعها من زيادات العقود والنيفات، وأما المليون فهو تعبير غير عربي، وإذا ما أريد في العربية أن يعبر عن كميته قيل ألف ألف أي: مليون وليس غير.

العدد الأصلي من حيث الاشتقاق:

العدد الأصلي المفرد هو مجموعة الأعداد من ١-١٠ وألفاظ العقود من ٢٠-٩٠ ولفظي المائة والألف، يضاف إلى هذه المجموعات الأعداد المركبة من ١١-١٩، والأعداد المعطوفة من ٢١-٩٩، وهذه الأعداد هي تشعيب للأصول وتقريع عنها.^(٢)

وقد صنّف اللغويون هذه الأعداد بحسب دلالاتها العددية وإعرابها وطريقة ضبطها، وبحسب علاقتها بالمعدود من حيث التذكير والتأنيث، وطبيعة المعدود من حيث الإفراد والجمع والنصب والجر.

(١) المعجم الأساسي جماعة من اللغويين (لاروس) مادة صفر ص ٧٣٨.

(٢) الزمخشري، المفصل ص ٢١٢.

ولسنا في هذا البحث متوخين هذا التصنيف كما ورد في مراجع النحو ومطائنه، فهو معروض فيها بشكل تفصيلي لا غناء في تكراره. وإنما نحن في بحثنا هذا نحاول أن نتلمس الجوانب المتعلقة بالعدد، والتي لم يركز عليها في الغالب ضمن جهود بحثية خاصة، وهو ما نحاول القيام به في هذا البحث.

ولعل من مداخل الحديث في هذا الجانب أن نتعرض للأعداد في اشتقاقها وأصولها وتفرعاتها بالشكل التالي:

العدد (واحد)، ويرمز إليه بـ (1) أو (١) ، وهو أول العدد وكذلك الواحد والأحد، وهو مشتق من الوحدة، وله صيغ عديدة حيث يقال "واحد" للمذكر وواحدة وإحدى للمؤنث، ويستعمل صفة لمعدوده أو توكيدا له كما قيل في قوله تعالى: "ونفخ في الصور نفخة واحدة"^(١)، إذ تعرب كلمة واحدة صفة لنفخة أو توكيدا^(٢)، ولا يتقدم هذا العدد على معدوده، فلا يقال واحد رجل وإنما يقال رجل واحد.

وقيل إن الواحد ليس بعدد^(٣)، لأن العدد هو الكمية المتألفة من الوحدات، فلا يكون الواحد عددا^(٤) ولأن العدد كذلك كم منفصل، وهو قسم مطلق الكم، ولا يقبل القسمة لذاته كما أنه ليس له حاشية صغرى كبقية الأعداد^(٥)، والهمزة في إحدى وأحد منقلبة عن الواو، ولا يستعملان في الأعداد إلا في المنيفة، فيقال واحد وعشرون وإحدى وعشرون^(٦).

(١) سورة الحاقة الآية ١٣.

(٢) محبي الدين درويش، إعراب القرآن.

(٣) حاشية الجمل مجلد ٤، ص ٣٩٧.

(٤) الجرجاني، التعريفات + المصباح المنير.

(٥) الكفوي، أبو البقاء ج ٣، ص ٢٥٤ + الأشموني ج ٤.

(٦) الزمخشري، المفصل ص ٢١٦.

وفي التركيب يقال: أحد عشر، وفي منهج الترتيب يقال الواحد والحادي عشر والحادي والعشرون، ولا يستعمل حادٍ وحادية إلا مع (عشر) ومع (عشرين وأخواته) فيقال حاد وعشرون بدون أل أو حادية وعشرون^(١)، ومن هذا العدد تشتق الأحادية والأحادي والموحد والموحد.

العدد (اثنان)، ويرمز إليه بـ (2) أو (٢). وهو لفظ مشتق من الثاني، ويطلق على المذكر عدا أو وصفا، وقد يعرب توكيدا أو صفة لما قبله^(٢)، وهو من الألفاظ الملحقة بالمتنى إعرابا لعدم وجود مفرد له، ويعرب إعرابه سواء أكان مفردا أم مركبا أم معطوفا عليه.

ومعدوده كمعدود الواحد متقدم عليه دائما حيث يقال: رجلان اثنان، وامرأتان اثنتان، كما يقال: رجل واحد، وامرأة واحدة، ولا يقال واحد رجل، أو اثنا رجلين لأن كلمة (رجل) تفيد الجنسية والوحدة، ورجلان يفيد الجنسية وشفع الواحد، فلا حاجة إلى الجمع بينهما^(٣). وجاء على غير قياس قولهم:

ظرف عجوز فيه ثنتا حنظل

إذ المفروض أن يقال: ظرف عجوز فيه حنظلتان اثنتان.^(٤)

وهذا العدد يلفظ بهمزة الوصل حيناً، أو بدونها فيقال اثنتان أو ثنتان^(٥)، حيث تحذف الهمزة لكثرة الاستعمال.

(١) ابن الناظم، جمال الدين محمد بن مالك، شرح ألفية ابن مالك، منشورات ناصر خسرو ص ٢٩٠.

ولد سنة ستمائة ومات في شعبان سنة ٦٧٢هـ.

(٢) حكمه حكم الواحد.

(٣) الدقر، عبد الغني، معجم النحو.

(٤) أي مع بقاء النون، إذ لا إضافة في هذه الحالة. المفصل الزمخشري، ص ٢١٢.

(٥) الزمخشري، محمود بن عمر، الأنموذج - شرح الأردبيلي - جمال الدين محمد بن عبد الغني

تحقيق د. جني عبد النبي ص ١٢١.

وكما يستعمل هذا العدد مفردا، يستعمل كذلك مركبا مع عشر، فيقال: اثنا عشر في حالة التذكير واثنتا عشرة في حالة التأنيث كما يستعمل تاما في حالة العطف فيقال اثنتان وعشرون، أو ثنتان وعشرون.

ويعرب إعراب المثنى رفعا بالألف ونصبا وجرا بالياء، كما يعرب في حالة التركيب دون نون، مستعاضا عنها بلفظ عشر، فيقال اثنا عشر واثنتا عشرة، ويعرب معطوفا عليه كالمثنى بحسب موقعه رفعا بالألف، ونصبا وجرا بالياء.

وعن هذا اللفظ مكررا يعدل لفظا (ثنا و مثنى) أي: اثنين اثنين، كما في قوله تعالى: "فاتكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع"، ومنه تشتق الثنائية والمثنى والثنائي.

والعددان (١، ٢) يوافقان المعدود مفردين أو مركبين أو معطوفين في حالات الإعراب والتذكير والتأنيث والتعريف والتكثير.

العدد (ثلاثة): ويرمز إليه بـ (3) أو (٣). وهو لفظ مشتق من ثلث، وإليه ترجع كل الصيغ التي تدل على الثلاثة، مثل: ثلث وثلثي وثلوث وثلث، وعنه مكررا يعدل لفظا (ثلاث ومثلث) أي ثلاثة ثلاثة، ومنه قوله تعالى: "فاتكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع"^(١).

وهذا العدد هو بداية الجمع وأقله، ويشكل مع الأعداد التالية له إلى تسعة فئة الأعداد المخالفة، التي لا تتوافق مع معدوداتها التي تليها، وتكون مضافة إليها نحو: ثلاثة رجال، وثلاث نسوة، وسيأتي الحديث عن ذلك لاحقا.

(١) النساء الآية ٣.

ومما يقال في هذا العدد أنه إذا عطف على مجروره المعدود، لا يجوز في معطوفه إلا الجر، لأنه جمع واحد وليس بجمعين فيقال: عندي ثلاثة رجالٍ ونسوة بالرفع، بمعنى أن عندي ثلاثة رجالٍ وعندي نسوة.

العدد (أربعة): ويرمز إليه بـ (4) أو (٤)، وهو عدد زوجي مشتق من ربع، وتعود إليه كل مفهومات الرباعية وألفاظها، من رباعي ورباع وتربيع ورباع وربع ومربع ورباعية، وعنه مكررا يعدل لفظ (رُبَاع ومَرَبِع)، كما تقدم في قوله تعالى: "وانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع"^(١).

وهذا العدد من الأعداد الزوجية المخالفة لمعدوداتها في التذكير والتأنيث، ومعدوده لاحق به مجرورا بالإضافة، وإذا عطف عليه لم يجز فيه إلا الرفع كما تقدم في لفظ ٣، إذ لا يجوز الجر لأن الأربعة تحتوي على جمع واحد فيقال: لـدي أربعة رجالٍ وامرأةٌ أي لـدي ثلاثة رجالٍ وعنـدي امرأة واحدة.

العدد (خمسة): ويرمز إليه بـ (5) أو (٥)، وهو عدد وتري مشتق من (خمس)، ومنه تشتق الصيغ المستعملة في الدلالة على التخميس، نحو خمس وخماسي وخميس وخامس ومخمس ومخموس، وعن الخمسة يعدل لفظا (خُماس ومَخْمَس) أي: خمسة خمسة.

وهذا العدد كسابقه من مجموعة الأعداد المخالفة لمعدودها في التذكير والتأنيث، ومعدوده مجرور بالإضافة، وإذا عطف عليه رفع ولا مساغ للجر، لأن العدد لا يتألف من جمعين، فيقال في مثله: عندي خمسة رجالٍ ونساءً، أي: ثلاثة رجالٍ وامرأتان إذ لا يوجد من العدد خمسة إلا جمع واحد.

(٢) النساء الآية ٣.

العدد (ستة): ويرمز إليه بـ (6) أو (٦)، وأصل اللفظ سدس^(١)، فلما كثرت في الكلام أبدلوا السين تاء فصارت ست^(٢) فالتغيير الأول للتقريب من غير إدغام، والثاني مقصود به الإدغام^(٣). وذكر ابن يعيش أن إدغام ست إنما هو على سبيل الشذوذ، والذي يدل على أن أصل ست سدسة بالدال أننا في التصغير نقول سديسة وفي الجمع نقول أسداس ولا نقول: أستات^(٤).

وهذا العدد يدل على ست وحدات، وكل وحدة منه تسمى سدسا، كما أن كل مشتقاته السداسية مأخوذة منه كالسداسي والمسدس والسديس، وعنه يعدل لفظا سداس ومسدس أي ستة ستة، وهو من الأعداد المخالفة لمعدودها في التذكير والتأنيث، ولا يكون معدودها إلا جمعا مجرورا، والمعطوف عليه يجوز فيه الجر كما يجوز فيه الرفع فيقال عندي ستة رجال ونساء أو نساء.

العدد (سبعة): ويرمز إليه بـ (7) أو (٧). وهو لفظ مشتق من (سبع) ويدل على سبع وحدات، وإليه تعود كل المشتقات كالسباعي والسابع، وعنه يعدل لفظا سباع ومسبع أي سبعة سبعة.

ومن استخداماته اللغوية والدينية قوله تعالى: "الذي خلق سبع سموات طباقا"^(٥) وقول الرسول عليه الصلاة والسلام: "سبعة يظلمهم الله بظلمة يوم لا ظل إلا ظله" إلى آخر الحديث، وقوله كذلك: "إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبع مرات إحداهن بالتراب"، وهذا العدد مخالف لمعدوده تذكيرا وتأنيثا، ويكون مجموعا مجرورا، وإذا عطف عليه جاز معطوفه لوجود جمعين، أو رفعه

(١) مختار الصحاح مادة ست، ص ٢٨٤ - الرازي.

(٢) ابن جني، عثمان، الخصائص ج ٢/ ص ٤٧٢. دار الهدى للطباعة/ بيروت.

(٣) الخطيب/ عبد اللطيف/ لغويات ص ١٧٤.

(٤) شرح المفصل ص ١٢٣ لابن يعيش نقلا عن كتاب لغويات للدكتور عبد اللطيف الخطيب.

(٥) سورة الملك الآية ٣.

فيقال: عندي سبعة رجالٍ ونساءٍ أي: عندي ثلاثة رجال وأربعة نساء أو أربعة رجال وثلاثة نساء.

ولهذا العدد فضائل كثيرة سردها صاحب المخلاة، ومنها أنه عدد مقنع لأنه مذكور في السموات والأرض، وفي خلق الإنسان، وفي رزقه وأعضائه التي بها يطيع الله. (١)

وعن ابن الخباز في شرح الإيضاح قوله: وقد استقرت ما وقفت عليه من كتب العلم والتفسير والحديث والتواريخ وغير ذلك، فلم أر عددًا مذكورًا دائرًا على الألسنة أكثر من هذا العدد. (٢)

العدد (ثمانية): ويرمز إليه بـ (8) أو (٨)، وهو لفظ مشتق من (ثمان)، ويدل على ثماني وحدات تسمى كل وحدة (ثمان)، وإليه تعود اشتقاقاته المعروفة، نحو: ثمين ومثمن وثمانى، وعنه يعدل لفظًا ثمان ومثمن أي ثمانية ثمانية، والياء فيه للنسب مثل الياء في اليماني وهو بذلك منسوب إلى الثمن. (٣)

والثمانية من الأعداد المخالفة لمعدودها، وتثبت ياؤه مع المذكر والمؤنث في حالة الإضافة، فيقال ثمانية رجال وثمانى نساء وتسقط هذه الياء مع التنوين عند الرفع والجر كما تثبت عند النصب، فيقال: هؤلاء رجالٌ ثمانٍ ومررت برجالٍ ثمانٍ حيث يعامل معاملة (جوارى)، ومعدود هذا العدد مجرور بالإضافة، وإذا عطف عليه جرُّ المعطوف تبعًا له.

(١) العاملي، بهاء الدين محمد بن حسين، المخلاة ص ٣٥٥ دار المعرفة، بيروت.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الكفوي، الكليات، ج ٢، ص ١٢٨.

العدد (تسعة): ويرمز إليه بـ (9) أو (٩)، وهو ثلاث ثلاثات^(١) ويدل على تسع وحدات، والوحدة منه تسمى تسعا أو تسيعا، ويجمع على أتساع، ومنه يشتق التاسع والتساعي، وعنه يعدل لفظا (تُسَاع وَمَتَسَع) الممنوعين من الصرف، ويعنيان تسعة تسعة، وهذا العدد مخالف لمعدوده في التذكير والتأنيث، كما أن معدوده مجرور بالإضافة، والمعطوف عليه يجر فيقال عندي تسعة رجال ونسوة، لأن العدد مكون من ثلاثة جموع.

العدد (عشرة): ويرمز إليه بـ (10) أو (١٠). وهو لفظ مشتق من عشر ويدل على عشر وحدات، وكل وحدة يطلق عليها عشر، وهو من الأعداد المخالفة لمعدودها تذكيرا وتأنيثا إذا كان مفردا، ويخالف إذا كان مركبا مع الواحد إلى التسعة، ولا يشكل في هذه الحالة بنفسه عددا مفردا، وإنما يعد مع غيره عددا واحدا مبنيا معه على الفتح، إلا مع العدد (اثان) الذي يعرب إعراب المثني رفعاً بالألف ونصبا وجرا بالياء، ويبقى لفظ عشر مبنيا على الفتح لا محل له من الإعراب، لأنه بمثابة النون كما أشرنا إلى ذلك آنفا.

ومن لفظ عشرة تشتق وحداته الجزئية، نحو: العُشْر الذي يجمع على عشور وأعشار ويقال للجزء عشير ويجمع عليها عشراء، وفي الحديث الشريف (تسعة أعشار الرزق في التجارة)، ويقال كذلك للجزء الواحد معشار، وقيل إن المعشار هو عشر العشر، أي: الواحد من العشر كما يقال إنه عشر العشير أي: أنه واحد من ألف، لأنه عشر عشر العشر.

والعشرة بأجزائها تشكل العقد الذي هو عشرة أجزاء، ومنها تتكون ألفاظ العقود وهي عشرون إلى (تسعون) والعشرة أولها.^(٢)

(١) محيط المحيط للبستاني مادة عشر في باب العين ثم الشين ثم الراء.

(٢) محيط المحيط للبستاني.

والعشرة قد سميت عقدا لأنها تشكل جماعة الأجزاء التي تتم بسقف المجموعة العددية، كما يتم عقد البيت بضم حجارة سقفه بعضها إلى بعض. (١)
والعقد هو العدد يكون على رأس تسعة أعداد قبله من نوع واحد، والعقود لدى النحاة هي التي تبدأ بعشرة وتنتهي بتسعين. (٢)

ولفظ عشرة مفتوح الشين دائما، وقد تكسر أو تسكن عندما تكون مركبة مثل خمس عشرة، وربما تكسر كما ورد في لغة تميم لطول الاسم وكثرة حركاته، إلا في اثني عشر فإن الشين لا تسكن إلا لسكون الألف والياء قبلها.

وهذه المجموعة من الأعداد إذا لم يكن لها معدود وقصد بها العدد المطلق كانت كلها بالتاء، نحو: ثلاثة نصف ستة وثمانية ضعفا أربعة وتكون في هذه الحالة ممنوعة من الصرف لأنها أعلام. (٣)

الأعداد المركبة: ومن ألفاظ العقد الأول تتكون الأعداد المركبة مع لفظ عشرة، لتكون بذلك المجموعة الثانية من مجموعات الأعداد، مثل أحد عشر وثلاثة عشر إلى تسعة عشر، وتتميز هذه المجموعة بأنها مبنية على فتح الجزأين في كل الحالات الإعرابية، ما عدا لفظ ١٢ الذي يعرب أوله إعراب المثني كما ذكر آنفا.

ألفاظ العقود: ومن مفردات العقد الأول كذلك تتكون ألفاظ العقود المضاعفة، وهي عشرون إلى تسعون، وهي في الأصل مبنية من (عشرة) بعد

(١) المرجع السابق

(٢) عباس حسن، النحو الوافي ج ٤، ص ٤٨٦.

(٣) الأشموني، علي بن محمد، شرح الأشموني، لألفية ابن مالك، ج ٤، ص ٦١.

ابن هشام الأنصاري - جمال الدين بن عبد الله، الجامع الصغير في النحوت ٧٦١هـ، ١٣٦٠م، ص ٢٠٢.

الجامع الصغير في النحو لابن هشام، ص ٢٠٢.

تضعيفها، وألفاظ العقود في حقيقتها ليست جموعا، وإنما هي أسماء جموع^(١) لأنها تدل على الجمع ولا مفرد لها مثل قوم ورهط ونساء، إذ إنها أسماء موضوعة لهذه الألفاظ، وليست جمعا لعشرة أو ثلاثة.

فالعشرة هي أول العقود كما ذكرنا، فإذا ثبتت أو كررت لمرة واحدة فهي العشرون، ولثلاث فهي الثلاثون، ولأربع فهي الأربعون، ولخمس فهي الخمسون، ولست فهي الستون، ولسبع فهي السبعون، ولثمان فهي الثمانون، ولتسع فهي التسعون.

فالعشرون تعني عشرين، ويلحق في إعرابه بجمع المذكر السالم، ولا يعد جمع مذكر سالما لعدم وجود مفرد له، ويرفع بالواو وينصب ويجر بالياء، وقد يتساءل أحد عن السبب في اعتباره ملحقا بجمع المذكر السالم دون أن يثنى، فيقال: عشرينان موافقة للمعنى، وفي اعتقادنا أن لفظ العشرين يعني العشريتين من حيث دلالاته على العقد أي أنه عقدان أو مجموعتان، لكنه باعتبار دلالاته العددية فهو عشرون فردا أو جزءا، ولا نصيب له في التثنية في مثل هذا المعنى.

ولفظ العشرين من الألفاظ المحايدة التي لا تتأثر بمعدودها من حيث التذكير والتأنيث، كما أن معدوده دائما مفرد منصوب، ولا يأتي جمعا حتى لا يلتقي جمعان من غير فاصل بينهما.

ويعلل الفراء ذلك بقوله: العدد وضع على نفسه لا على أنه صفة لصاحبه، فقالوا: نلزم العشرين النون لأننا لم نقصد به قصد الرجال، ولا قصد النساء، ولا ما بين ذلك لما بعد: وكأن الاسم ليس له واحد منه يعرف فلما لم يكن على بناء ذهب به إلى مجهول العدد، تقول العرب: لقيت منه الأمرين فلم يحط بعدد، كما لم يعرف للعشرين ولا للتسعين واحد منه.^(٢)

(١) عباس حسن، النحو الوافي، ج ٤، ص ٤٧٢.

(٢) الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، المذكر والمؤنث، تحقيق د. طارق الجنابي ج ٢، ص ٢٥٥.

الثلاثون هي العَقد الثاني من ألفاظ العقود، ويعني ثلاث عشرات، ويتحقق فيه معنى الجمع من ناحيتين:

الأولى دلالته على الثلاث - وهي أول الجمع

والأخرى دلالة العشرات الثلاثة على مفهوم المعدود ذي الأفراد المتعددين.

وهذا العَقد كسابقه ملحق بجمع المذكر السالم من حيث إعرابه بالواو رفعا وبالياء جرا ونصبا، واعتبر ملحقا لخلوه من مفرد له من لفظه.

وبالنسق نفسه يجري الكلام في أربعين وخمسين وستين وسبعين وثمانين وتسعين، إذ يصدق عليها كلها أنها مضاعفات العشرة، وأن إعرابها كإعراب المذكر السالم، وإذا عرفت بأل قيل فيها: العشرون والثلاثون والتسعون وأن لها تمييزا مفردا منصوبا كما ذكر أنفا في لفظ عشرين وما صحبه من تعليل للفراء.

وربما تميّز هذه العقود على قلة بجمع يصدق على الواحد منها، وهذا خلاف المعهود المذكور، فيقال: عندي عشرون دراهم على معنى: عشرون شيئا، كل واحد منها دراهم^(١) وحمل عليه قوله تعالى في العدد المركب ذي المتميز المفرد المنصوب: "وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا" على معنى (فرقة) أي: كل فرقة منهم أسباط.^(٢)

وهذه العقود لا تضاف إلى مميزها، ولكنها قد تضاف إلى أصحابها فيقال: هذه عشرو محمد بحذف النون من أجل الإضافة وهذه عشروك وستوك، على معنى هذه حصتك مما لك من العشرين أو الستين درهما.

وورد في قول الكميت ما يؤيد ذلك إذ قال:

(١) ابن الناظم بدر الدين محمد بن مالك - شرح الألفية منشورات ناصر خسرو بيروت ص ٢٨٧.
(٢) ابن الناظم، بدر الدين محمد بن مالك، شرح الألفية: منشورات ناصر خسرو، بيروت، ص ٢٨٧

(وستوك قد كربت تكتمل)

أي: الستون السنة الخاصة بك من عمرك.^(١)

المائة والألف وهما الفئة الرابعة من العدد الأصلي، وتمثل عددين يجمعان بين شيء من خصائص المجموعات كلها، من جر للمعدود إلى أفراد له أو جمعه حيناً آخر، إلى حيادية في التذكير والتأنيث كألفاظ العقود، ولهما بعد ذلك سمات خاصة يتميزان بها.

فالعدد (مائة) ويرمز إليه بـ (100) أو (١٠٠)، وهو عدد مؤنث^(٢)، ويحتوي على عشر عشرات، ويقال في لفظه (مئيه)، وهو من الأسماء الموصوف بها، يقول سيبويه: مررت برجل مائة إبله^(٣)، ويجمع على مئات ومئون بكسر الميم وضمها، وأصل لفظ مائة مئى، والهاء عوض عن الياء المحذوفة.

وقد يشتق منه فعل، فيقال: أمأيت القوم أي كانوا تسعة وتسعين فجعلتهم مائة، ولهذا العدد تمييز مفرد مجرور بالإضافة حيث يقال: لدي مائة كتاب، وقد شذ تمييزه بمفرد منصوب كما جاء في قول الشاعر: إذا عاش الفتى مائتين عاماً، وهذا أمر لا يقاس عليه.^(٤)

وقد يضاف إلى الجمع كما جاء في قراءة حمزة لقوله تعالى: "ثلاث مائة سنين"، والتي تنسب كذلك إلى الكسائي، وقد خطأها المبرد، ولم يجوزها إلا في الشعر حيث قال: وهذا خطأ في الكلام غير جائز وإنما يجوز مثله في الشعر

(١) البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزنة الأدب، ج ٣، ص ٢٦٧.

(٢) الأتباري، المذكر والمؤنث ص ٢٤٠.

(٣) اللسان ابن منظور، باب الياء فصل الميم ص ٢٦٨ ط ١٩٦٨ دار صادر بيروت.

(٤) ابن الناظم، بدر الدين محمد بن مالك، ص ٢٨٦.

للضرورة^(١)، ومن النحاة من يقرها، فأبو حيان ينقل تجويز أبي علي لإضافة مائة إلى الجمع حيث قال: وقال أبو علي: هذه تضاف في المشهور إلى المفرد، وقد تضاف إلى الجمع.^(٢)

والعدد (مائة) عدد حيادي مع معدوده بالنسبة للتذكير والتأنيث، إذ يذكر لفظه دون أن يتأثر بمعدوده فيقال: مائة رجل ومائة امرأة بلفظ واحد.

والأصل في لفظ مائة أن يكتب هكذا (مئة) بدون ألف - ولكن الألف قد اجتمعت فيها حتى لا تختلط اللفظة بكلمتي (منه) وفئة. وتسمى المائة هندية والمائتان هند إذ التصغير للصغير والتكبير للكبير.^(٣)

الألف ويرمز إليه بـ (1000) أو (١٠٠٠)، وهو عدد مذكر في لفظه^(٤) وقد يؤنث على أنه جمع، ويجمع على ألف وآلاف، ويقال ألوف في جمع آلاف أي أنه: جمع الجمع، قال تعالى: "وهم ألوف حذر الموت"^(٥).

وهذا العدد يحتوي على عشر مئات، ويعد في العربية مبلغ الأعداد ونهايتها. وعندما تراد مضاعفاته، يقال: ألف ألف، وهو ما يعرف عند المحدثين بالمليون.

ولهذا العدد تمييزه المفرد المجرور بالإضافة، حيث يقال: في القاعة ألف رجل، ويكون جمعا مجرورا إذا كان مجموعا نحو: في القرية ألوف الرجال.

(١) تعليق الأستاذ عبد الخالق عضيمة على المقتضب ج٢، ص ١٧١.

(٢) تحقيق عبد الخالق عضيمة للمقتضب ج٢، ص ١٧١، نقلا عن البحر ج٦، ص ١١٧.

(٣) ابن مكّي الصقلي، تنقيف اللسان، ج٢، ص ١٧١، القاهرة تحقيق د. عبد العزيز مطر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة.

(٤) الأتباري، المذكر والمؤنث، ج٢، ص ٢٤٠.

(٥) سورة البقرة الآية ٢٤٣.

والألف عدد حيادي من حيث التذكير والتأنيث، فلا يتأثر بمعدوده من هذا الجانب، ويبقى على لفظه كالمائة.

وقد يوصف بالمؤلفة فيقال: ألف مؤلفة أو ألوف مؤلفة، أي: مكملة.^(١)

المخالفة بين العدد والمعدود

قد لا يكون تكرارا أن نتحدث عن العدد المخالف للمعدود في التذكير والتأنيث، وبخاصة أننا قد ذكرنا ذلك عرضا في أثناء الحديث عن الأعداد من (٣-١٠)، فمثل هذه المخالفة ظاهرة بارزة في بناء العدد والحديث عنه، إذ يقتضي السياق والمنطق أن يذكر العدد للمعدود المذكر، وأن يؤنث للمعدود المؤنث، وأما أن يختلفا فهذا أمر يستدعي الوقوف عنده لجلاء سره وبيان حكمته.

فلعدد كما ذكرنا أحكام كثيرة، لا تتحصر كما قلنا في الدلالة المقدارية الحسابية، وإنما تتعداها إلى التركيب والصياغة والإعراب، ومما لا شك فيه أن ظاهرة المخالفة كما أشرنا تبدو غريبة، ولولا أن الاستقراء اللغوي قد أثبت ذلك لكانت المطابقة هي الأولى.

ولهذا نرى التركيز عليها قليلا، لعنا نجلو شيئا من الحقيقة المتعلقة بها، وقد يكون من المفيد قبل أن نخوض في فلسفة التعليل واستعراض ما ذكر في هذا الصدد أن نبرز هذه المخالفة من باب التذكير بها، ليسهل علينا بعد ذلك الربط بينها وبين ما قيل من أسبابها.

فإذا كان العددان واحد واثان، وهما يشكلان الفئة المسالمة يطابقان المعدود السابق لهما، ومجموعة العقود وكذلك المئة والألف، وهي الفئة المحايدة

(١) انظر مختار الصحاح، الرازي، ط دار الكتب مادة ألف ص ٢٢.

لا تتأثر بالمعدود تذكيرا وتأنيثا، فإن المجموعة العددية التي تبدأ من (٣-٩) وتنظم بها العشرة مفردة وهي الفئة المعاندة تخالف معدودها فتذكر معه إن كان مؤنثا، وتؤنث معه إن كان مذكرا وذلك بالنظر إلى مفرد هذا المعدود كما يرى الجمهور أو إلى لفظ الجمع كما يرى البغداديون^(١).

ولسنا بحاجة إلى جدولة هذه الأعداد، فهي مشروحة بالتفصيل في كل مؤلفات النحو المرجعية والمنهجية.

ولكن ما سر هذه المخالفة ولماذا كانت ؟

تعليق المخالفة: لم تقع مخالفة العدد للمعدود كما ذكرنا آنفا إلا في نطاق هذه المجموعة، وهي مخالفة واجبة في مختلف استعمالاته، سواء أكانت مفردة أم مركبة أم معطوفا عليها، وقد عللت هذه المخالفة بأقوال عديدة منها: أن هذه الأعداد مؤنثة الأصل، مثل: زمرة وفرقة وطائفة، فرئي أن يستصحب الأصل المذكر لسبقه، وأن يكون التذكير مع المؤنث لكونه لاحقا للمذكر ومتأخرا عنه^(٢)، وذكر الأردبيلي في شرحه للأتمودج، معللا لذلك أن هذه الأعداد بمعنى (جماعة)، فهي في المعنى مؤنث، فينبغي أن تتراد علامة التأنيث في لفظها لتطابق المعنى، والمذكر لكونه أصلا وهو أولى برعاية هذه المطابقة، وإذا روعيت فيه ففي المؤنث لا يمكن وإلا لم يبق فرق بينهما^(٣).

وقيل إن من حق هذه الأعداد أن تستعمل بالتاء مطلقا لأن مسماها جموع، والجموع غالباً عليها التأنيث، ولكن أرادوا التفريق بين المذكر والمؤنث

(١) الأشموني ج٤، ص ٦١ ط الحلبي.

(٢) الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشموني، ج٤، ص ٦١ الحلبي.

(٣) شرح الأردبيلي للأتمودج في النحو للمزمخشري تحقيق د. حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب، القاهرة.

فجاءوا بعدد المذكر بالتاء على القياس لكونه أصلا، وبعدد المؤنث بغير التاء للتفريق. (١)

وقال الفراء: تثبت الهاء في عدد المذكر، ولا تدخل في عدد المؤنث، لأن العدد مبني على الجمع، فلما كانوا يثبتون الهاء في جمع المذكر فيقولون في جمع صبي صببية وفي جمع غلام غلمة وفي جمع رغيث أرغفة، وفي قرد قرده وحجر حجارة أثبتوها في عدده، لأن العدد مبني على الجمع.

ولما كانوا لا يدخلونها في جمع المؤنث، فيقولون في جمع رُكبة رُكب، وقرِدة قرِد وغرفة غُرِف لم يدخلوها كذلك في عدد المؤنث، لأن العدد أيضا مبني على الجمع. (٢)

ويقول أبو حاتم السجستاني: إنما أدخلوا الهاء في عدد المذكر، ولم يدخلوها في عدد المؤنث، لأن المؤنث أثقل من المذكر، وأكثر المؤنث فيه هاء التأنيث، فجعلوا جمع المؤنث بلا هاء، ليكون أخف له، لأن الهاء لزمّت الواحدة ولذلك ثقل فكرهوا أن يمكنوا ذلك النقل حتى لا ينتقل من الواحدة إلى الجماعة، ففسروا من ذلك فحذفوا الهاء في الجمع ليعتدل الجمع، فيكون ثقيل مع خفيف، وأما المذكر فخفف فأدخلوا الهاء في جمعه، فقالوا ثلاثة ليكون ثقيل مع خفيف فيعتدل، وكرهوا أن يجمع بين الثقيلين، فجعلوا ثقيلًا مع خفيف وخفيفًا مع ثقيل. (٣)

وقيل في هذا الصدد أكثر مما ذكرنا مما دار في معظمه حول خفة التذكير وثقل التأنيث وجريان كل من المؤنث والمذكر على أصله.

(١) ابن الناطم، بدر الدين بن محمد، شرح ألفية ابن مالك، ص ٢٨٤.

(٢) الأنباري، محمد بن القاسم، المذكر والمؤنث، ج ٢، ص ٢٣٢.

(٣) المصدر السابق ص ٢٣٤.

وفي اعتقادنا أن الآراء التي ذكرت هي ضرب من التعسف والتحليل
الفلسفي الذي لا فائدة منه دائما، وإنما هو ضرب من الترف الفكري، لا نملك إلا
تقديره وليس قبوله بالضرورة - وما نرجحه في هذا الصدد هو أن الاستقراء
وتتبع الجزئيات لإدراك الكليات وإحقاق حقائقها هو الذي أفضى بنا إلى استخدام
العدد كما ورد، وحسبنا أن نجد ذلك في النصوص المعتمدة وبخاصة القرآن
الكريم كما في قوله تعالى: "سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما"^(١)
وليس بيقين أن يكون ثقل المركب الإضافي المكون من جمعين سببا في تخفيفه
باختلاف المتضايقين تذكيرا وتأنينا درءا له من ثقل ثالث.

ومع هذا نعود ونقول إن الاستقراء وواقع اللغة هما اللذان يقران هذه
الظاهرة، دون الوغول في تعليلها وتفسيرها، ولولاها لما وجد في نظرنا مانع
من جريان الأمر على طبيعته فيتوافق المذكر مع المذكر والمؤنث مع المؤنث.

يقوي ذلك إمكان الأمرين (المطابقة وعدمها) في حالة تقديم المعدود
على العدد في مثل: قرأت الكتب الثلاث أو الثلاثة، علما بأن المركب
الوصفي لا يقل ثقلا عن المركب الإضافي. ويعززه كذلك قوله تعالى في
كتابه العزيز "من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها"^(٢)، حيث ذكر العدد مع
كون المعدود جمعا مذكرا، ولم يكن في ذلك أي ثقل في اللفظ، ولا نذهب
بعيدا بالاغترار في ما ذهب إليه النحاة من التأكيد على أن الآية جارية على
أصلها، وأن العدد مع معدوده المؤنث حيث قالوا: الأمثال جمع مثل والمثل
مذكر، أي أنه جمع لمذكر وصف لمحنوف مؤنث، يكون معه تقدير الآية
هكذا "من جاء بالحسنة فله عشر حسنات أمثالها"^(٣).

(١) الحاقة الآية ٧.

(٢) الأنعام الآية ١٦٠.

(٣) الأنباري محمد بن القاسم، المنكر والمؤنث، ج ٢، ص ٢٣٨.

ولا ندري لم هذا التخريج، والاستخدام واضح ولا يحتاج إلى تحميله ما لا ضرورة لتحميله إياه، وحسبنا أن نقول إن المخالفة استقرائية يقتضيها النسق التعبيري الذي تهدف إليه لغتنا في مختلف أحكامها، كالحذف والتعويض والقلب والتخفيف، وإن ما ورد مما يخالف ذلك يحمل على الجواز والقلة وحسب.

العدد الترتيبي:

سبق أن ذكرنا أن العدد ينقسم إلى، أصلي وقد ذكرناه وترتبي وهو ما سنتحدث عنه:

فإذا كان العدد الأصلي هو العدد الدال على الكميات، فالترتبي هو العدد الذي يدل على ترتيب الأشياء والمفردات وبيان مواقعها وأوصافها.

وهذا يعني أن العدد الدال على الترتيب هو عدد وصفي أي أنه نعت لغيره موجودا هذا الموصوف أم مقدر، لذلك كان حكمه الإعرابي المتابعة لموصوفه طالما أنه في موقع النعت، فنقول: أكرمت الطالب الأول أو الثاني أو الثالث في صفه، ونقول كذلك هذا السؤال الثاني عشر والتاسع عشر، وهذه هي المرة العشرون أو التسعون أو المائة أو الألف.

ويطابق العدد الترتبي معدوده في التذكير والتأنيث والتعريف والتكثير والإفراد والتثنية والجمع وفي وجوه الإعراب، شأنه في ذلك شأن الوصف الذي يطابق موصوفه في أربعة من الوجوه العشرة التي ذكرها النحاة في مصنفاتهم وشروحهم.

ومعظم مفردات العدد الترتبي مصوغ على وزن فاعل ويتعين ذلك في مجموعة الواحد إلى العشرة و في الجزء الأول من العدد المركب والمعطوف عليه في العقود، وأما العقود ذاتها ولفظا المائة والألف فيصاغ منها الترتيب على ألفاظها بقرينة المقام.

فالعدد المفرد وهو من (١-١٠) يعبر عن الترتيب منه بلفظ الأول عن الواحد. ولا يقال واحد وواحدة وحادي وحادية إلا في حالتي العطف والتركيب، فيقال الواحد والعشرون، والواحدة والعشرون أو الحادية عشرة أو الحادي عشر وفي غيرها يقال: الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع والعاشر.

وفي المركب بعامة: يقال حادي عشر وثاني عشر وثالث عشر ورابع عشر وخامس عشر وسادس عشر وسابع عشر وثامن عشر وتاسع عشر مع المذكر وبالنساء في الجزأين مع المؤنث بحسب الموصوف وتكون هذه الأعداد الوصفية مبنية على فتح الجزأين كما في العدد الكمي.

وفي المعطوف، يقال: الحادي والعشرون إلى (التاسع والتسعون) فالمعطوف عليه يطابق معدوده في كل ما للصفة، في حين أن العقد المعطوف لا يتأثر بالتذكير ولا بالتأنيث كشأنه وهو عدد أصلي وأما العقود من لفظ عشرين إلى تسعين، وكذلك المائة والألف، فهي ألفاظ عددية تدل على الترتيب بقرينة التعريف اللفظية أو الحالية فيقال: وصلت في قراءة الكتاب إلى الصفحة الأربعين أو الصفحة المائة أو الصفحة الألف.^(١)

وللعدد الترتيبي ثلاث دلالات:

الأولى: دلالة الوصف المطلق، نحو رابع وعاشر وتاسع عشر والعشرون والألف.

والثانية: الدلالة على أن الموصوف واحد من مجموعة لا تتعدى العدد المشتق منه كأن يقال: هذا ثالث ثلاثة أو خامس خمسة أي أنه أحد الخمسة دون الإشارة إلى موقعه بينهم ويلاحظ أن صياغته تجمع بين النوعين الترتيبي والأصلي. ومثاله قوله تعالى: **ثاني اثنين إذ هما في الغار**^(٢)

(١) الشرتوني، رشيد، ص ١٤٥.

(٢) التوبة الآية ٤٠.

الثالثة: الدلالة على التأثير في العدد الأصلي بجعله زائدا عليه بأن يكون مضافا إليه أو عاملا فيه النصب على معنى "جاعل" كأن يقال: هذا رابع ثلاثة، أي جاعل الثلاثة أربعة أو عاشر تسعة أي أنه جاعل التسعة عشرة، ويتم ذلك كما قلنا بإضافة الأول للثاني بتتوين الأول ثم نصب الثاني. وإلى هذين الاستعماليين يشير ابن مالك في ألفيته بقوله:

وإن ترد بعض الذي منه بنى تضاف إليه مثل بعض بين
وإن ترد جعل الأقل مثل ما فوق فحكم جاعل أحكما

وبالعديدين الأصلي والترتبيي ورد قوله تعالى: "سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا".^(١)

العدد الصريح والكنائي

وينقسم العدد من حيث الدلالة المباشرة وغير المباشرة إلى عدد صريح وعدد كنائي.

فأما الصريح، فهو العدد الذي يدل على المعدود مباشرة برمزها نحو (٣) أو بلفظه نحو ثلاثة.

وأما العدد الكنائي، فهو اللفظ الذي يدل على العدد دلالة غير صريحة ولا محدودة.

وله ألفاظ خاصة يؤدي بها وتختلف في ما بينها من حيث الدلالة، وينحصر هذا العدد الكنائي في المعنوية والمقدارية في بعض الأحيان، وينحصر

(١) الكهف الآية ٢٢.

هذا العدد في كم الاستفهامية والخبرية وكأين وكذا وكذا وألفاظ البضع والنيف والضعف وفي رأينا أن الجموع أيضا بكل أنواعها كنايةات عديدة وفي حسبنا تعدادها لا تفصيلها.

العدد ولغة التاريخ: التاريخ هو تقييد الحوادث والأمور الجارية بزمن معين مشهور بحيث ترتبط به وتنسب إليه، سواء أكانت قد وقعت وتحققت فيه أم وقعت في زمن آخر. (١)

وقد جرت عادة المؤرخين المحدثين أن يؤرخوا للوقائع بالعدد الأصلي أو الترتيبي، كأن يقال مثلا: جلا الإنجليز عن أرض فلسطين في يوم ١٥/٥/١٩٤٨ أو يقال: في اليوم الخامس عشر من أيار عام ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين.

في حين أن المؤرخين القدامى قد جرت عاداتهم على التأريخ بالليالي من الشهر القمري لسبقها على النهار (٢) وذلك من خلال تعبيرات سليمة اللغة مراعى فيها قواعد التذكير والتأنيث وقواعد إلحاق الضمائر بالفعالين (خلا) أو مضى للتعبير به عما انقضى و (بقي) للتعبير به عن الأيام التي بقيت من الشهر.

فالشهر الهجري تسعة وعشرون يوما أو ثلاثون، توزع الأحداث المراد تأريخها على أيامه، فعلى افتراض أن الشهر الذي يراد التأريخ فيه هو شهر رمضان، فإن الأحداث الواقعة فيه تصاغ تواريخها بالأشكال الآتية:

(١) عباس حسن، النحو الوافي، ج٤، ص ٥٢٤-٥٢٥.

(٢) الأشموني، شرح ألفية ابن مالك، ج٤، ص ٦٢٢.

التاريخ	الليلة	الحدث	(١٥) رمضان	التاريخ	الليلة	الحدث
أربع عشرة ليلة بقيت أو بقيين من رمضان	السادسة عشرة	* * *	النصف من رمضان أو لمنصف رمضان، وقد يقال لخمس عشرة ليلة خلت أو خلون من رمضان أو لخمس عشرة ليلة بقيت أو بقيين من رمضان	لمهل شهر رمضان أو مستهله أو لأول ليلة منه - أو لغرفته - وقع كذا وكذا	الأولى	* * *
ثلاث عشرة ليلة بقيت أو بقيين من رمضان	السابعة عشرة	* * *		ليلتين خلتا من رمضان	الثانية	* * *
لاثنتي عشرة ليلة بقيت أو بقيين من رمضان	الثامنة عشرة	* * *		ثلاث ليال خلون أو خلت من رمضان	الثالثة	* * *

لأحد عشرة ليلة بقيت أو يقين من رمضان	التاسعة عشرة	* * *		لأربع ليال خلون أو خلت من رمضان	الرابعة	* * *
لعشر ليال بقين أو بقيت من رمضان	العشرون	* * *		لخمس ليال خلون أو خلت من رمضان	الخامسة	* * *
لتسع ليال بقين أو بقيت من رمضان	الحادية والعشرون	* * *		لست ليال خلون أو خلت من رمضان	السادسة	* * *
لثمانى ليال بقين أو بقيت من رمضان	الثانية والعشرون	* * *		لسبع ليال خلون أو خلت من رمضان	السابعة	* * *
لسبع ليال بقين أو بقيت من رمضان	الثالثة والعشرون	* * *		لثمانى ليال خلون أو خلت من رمضان	الثامنة	* * *

لست ليال بقين أو بقيت من رمضان	الرابعة والعشرون	* * *	لتسع ليال خلون أو خلت من رمضان	التاسعة	* * *
لخمس ليال بقين أو بقيت من رمضان	الخامسة والعشرون	* * *	لعشر ليال خلون أو خلت من رمضان	العاشرة	* * *
لأربع ليال بقين أو بقيت من رمضان	السادسة والعشرون	* * *	لإحدى عشرة ليلة خلت من رمضان	الحادية عشرة	* * *
لثلاث ليال بقين أو بقيت من رمضان	السابعة والعشرون	* * *	لاثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان	الثانية عشرة	* * *
للبيتين بقيتا من رمضان	الثامنة والعشرون	* * *	لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان	الثالثة عشرة	* * *

لليلة بقيت من رمضان	التاسعة والعشرون	* * *	لأربع عشرة ليلة خلت أو خلون من رمضان	الرابعة عشرة	* * *
لسرر رمضان أو لسرارة أو لآخر ليلة منه أو لسلخه أو لانسلاخه	الثلاثون	* * *			

ومن أمثلة هذا الاستخدام الميدانية، ما جاء في البداية والنهاية عن غزوة هوازن حيث قال ابن كثير: وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار في كتابه أن خروج الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى هوازن بعد الفتح في خامس شوال سنة ثمان، وزعم أن الفتح كان لعشر بقين من شهر رمضان قبل خروجه إليهم بخمس عشرة ليلة.

ويواصل فيقول: وقال الواقدي: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هوازن لست خلون من شوال فأنتهى إلى حنين في عاشره.^(١)

وفي الطبري^(٢) ذكّر لبعض الأحداث التي وقعت في عام سبعة وثمانين بعد المائتين حيث قال: ولأربع ليالٍ بقين من صفر دخل المعتضد من متزهمه إلى بغداد، وفي يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت منه ولي جعفر بن محمد بن حنفي هذا، ولليلة بقيت من جمادى الأولى من هذه السنة ورد الخبر عن السلطان أن كذا وكذا، وفي يوم الأحد لعشر خلون من شهر ربيع الآخر قعد بدر مولى المعتضد في داره، وفي يوم الاثنين لإحدى عشرة خلت من شهر ربيع الآخر مات محمد بن عبد الحميد الكاتب.^(٣)

والسيوطي في مقدمة المزهري يقول عن نفسه: وكان مولدي بعد المغرب مستهل رجب سنة تسع وأربعين.

وهكذا ومن خلال الجدول السابق والأمثلة التي أوردناها نلاحظ الصياغة اللغوية الصحيحة في التعبير عن التواريخ من خلال ما يلي:

(١) ابن كثير، أبو الفداء الحافظ، البداية والنهاية، ج ٤.

(٢) الطبري، ج ١٠، ص ٥٧٥، تحقيق محمد أبو الفضل، دار المعارف بمصر.

(٣) تاريخ الطبري، ج ١، ص ٧٥-٧٦.

أولا : استخدام الفعل خلا للأيام الماضية من الشهر حتى منتصفه، وقد يستعمل الفعل مضى بدلا منه كما استخدم الفعل بقي للأيام التالية لليوم الخامس عشر حتى آخره.

ثانيا : غلبة استخدام تاء التانيث مع الأعداد التي تميز بمفرد وهي من (١١-١٩) لمراعاة الأصل واستخدام نون النسوة مع الأعداد التي تميز بجمع وهي من (٣-١٠) ولمراعاة الأصل كذلك مع جواز أن تخلف النون التاء وبالعكس.^(١)

ثالثا : تمييز الليلة الخامسة عشرة وكذلك الأخيرة بأوصاف تميزهما عن بقية الليالي.

رابعا : من الممكن إضافة العدد إلى تمييزه ليلة أو ليال أو تقديره كما في العدد ذاته الذي يجوز فيه أن يذكر معدوده أو يقدر كما في قول الرسول عليه الصلاة والسلام: من صام رمضان إيمانا واحتسابا وأتبعهن ستا من شوال فقد دخل الجنة (بحذف معدود الستة).

خامسا : السلام الجارة لكلمة ليلة بمعنى عند أو في بتقدير مضاف أي عند استقبال أو في استقبال^(٢)

ومما يجدر التأكيد على ملاحظته هنا أن التأريخ بالليالي لسبقها كما قلنا، ولكن هل يجوز اتباع النهج نفسه في تأريخ الأحداث بالأيام كما التأريخ بالليالي

(١) الأشموني، شرح الأشموني للكافية، ج٤، ص ٧٩ + عباس حسن، النحو الوافي، ج٤، ص ٥٢٥

(٢) الصبان، الحاشية، ج٤، ص ٨٧.

بالليالي ؟ إجابة عن ذلك، نقول: إن ذلك لم يرد في الحقيقة ولم ينتهج هذا النهج أحد في ما نعلم. ومع هذا فإننا نعتقد جوازه من باب القياس والمحاكاة مع مراعاة التعبيرات نفسها واستخدامها في إطار ما تقتضيه قواعد التذكير والتأنيث وإلحاق الضمير.

فلا مانع في ما نرى أن يقال مثلا: لأربعة أيام خلون أو خلت من أكتوبر حدث كذا وكذا أو لثلاثة عشر يوما بقين أو بقيت من أكتوبر وقع كذا وكذا.

العدد وحساب الجمل

ويقتحم العدد الحسابي فنون اللغة وأساليبها فنجده يترجم الحروف الأبجدية إلى مقادير أسموها حساب الجمل، وأحرف الجمل هي مجموعة من الحروف تشكل بألفاظها هذا الحساب.^(١) وعنه يقول ابن دريد ولا أحسبه عربيا^(٢) وحساب الجمل هو حساب الأحرف الهجائية الذي يقال له حساب الأبجدية المجموعة في إيجد، هوز حطي، كلمن، سعفص، قرشت، نخذ، ضظغ، وعليه تبنى التواريخ الشعرية.^(٣) إذ إن لكل حرف حسابه الذي يغطي به بالشكل التالي:

(١) السيوطي، المزهرة، ج ٢، ص ٣٤٨.

(٢) الوافي (معجم وسيط اللغة العربية الشيخ عبد الله البستاني)

(٣) المنجد في اللغة والأعلام ط ٢٢ مادة جمل ص ١٠٢.

الألف	تعادل	١	الياء	تعادل	١٠	القاف	تعادل	١٠٠
الباء	تعادل	٢	الكاف	تعادل	٢٠	الراء	تعادل	٢٠٠
الجيم	تعادل	٣	اللام	تعادل	٣٠	الشين	تعادل	٣٠٠
الذال	تعادل	٤	الميم	تعادل	٤٠	التاء	تعادل	٤٠٠
الهاء	تعادل	٥	النون	تعادل	٥٠	الثاء	تعادل	٥٠٠
الواو	تعادل	٦	السين	تعادل	٦٠	الخاء	تعادل	٦٠٠
الزاي	تعادل	٧	العين	تعادل	٧٠	الذال	تعادل	٧٠٠
الحاء	تعادل	٨	الفاء	تعادل	٨٠	الضاد	تعادل	٨٠٠
الطاء	تعادل	٩	الصاد	تعادل	٩٠	الظاء	تعادل	٩٠٠
						الغين	تعادل	١٠٠٠

ومن هذه الحروف ومقاديرها نشأ التاريخ الشعري، وهو لون بديعي نشأ في أواخر العصر المملوكي.^(١) وهو أن يضع الشاعر في آخر أبياته وبعد كلمة أرخ أو مشتقاتها كلمات إذا حسبت حروفها بحساب الجمل اجتمع فيها تاريخ المناسبة التي يغطيها، سواء أكانت مناسبة وفاة أو ولادة أو حج أو إنجاز أو زواج.

ومنه قول شاعر يؤرخ لطبع المخصص لابن سيده في عام ١٣٢١ هـ: إذ

قال:

(١) المعجم المفصل في اللغة والأدب، د. إميل يعقوب وميشيل العاصي، المجلد الأول.

أقول لما انتهى طبعاً أورخسه جاء المخصص بروي أحسن الكلم

٤ ٨٥١ ٢٢٦ ١١٩ ١٢١

ومجموع هذه الأرقام هو سنة الطباعة وهي: ١٣٢١ هـ.

وفي نموذج لشاعر آخر في تهنئة ولده بمولود له رزقه الله به في شهر
ذي الحجة من عام ١٣٤٠ هـ حيث قال:

صُهَيْبًا جَاءَ فِي شَهْرٍ عَظِيمٍ	بِهِ حَجَّ إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ
فَقُلْتُ إِلَى أَبِيهِ الْيَوْمَ أَنَا	وَأَبْشُرُ بِالْغُلَامِ عَلَى الدَّوَامِ
صَحَابِيَّ جَلِيلٍ كَانَ يَدْعَى	بِهَذَا الْاسْمِ مَا بَيْنَ الْأَنَامِ
وَجَاءَ إِلَيْهِ تَارِيخِي بِصَدَقٍ	صَهَيْبِ جَاءَنَا فِي خَيْرِ عَامِ
١٩٦	١٠٧ ٢٦ ٩٠ ٨١٠ ١١١

العدد وطرائف اللغة

ليس العدد في كل لغات الأرض ببعيد عن مجال الألفاظ والتحجبة
واختبارات الذكاء واكتناه ما وراء الأعداد من مدلولات ونتائج وإشارات.

وهو في اللغة العربية كذلك، مادة لاختبار الذكاء ووسيلة للتعرف إلى
مستويات الإدراك ومقاديرها ودرجاتها.

ويزيد على ذلك أن العدد في لغتنا متوافر في الأحاجي العربية
والموضوعات اللغوية بدرجة تدل على موقعه البارز في الدراسة اللغوية سواء
من حيث صياغته أو تركيبه أو إعرابه أو أصول مفرداته.

فقد وجدنا العدد الحسابي في موضوع دخول (ما) على إن وأخواتها، وذلك في صدد الحديث عن (ليت) التي تعمل أو تهمل دون أخواتها في حالة اقترانها بما. ويستشهد النحاة على ذلك بشاهد نحوي هو في الوقت نفسه أحجية رياضية وذلك في قول النابغة على لسان امرأة تدعى زرقاء اليمامة، يقال أنها نظرت إلى السماء، ورأت سربا من الحمام استطاعت بذكائها وحدة نظرها أن تعرف عدده بمجرد أن رأته وعن ذلك تقول الرواية إنها: (١)

قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا إلى حمامتنا أو نصفه قديّة

وفي رواية أخرى أنها قالت (٢):

ليت الحمام ليه * إلى حمامتيه * أو نصفه قديّة * تم الحمام مية

وهي بذلك تريد أن تقول: ليت العدد الذي أراه من الحمام في السماء مع الحمامة التي لدي مضافا إلى نصفه يكون المجموع مائة، أي أن العدد المقصود هو ست وستون.

فالمسألة كما تبدو رياضية أشير لها في شاهد نحوي وهو جواز نصب الحمام بإعمال ليت وجواز رفعه بإهمالها.

وفي قول سيدنا عمر بن الخطاب في شأن قوله تعالى: "إن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا" لن يغلب عسر يسرين، وقد ذكر النحاة أن النكرة إذا أعيدت نكرة أي كررت مرة ثانية كانت الثانية غير الأولى وأن المعرفة إذا ذكرت مرتين كانت الثانية عين الأولى.

(١) الأشموني، شرح الأشموني، ج ١، ص ٢٨٤.

(٢) حاشية الصبان، علي الأشموني، ج ١، ص ٢٨٤.

فاليسر في الآية الكريمة قد ذكر مرتين فالأول فيهما غير الثاني في حين أن العسر وهو معرفة قد ذكر مرتين فالعسر الثاني هو عين الأول فهو عسر واحد - وعليه فاليسر يسران والعسر عسر واحد ومثل ذلك أن نقول:

اشتريت سيارة وبعث سيارة فالثانية غير الأولى.

وإذا قلت اشتريت السيارة وبعث السيارة فالثانية هي عين الأولى.

ومن طرائف العدد كذلك ما ورد في قول أبي نواس متحدثاً عن مجلس لهو في قصيدة له، حيث قال^(١):

ودارِ ندامى عطوها وأدلجوا بها أثرٌ منهم جديدٌ ودارس
أقمنا بها يوماً ويومين بعده ويوماً له يومَ الترحلِ خامس

فقد اختلف في عدد الأيام المقامة إن كانت خمسة أو ثمانية، فمن قائل إنها خمسة ومن قائل إنها ثمانية وهو الصحيح لأن الشطر الأول ينبئ عن ثلاثة أيام كاملة والشطر الثاني ينبئ عن خمسة أخرى تبدأ باليوم الذي ذكر في الشطر الثاني وكان له خامس، أي أنه يتحدث عن خمسة أيام يكون اليوم الذي تصدر فيه الشطر الثاني أحدها وليس رابعاً ختم بالخامس، فعلى ذلك يكون المجموع ثمانية أيام.

ويقول اللغويون: دخل رمضان في الواوات، يكونون بذلك عن انقضاء الثلثين ودخول الشهر في الثلث الأخير الذي يبدأ من (٢١-٢٩) حيث يقال واحد وعشرون وخمس وعشرون وتسع وعشرون بعطف العقد على العدد بالواو، ولا يخفى ما في هذه الكناية اللغوية من لطف ظاهر في توظيف اللغة في التكنية عن العدد:

(١) الحصري، زهر الآداب، ج٣، ص ١٧٥.

ومن طرائف العدد أيضاً حديث النحاة عن واو يسمونها واو الثمانية^(١) وهي التي تسبق العدد ثمانية عند العد حيث يقال واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة وثمانية، بإدخال الواو على ثمانية دون غيرها لأن السبعة عندهم عدد كامل والعدد بعدها مستأنف.^(٢)

ومن ذلك قوله تعالى في سورة الكهف^(٣): "ويقولون سبعة وثمانهم كلبهم"، حيث أتت الواو بعد السبعة، وفي قوله كذلك: "وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها"^(٤) حيث ذكرت الواو في قوله (وفتحت) لأن أبواب الجنة ثمانية، في حين أن الواو لم تذكر في الحديث عن أبواب جهنم لكونها سبعة، حيث قال تعالى: "حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها"^(٥).

وجاءت الواو في قوله تعالى: "والناهون عن المنكر" سابقة للوصف الثامن، وعن واو الثمانية هذه، يقول ابن هشام: ذكرها من النحاة الحريري، ومن النحويين الضعفاء ابن خالويه.^(٦) في حين أن العاملي يقول عنها على لسان أبي علي المالقي: أنها لغة فصيحة لبعض العرب، ويعقب بقوله: واللغة الفصيحة التي أشار إليها هي لغة قريش.^(٧)

من كل ما قدمناه وذكرناه عن العدد نخلص إلى أن:

(١) ابن هشام، المغنى، ج٢، ص ٣٥.

(٢) العاملي، بهاء الدين، المتوفى سنة ١٠٣١ هـ، المخلاة ص ٣٥٤ + ابن هشام، المغنى، ج٢، ص ٣٥.

(٣) الكهف آية ٢٢.

(٤) الزمر الآية ٧٣.

(٥) سورة الزمر الآية ٧١.

(٦) ابن هشام، المغنى، ج٢، ص ٣٥.

(٧) العاملي، المخلاة، ص ٣٥٤.

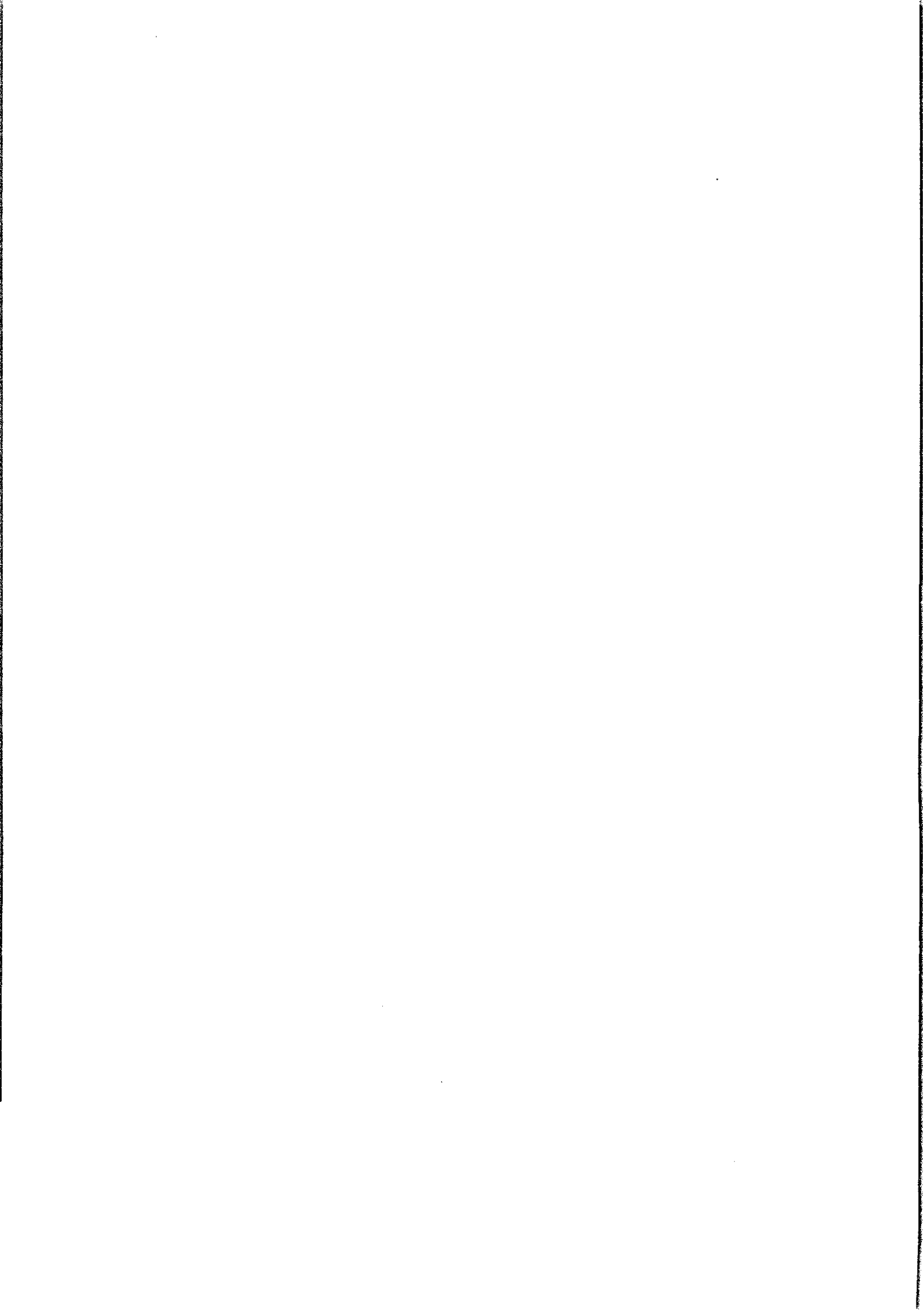
- العدد هو اللفظ الدال على المقدار سواء أكان ملفوظاً أم مكتوباً في حين الرقم هو العدد المكتوب وليس الملفوظ، وهذا يعني أن كل رقم عدد وليس كل عدد رقماً.
- المخالفة في التذكير والتأنيث بين الأعداد (٣-٩) ومعدوداتها ظاهرة استقرائية ونظام لغوي ينطلق من مفهوم التخفيف والتناسق وكل ما قيل عدا ذلك تعليقات جدلية لا ترقى إلى الحقيقة.
- الجموع وأسماء الجموع ولفظ ضعف كنايات عددية يجب أن تذكر ضمن كنايات العدد لأنها لا تدل على المقادير صراحة.
- العدد اللغوي لا ينسلخ عن مفهومه الحسابي وبذلك يدخل كتركيب وتعبير في الألفاظ وامتحان الذاكرات الحسابية كما يدخل في التعبير عن الأحداث والتأريخ لها بسمت تعبيرية خاص تعامل معه المؤرخون القدماء في مراجعهم التاريخية التي تؤرخ للحروب والوقائع والمناسبات.
- العدد قد حظي في اللغة العربية من البحث والتقنين والتأصيل ما لم يحظ به في أي لغة أخرى ولهذا نجده دائماً من موضوعات النحو ومفرداته ودروسه.
- ويعد: فهذا هو العدد الحسابي في وجوه اللغوية اشتقاقاً وصياغة وتركيباً وإعراباً واستخداماً. نأمل أن نكون قد عرضناه للقراء بطريقة سلسة طريفة يتقرب بها إلى الأذهان والألسنة والأقلام.

المراجع

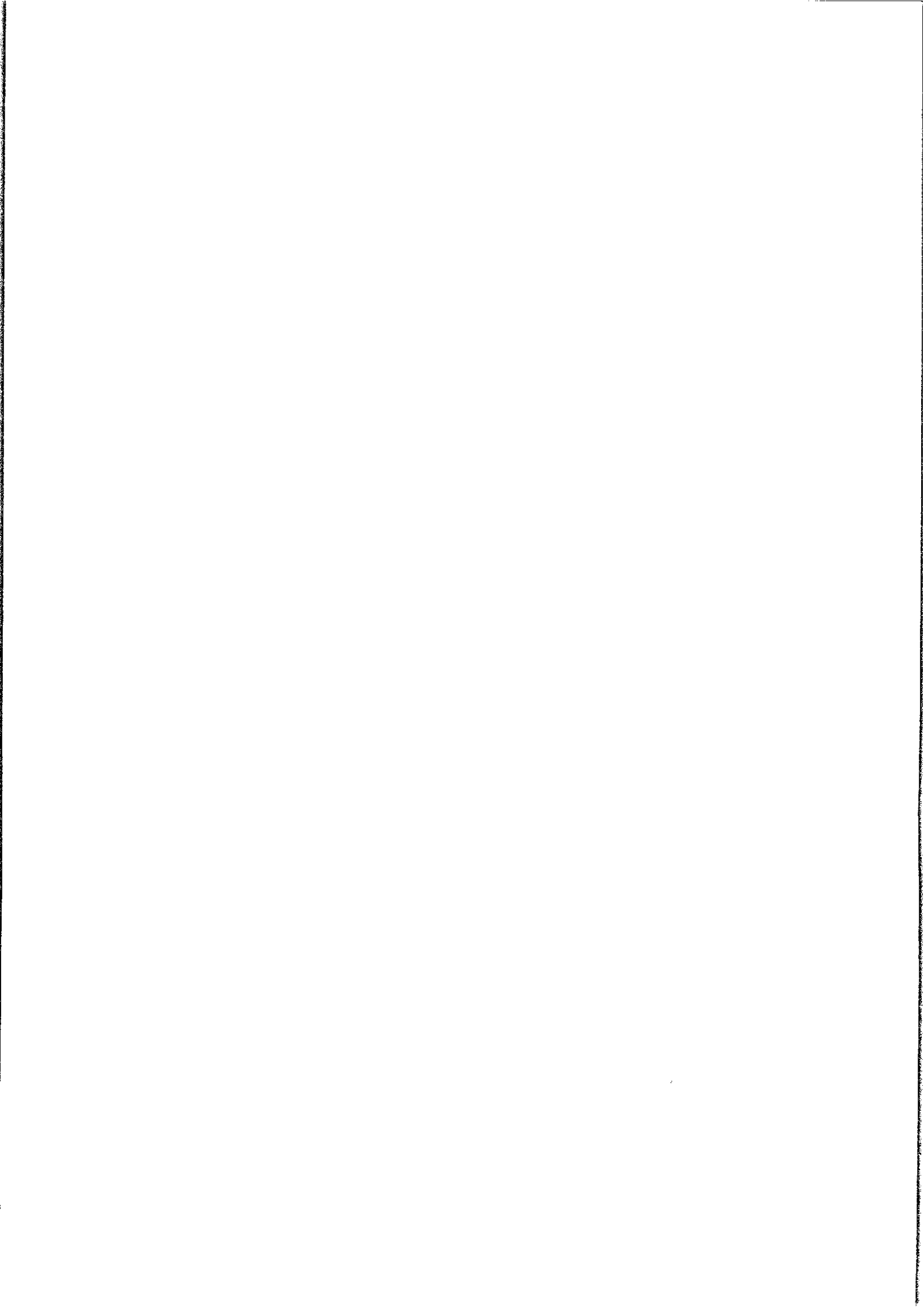
- ١- القرآن الكريم.
- ٢- أساس البلاغة - الزمخشري.
- ٣- البداية والنهاية لابن الأثير.
- ٤- تنقيف اللسان لابن مكي الصقلي.
- ٥- الجامع الصغير لابن هشام.
- ٦- حاشية الصبان - علي الأشموني ط الحلبي.
- ٧- حاشية الجمل.
- ٨- محيط المحيط (معجم) البستاني.
- ٩- مختار الصحاح (معجم) الرازي.
- ١٠- الخصائص - ابن جنى - دار الهدى للطباعة.
- ١١- خزائن الأدب - البغدادي.
- ١٢- المذكر والمؤنث - أبو بكر الأنباري.
- ١٣- المزهر للسيوطي.
- ١٤- زهر الآداب للحصري.

- ١٥- شرح الألفية لابن الناظم.
- ١٦- شرح الأربيلي للأتمودج - مكتبة الآداب - القاهرة.
- ١٧- شرح الأشموني - ط البابي الحلبي - مصر.
- ١٨- شرح المفصل لابن يعيش.
- ١٩- شرح عمدة الحافظ لابن مالك.
- ٢٠- تصريف الأسماء - الطنطاوي.
- ٢١- صناعة الكتابة وفن التعبير د. طلال علامة.
- ٢٢- الطبري - تاريخ - دار المعرفة بمصر.
- ٢٣- المعجم الأساسي.
- ٢٤- المعجم الوسيط.
- ٢٥- تعليق الأستاذ عبد الخالق عضيمة علي المقتضب.
- ٢٦- معجم الأدوات النحوية / عبد الغني الدقر.
- ٢٧- التعريفات للجرجاني.
- ٢٨- المعجم المفصل.
- ٢٩- مغني اللبيب لابن هشام.

- ٣٠- المخلاة للعالمي - دار المعرفة بيروت.
- ٣١- تفسير الجلالين - السيوطي والمحلي.
- ٣٢- تفسير القرآن الكريم - مختصر القاسمي - دار النفائس.
- ٣٣- المفصل في علم العربية للزمخشري.
- ٣٤- الفصول الخمسون لابن معطى.
- ٣٥- أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد - سعيد الشرتوني.
- ٣٦- الكليات - الكفوي.
- ٣٧- اللسان (معجم) ابن منظور.
- ٣٨- لغويات - عبد اللطيف الخطيب.
- ٣٩- مبادئ العربية - رشيد الشرتوني.
- ٤٠- النحو الوافي - عباس حسن.
- ٤١- المنجد في اللغة (معجم).
- ٤٢- الهمع للسيوطي.
- ٤٣- الوافي (معجم) عبد الله البستاني.



ثانياً: مع الكتب



قراءة دلالية في كتاب "زكريا أوزون":

"جناية سيبويه"

"الرفض التام لما في النحو من أوهام"

(القسم الثاني)

د. ياسين أبو الهيجاء

كلية الآداب/ جامعة الإسراء

ويحمل زكريا أوزون على الإعراب المقدر في المنقوص والمقصور ويقول^(٨٧): "هو وهم وخيال وكذب وتلفيق". ونقول أي إسفاف هذا، وأي مصلح هذا الذي يستجيز لنفسه أن يستخدم هذه الألفاظ؟ وأشير ههنا مرة أخرى إلى أن تقرير اللجنة وقرارات المؤتمر المذكورين أشارا إلى الذي يقول به أوزون، وإن اختلف السياق والتعبير.

ويعرض للمفرد والمثنى والجمع، ويلفت النظر إلى أن صيغة المثنى أخذة في الانقراض من اللغة المحكية، سواء في الأسماء أو الأفعال، ففي الأفعال تنوب واو الجماعة عن ألف الاثنين، وفي الأسماء قلما نستخدم المثنى^(٨٨). كما يلفت النظر إلى أن ما يسمّى جمع القلة غير صحيح، ودليله أن "أنفس" على وزن "أفعل"، ونجده يتجاوز العشرة ليصل إلى ما هو

٨٧. نفسه: ٦٥.

٨٨. نفسه: ٦٦.

أكثر بكثير في قوله تعالى^(٨٩): "وأحضرت الأنفس الشح"^(٩٠). وبعد أن يتناول تقسيم الاسم إلى مذكر ومؤنث، ويذكر أقسام المؤنث يختم حديثه بقوله^(٩١): "يتضح لنا تماماً أن من ساهم في وضع قواعد لغتنا العربية ليس عربياً، وإنما كان يحاول وصف تلك اللغة وأمثاله من غير العرب".

ولا بُدّ عليه في مسألة انقراض صيغة المثنى، لأنه يدعو لمستوى مختلف يتحمل وزره. أما خلطه في قضية جمعي القلة والكثرة فمسألة باهتة ردّ عليها اللغويون والنحويون من الكلام الفصيح بما لا يدع حاجة لعرضها، وقد دار على حواشي بيت حسان "لنا الجفنان الغرّ يلمعن في الضحى..."^(٩٢)، كثير من النقاش في التبادل بين جمعي الكثرة والقلة جلى هذه القضية. وقد أصدر مجمع اللغة العربية في القاهرة - الذي يزري أوزون بجهوده - قراراً أجاز فيه التعاقب بين جمعي القلة والكثرة، وتعيين أحدهما بالقرينة^(٩٣). ولكن "أوزون" يضرب صفحاً عن كلّ هذا، ويوهم القارئ أنه يستحق براءة اكتشاف لهذه الظاهرة الصرفية، وكلامه عن عربية سيبويه - وقد عرضت لما فيه من السخف - لا يستحق الوقوف عنده، لأن سيبويه على أعجميته ينتمي إلى هذه اللغة أكثر من كثير ممن يزعمون الانتماء إليها، فالعربية ليست جينات تتوارث، وإنما هي اللسان، فمن تكلم بالعربية فهو عربي".

٨٩. النساء: ٤.

٩٠. نفسه: ٦٧.

٩١. نفسه: ٦٧.

٩٢. ينظر: الكتاب: ٥٧٨/٣، المقتضب: ١٨٨/٢، والخصائص: ٢٠٦/٢، وشرح المفصل: ٥/

١٠، خزنة الأدب: ١٠٦/٨، وما بعدها.

٩٣. مجموع القرارات العلمية في خمسين عاماً: ٨٧.

ويشرع في تناول المنصوبات بادئاً بالمفعول به، وهو عنده اسم يقع عليه الفعل ولا تهمه حركة آخره لتحديده، وإنما يتم استنتاجه من سياق الكلام، ومن فهم الجملة وتحديد الفعل والفاعل^(٩٤). وهو يرفض تماماً مسألة المفعول به الثاني في نحو: "أعطيت الفقير درهماً"، فالذي وقع عليه الفعل هو الفقير وحسب^(٩٥). وهو يلقي في روع السامع كعادته أن هذا الرأي من بنات أفكاره، وقد قال فريق من النحويين أن المفعول الثاني حال^(٩٦)، والقضية بعد ذلك لا تمثل مسألة ذات خطر، فهذا خلاف في التنظير، لا يعني من يتحرى المنطق السليم. أما دعوته الصريحة لإلغاء الإعراب فهي مسألة أخرى، وقد حبر المحدثون عشرت المصنفات للرد عليها ودحضها.

ويلتقت إلى الأساليب العربية، فيتناول الإغراء والتحذير، ويقول^(٩٧): "ظهر هذا الأسلوب عندما وجد أهل اللغة - النحاة - حركة الفتحة آخر الكلمة، فحاولوا إيجاد تخریجة لها... قرروا أن يعربوا "الحزم" مفعول به منصوب (هكذا) لفعل محذوف تقديره "الزم"!! ولم يعترفوا بأن قولنا الحزم يعطينا نفس معنى الحزم الحزم، وأن حركة الحرف الأخير لا تغير معنى الكلمة وموقعها"، ويذكر أنه يقال في أسلوب الاختصاص ما قيل في الإغراء والتحذير.

لعل هذا الرأي من أكثر الآراء دلالة على فساد عربية الرجل، وبعده عن تمثل أساليب العربية وتراكيبها، وهو يحاول جاهداً أن يمضي في ركوب مذهبه في أطراح علامات الإعراب، وإذا ظن "أوزون" أن المسألة

٩٤. نفسه: ٦٩.

٩٥. نفسه: ٣٧.

٩٦. ينظر: الهمع: ٤٨١ وما بعدها.

٩٧. نفسه: ٧٣.

فوضى لا سَراة لها فهو واهم. فالأسلوب لم يُظهره النحاة، كما يقول، بل نقلوه عن العرب، وحلوه حسب دلالتة. ولنظر من يفقه هذا الأسلوب فقهِه الذي يليق به، يقول سيبويه في قولهم^(٩٨): "الطريقَ الطريقَ": "ولا يجوز أن تُضمّر تتخّ عن الطريق لأن الجار لا يُضمّر" ويردّف قائلاً^(٩٩): "واعلم أنه لا يجوز أن تقول زيداً وأنت تريد أن تقول ليُضربَ زيداً". ولننظر قول السيوطي في التأويل^(١٠٠): "لا يصحّ ولا يسوغ إلا إذا كانت الجادة على شيء ثم جاء شيء يخالف الجادة فيتأول".

فالإعراب لا ينفصل عن الدلالة، ولئن كان ثمة تأويل لا يخلو من التعسّف، فإن جله يهدف إلى الاتساق بين القاعدة اللغوية وظاهر التركيب، وهو مظهر جليّ من مظاهر الالتزام بدلالة النص. والقول بأن "الحزم" يساوي "الحزم" فيه من جهل الأساليب اللغوية ودلالاتها ما لا يحتاج معه إلى دفع. ولو تكرم علينا "أوزون" وأول لنا "الحزم" - في أسلوب الإغراء - على معنى من معاني النحو، لعرف إلى أيّ شيء يفضي مذهبه، ولكنه يركب مركباً لا يحسنه، وإن كان يدري أين يتجه به.

ويخوض في سائر المفاعيل، فيتوقف عند المفعول فيه، ويرى^(١٠١):
"أن هذه التسمية المشتركة لا تميز بين مفهوم الزمان ومفهوم المكان؛ ذلك أنّ زمن حدوث الفعل يختلف كثيراً عن مكان حدوثه، فلا يمكن السيطرة على الزمن من قبل الإنسان، ولا يمكننا أن نفعل فيه ما نشاء، ويرى أن مصطلح الظرف مُلبس وغريب ولا مدلول له في الذهن، وإلى هذا يعيد خلط الطلاب

٩٨. إلا في القليل النادر، ينظر: سيبويه: ٤٩٦/٣، وما بعدها، والمقتضب: ٢٣٦/٧.

٩٩. الكتاب: ١/٢٥٤.

١٠٠. الاقتراح: ٣٩.

١٠١. نفسه: ٧٥.

بين المفعولات. أمّا في المفعول المطلق، فهو يعلن "أنه لا يفهم معنى المطلق، ويرفض كل ما يقال في مسألة نيابة المفعول المطلق. كما يحمل على باب المفعول معه؛ لأنه -كما يقول- لن يسير والشارع، لسبب بسيط وهو أنه كائن حيّ والشارع جماد. وفي المفعول لأجله يسأل عن الهاء فيه، نحو قولهم: "وقف الطلاب احتراماً للمعلم" علام تعود؟ ويعلق قائلاً^(١٠٢): "من الواضح أنّ المعلم هو المفعول لأجله، فمن أجله تمّ الوقوف.. أمّا (احتراماً) فهي سبب وقوف الطلاب".

أمّا مسألة أن تسمية المفعول فيه لا تميّز بين مفهومي الزمان والمكان، بحجة عدم التمييز بين زمن حدوث الفعل ومكانه فأقول لا شك أنّ هذا الرجل اطلع على الخلاف بين البصريين والكوفيين في التسمية، ولكنه يوهم القارئ -كدأبه- بأنه وقع على خلل لم يفتبه إليه غيره، وهنّة لم تدركها أنظار السلف المتحجّر. فالظرف من مصطلح البصريين، وجاء في حاشية الصبان^(١٠٣): "واعترضهم الكوفيون بأن الظرف الوعاء المتناهي الأقطار، وليس اسم الزمان والمكان كذلك... وأجيب بأنهم تجوزوا في ذلك واصطلحوا عليه، ولا مشاحة في الاصطلاح"، فالتسمية لا شك من باب المجاز. وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ الكوفيين يطلقون على الظروف إضافة إلى المفعول فيه، الصفات والمحال^(١٠٤)، والمواقيت^(١٠٥). على أنّ تسمية الظرف شاعت حتى باتت علماً على هذا الباب، وأي شيء يجنيه "أوزون" من ردّها؟ هذا من

١٠٢. نفسه: ٧٧.

١٠٣. حاشية الصبان: ١٨٣/١.

١٠٤. ينظر: معاني الفراء: ٢٨/١، ١١٩، ٤٢/٣. وإعراب القرآن/النحاس: ١٦٩/١. وتهذيب

اللغة: ٣٧٣/١٤. والموفي في النحو الكوفي: ٢٢٢. مسائل الخلاف: ٥١/١٨.

١٠٥. معاني القرآن/الفراء: ١١٩/١، ١٣٨.

وجه، ومن الوجه الآخر لم نطلعنا على المصطلح الذي يراه مناسباً
لمدلولها.

وأما عدم فهمه لمعنى "المطلق"، فلا يضيره، والنحاة أرادوا أن
يميزوه من غيره، فاصطلحوا على هذه التسمية التي تمثلوا دلالتها، فهو من
جهة لا يتقيد بحرف كسائر المفعولات، ومن جهة أخرى يكاد يكون عندهم
المفعول الحقيقي الذي أحدثه الفاعل بعد إذ لم يكن. ومع هذا فثمة رأي جدير
في هذا الصدد بالمناقشة، لو التفت إليه السيد أوزون. فابن هشام في المغني،
يذكر "في التحذير من أمور اشتهرت بين العربيين والصواب خلافها"
قولهم: "خلق الله السماوات" على أن "السماوات" مفعول به، ويقول معلقاً^(١٠٦):
والصواب أنه مفعول مطلق، لأن المفعول المطلق ما يقع عليه اسم المفعول
بلا قيد، ويردف موضحاً: "المفعول به ما كان موجوداً قبل الفعل الذي عمل
فيه، ثم أوقع الفاعل به فعلاً. والمفعول المطلق ما كان الفعل العامل فيه هو
فعل إيجاده، والذي غرّ أكثر النحويين في هذه المسألة أنهم يمثلون المفعول
المطلق بأفعال العباد، وهم إنما يجري على أيديهم إنشاء الأفعال لا الذوات،
فتوهموا أن المفعول المطلق لا يكون إلا حدثاً، ولو مثلوا بأفعال الله تعالى
لظهر لهم أنه لا يختص بذلك". وفي هذه المسألة وجوه كثيرة للنقاش لو كان
يبغي "أوزون" مناقشة علمية ذات فائدة، أما أن يرفض المفعول المطلق
تعسفاً، فأى إصلاح هذا الذي يزعمه؟ والكلام على رأيه في نائب المفعول
المطلق لا يجدي، ما دام يردّ الباب كله.

وأما رده لـ "المفعول معه" لأنه "لن يسير والشارع، لسبب بسيط
وهو أنه كائن حي والشارع جماد"، فأقول: أسقم بهذا فهماً، لأنه فهم قسري
يسقط الدلالة، فـ"واو" المعية تتميز من "واو العطف" بأنها تقتضي الاقتران

١٠٦. المغني: ٨٦٧.

الزمني الحتمي، دون شرط التشريك في الحكم، بينما تقتضي واو العطف التشريك في الحكم، اقترن معه بالزمان أم لم يقترن، فالمعينة هي المصاحبة الزمنية بالدرجة الأولى، والدلالة الأولى للعطف هي الاشتراك في الحكم، وما نُصِبَ المفعول معه إلا إيذاناً بهذه الحقيقة.

وأما اعتراضه على مصطلح المفعول لأجله فلا وجه له، فالمقصود بالمفعول لأجله ما فعل لأجله فعل، وحصل بسببه هذا المفعول، وهو في اصطلاحهم أيضاً المفعول له، ومن أجله، والتفسير^(١٠٧)، وهو عند الكوفيين من باب المصدر^(١٠٨). ومناط الدلالة في هذا التركيب هو الفعل أو ما يقوم مقامه لا المصدر المنصوب، ولا الاسم المجرور. ويمكن أن نصف الحدث ههنا بـ "قمة التركيب"، والمفعول يفسره، وهذه هي دلالته، فعند قولنا: "وقفنا إجلالاً للمعلم"، فالخبر الذي يتبوأ قمة هذا التركيب، هو الوقوف؛ لأنه يبغى تفسير حدث غير معلل، قام به الفاعل؛ لذلك جاء المفعول (المصدر) يفسره، ويجليه. ولعل تحويل التراكيب التي يرد فيها المفعول لأجله إلى تراكيب استفهامية، نحو: لم وقفت، ولم سافرت...؟ والإجابة عنها، يؤكد هذه الدلالة. وتسطيح هذا التركيب، في جعل "المعلم" في المثال المذكور ونحوه "مفعولاً لأجله"، فضلاً عن التجاوز في مفهوم المفعول، ينبئ بالفهم السقيم لهذا الباب أيضاً.

وهو يحمل على مفهوم التمييز، ويقول^{١٠٩}: "إن التمييز يتحقق ويتمّ عندما يتوفر لدينا معطيات مختلفة نميزها عن بعضها كأن يطلب منا أن نميز الاسم عن الفعل في نص (معطيات مختلفة) أدبي، أما أن نوجد كلمات افتراضية ونسميها تمييز (هكذا)، فهذا وهم، والوهم لا يعطي قواعد سليمة".

١٠٧. معاني القرآن: ١٧/١، ٧٣.

١٠٨. أسرار العربية: ١٧٤.

١٠٩. نفسه: ٨١.

وهذا كلام كسابقه أقرب إلى الغمغمة منه إلى البيان، غير أن الأمثلة
تقربنا إلى مراده، إذ يقول: "عندما أقول مثلاً: اشتريت دونماً أرضاً، فهل كلمة
(أرض) ميّزت الدونم وأزالت عنه الإبهام؟ ولماذا لا تكون كلمة (دونم) هي
التمييز لأنها تبين مساحة الأرض المشتراة مقدرة بالدونم لا بالفدان مثلاً؟
وإذا قلت: "اشتريت دونم أرض" لماذا لا يصبح التمييز مضافاً إليه؟"

لا شك في أن هذا الذي يقول به "أوزون" يندرج تحت "التدليس"،
فليوثق المثال الذي يسوقه لينقد باب التمييز إن استطاع، لنرى في أي نص
هو، وهل يظن أنه بلغ السخف بالنعويين أن يجعلوا من "الدونم" تمييزاً
لـ"أرض"، يناقشون فيه باباً يعدونه موضعاً لمبهم، وتفسيراً لغامض. وهلاً
قرأ هذا الرجل فقه سيبويه - الذي يسم جهوده بالجنابة - لهذا الباب، حتى
يعرف من الجاني؟ يقول سيبويه في كلامه على تمييز المقادير^(١١٠): "وذلك
قولك: ما في السماء موضع كف سحاباً، ولي مثله عبداً، وما في الناس مثله
فارساً، وعليها مثلها زبداً. وذلك أنك أردت أن تقول: لي مثله من العبيد،
ولي ملؤه من العسل...". فهل يرى السيد أوزون أن دلالة التمييز ههنا هذر
يمكن إسقاطه؟

على أن ثمة مسألة ينبغي الإشارة إليها، وهي مسألة التمييز المؤكّد
على الخلاف فيه، نحو^(١١١) قوله تعالى: "إنّ عدة الشهور عند الله اثنا عشر
شهرًا"، وقول الشاعر^(١١٢):

والتغليبيون بنس الفحل فحلهمُ فحلاً وأمهم زلاءً منطبقُ

١١٠. سيبويه: ١٧٢/٢.

١١١. التوبة: ٣٦.

١١٢. البيت لجرير في ديوانه: ٤٨٢، وهو في "شرح الكافية الشافية: ٤٩٦/١، و"شرح ابن

عقيل: ١٦٤/٣.

فخلاقاً لكثير من النحويين^(١١٣) قد يأتي التمييز مؤكداً، قال المبرد^(١١٤): "واعلم أنك إذا قلت: نعم الرجل رجلاً زيداً، فقولك: "رجلاً" تأكيد: لأنه مستغنى عنه بذكر الرجل أولاً، وإنما هذا بمنزلة قولك: عندي من الدراهم عشرون درهماً. إنما ذكرت الدرهم تأكيداً، ولو لم تذكره لم تحتج إليه". وهذا يختلف اختلافاً كبيراً عما يزعمه "أوزون"، ويلقي به دون سياق، ويجعله مسألة بديهية في كتب النحويين.

أما التمييز المجرور فحديث الرجل فيه حديث من لم يطلع على كتب النحو ولا على كلام العرب. فالتمييز المجرور تمييز، غير أن اصطلاح التمييز مجرداً يعني باباً معيناً من المنصوبات له أركانه، فإذا جيء إلى التمييز المجرور كان لا بد من الإشارة إلى مسألة الجرّ فيه، ولعلّ هذه المسألة تبدو جلية في باب العدد. أما نقده المصطلح، وجعله من باب الوهم، فهو من الخلط والفوضى لا من الإصلاح، فهذه مسألة لا تمثل أيّ إشكال لدى الدارس، وهو يريد أن يجعل منها قضية أسهمت في تعمية النحو وغموضه.

ثم يتناول الاستثناء، ويعرض لقولهم: جاء الرجال إلا رجلاً، ويعقب قائلاً^(١١٥): وهنا نسأل ماذا أنجزنا عندما قلنا إن رجلاً مستثنى بـ"إلا"، وهل بين الإعراب تأثير كلمة رجل في العبارة؟ هل بين دور الكلمة؟ ثم يتناول قولهم: "ما جاء الرجال إلا رجلاً" ويعلق عليه: "هنا يمكنك أن تعرب "رجلاً" بدل من الرجال مرفوعاً بالضمّة. ونسأل ما هذه المحاكمة الغريبة... وجدوا

١١٣. ينظر حاشية الصبان: ٣٠١/٢.

١١٤. المقتضب: ١٥٠/٢، وينظر: الخصائص، ٨٣/١، شرح الكافية الشافية: ٤٩٦/١.

١١٥. جنابة سيويه: ٨٢-٨٣.

أن آخر الكلمة مرفوع، فلم يجدوا لها سوى تخريجة البذل، وهل يحق لنا أن نقول ما جاء رجلَ إلا رجلٌ".

ولا يزال هذا الرجل يلبس على القارئ، فقبل تحليل نظره في الاستثناء نجد أنه يضرب مثلاً: "جاء الرجال إلا رجلاً" وفيه استثناء نكرة لم تخصص من معرفة، وهذا لا يجيزه أحد من النحويين، فلا يجوز الاستثناء من النكرة ولا أن يكون المستثنى نكرة إلا إن أفادت، والإفادة على وجهين؛ إما بتخصيصهما بوصف أو إضافة أو غيرهما مما يفيد تخصيصاً، والوجه الآخر أن يكون الاستثناء في كلام تام منفي أو شبه منفي؛ لأن النفي وشبهه تتحقق فيه الفائدة لدلالة النكرة على العموم^(١١٦). و"أوزون" - كما نرى - مصلح لا يملك الأدوات الأساسية للمادة التي يدعي إصلاحها. أمّا قوله "وهل بين الإعراب تأثير كلمة رجل في العبارة؟" - يعني المستثنى - فليس غريباً على من ركب منهجه، فإذا كانت دلالة الاستثناء لغة واصطلاحاً لا تمثل له ما يستحق الوقوف عنده، فماذا يمكن أن نطلق على هذا التركيب، أقرب معنى وأصدق دلالة؟

أمّا البذل في الاستثناء الذي تعلق به فليُنظر وليوازن أيما يتمثل الروح الحقيقية للغة هو أم سيبويه(الجاني)، يقول سيبويه في باب" ما يكون فيه المستثنى بدلاً مما نفي عنه"^(١١٧): "وذلك قولك: ما أتاني أحدٌ إلا زيدٌ، وما مررت بأحدٍ إلا زيدٍ، وما رأيتُ أحداً إلا زيداً، جعلت المستثنى بدلاً من الأول، فكأنما قلت: ما مررت إلا بزيدٍ، وما أتاني إلا زيدٌ، وما لقيت إلا زيداً". وإضاءة المسألة عند ابن يعيش، إذ يقول^(١١٨): "والفرق بين البذل

١١٦. ينظر: الهمع: ١٨٤/٢، حاشية الصبان: ٢٠٨/٢.

١١٧. سيبويه: ٣١١/٢ وما بعدها.

١١٨. شرح المفصل: ٨٧/٢. وينظر: معاني النحو: ٢٢١/٢.

والنصب في قولك: ما قام أحد إلا زيد" أنك إذا نصبت جعلت معتمد الكلام النفي، وصار المستثنى فضلة فتنصبه، كما تنصب المفعول به، وإذا أبدلته منه كان معتمد الكلام إيجاب القيام لـ "زيد"، وكان ذكر الأول كالتوطئة، كما ترفع الخبر لأنه معتمد الكلام".

فقوام المسألة الدلالة التي يضرب السيد أوزون عنها صفحاً، فالقول "ما قام أحد إلا زيد" دلالة "ما قام إلا زيد" على نية إثبات القيام لزيد؛ لأنه المقصود بالحكم، والمبديل منه ههنا توطئة لهذه الحقيقة، فهو في حكم المطروح، فإذا قيل: "ما قام أحد إلا زيداً" كان قوام الدلالة النفي، لأنك تنفي القيام عن الجميع، ثم تستثني زيداً من هذه الحقيقة، فغاية الاتباع الإثبات، وغاية النصب النفي، ولكل دلالاته.

ويختم حديثه في الكلام على الجار والمجرور، ويحمل على مفهوم شبه الجملة كما يحمل على التعليق عند النحاة، ويقول^(١١٩): "والسؤال الآن هل "به" أو "منه" أو "عليه" مثلاً أشباه جمل؟ وما المعنى الذي تعطيه تلك الأحرف المتشابهة الغربية؟ ويقول في التعليق "وشبه الجملة (الجار والمجرور) بحاجة إلى ما تتعلّق به... فإذا قلت "نام الطفل في البيت" فإن الجار والمجرور "في البيت متعلقان بالفعل "نام"، ولكن إذا قلت "نام الطفل صباحاً في البيت" فهنا يتعلّق الجار والمجرور بالظرف وننسى الفعل الأصلي". ويقول معلقاً في الحاشية^(١٢٠): ما هو المدلول الذي تتركه كلمة "متعلّق" في الذهن؟ وهل يصل مدلولها إلى كل إنسان عربي يريد تعلم قواعد لغته؟".

١١٩. نفسه: ٨٥.

١٢٠. نفسه: ٨٩.

وأقول: إن مصطلح "شبه الجملة" هو مصطلح دالّ على أن هذا التركيب يفتقر إلى عنصر مكمل لمعنى الجملة، وعند جمهرة النحويين يجب أن تتعلق شبه الجملة بنوعيها الظرف والجار والمجرور بفعل أو ما يشبهه من المشتقات، وأقل من هذين معنى الفعل، نحو "أف للكسالى"، واسم مؤول بما يشبه الفعل، نحو قوله تعالى: "وهو الله في السموات والأرض"، فحرف الجرّ متعلق بـ"لفظ الجلالة"؛ لأنه مؤول بـ"المعبود"؛ لتكتمل بهما الدلالة.

والتعلّق من أنصع القضايا الدلالية في النحو العربي، ولنضرب مثلاً للسيد أوزون على التعلّق من كذب لعله يدينه منه، فلو قيل: رأيت القمرَ فوق النّلة" ماذا يفهم من شبه الجملة؟ لا شك أن في المعنى غموضاً تجليه مسألة التعلّق، فلو علّق الظرف ههنا بالفعل، لكان القائل قد رأى وهو نفسه فوق النّلة "القمرَ في السماء"، ولو علّقه بـ "حال" محذوف، لكان القائل قد رأى القمرَ نفسه مستقراً فوق النّلة، وهنا تظهر قيمة التعلّق التي يزري بها "أوزون". والقرآن الكريم حافل بالشواهد التي تدل على قيمة التعلّق، ويكفي أن أضرب شاهداً واحداً منها، وهو قوله تعالى^(١٢١): "وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه"، فتعلّق "لامرأته" بـ"قال" لا بـ"اشتراه"؛ لأن المعنى يكون على هذا (اشتراه لامرأته) وفي هذا فساد للمعنى بيّن، وتغدو قال بلا مخاطب.

بقي ههنا أن التعلّق لا يقتصر على شبه الجملة بقسميها، بل يشمل أبواباً غيرها، وإن اختلف مسمّاه؛ مادام المعنى العام يفتقر إليه، وللنظر قوله تعالى: "وأنفقوا ممّا رزقناهم سراً وعلانية" فـ"سراً" و"علانية" إمّا أن تكونا حالين أو مفعولين مطلقين، وهما متعلقان بـ"أنفقوا" لا برزقناهم"، لأن مناط

١٢١. يوسف ٢١.

الدلالة الإنفاق، لا طبيعة الرزق. ومثل هذا في اللغة كثير، لو وعاه
"أوزون" (١٢٢).

وبعد هذا، فإننا نسأل السيد أوزون أين موقع قوله في "نام الطفل
صباحاً في البيت": فهنا يتعلّق الجار والمجرور بالظرف وننسى الفعل
الأصلي"، وعلى أي وجه من وجوه النحو أو الدلالة علّق الجار والمجرور
بـ"الظرف"؟

ويخوض في الفصل الرابع فيما يسمّيه الأدوات ولعله أكثر الفصول
الذي ينتاب الكاتب فيه ما يشبه الهذيان، وأول ما يتناوله الهمزة، ويعرض لها
في حالة الاستفهام، ويذكر قوله تعالى (١٢٣): "أحبّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه
ميتاً" وقوله تعالى (١٢٤): "أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون"، ويعلّق
قائلاً (١٢٥): "ونحن نرى أنّ الهمزة في كلتا الآيتين السابقتين لا تفيد الاستفهام،
لأن الله عزّ وجل لا يسأل عباده، فهو عالم بطبيعة عباده، وبكافة أحوالهم
وإجاباتهم - وهي تفيد الإنكار". وقد رأينا أيّ جهل يركب "أوزون" في هذه
المسألة، غير أنّه ههنا يضيف إليه إنكاره خروج الاستفهام عن معناه
الأصلي، وهو باب عريض في البلاغة، ودليل بارز على تصرف اللغة في
تراكيبها وأساليبها.

ويتناول "أنّ" و"إنّ" المخفّفين، ويتكلم على تخريجات النحاة
المضحكة المبكية - كما يقول - في قراءة "إن هذان لساحران"، ويتهمّ عليهم
حينما يذكرون "إنّ" المشبهة بليس، وهو في كلّ ذلك لا يقدم بديلاً لهذه

١٢٢. ينظر: معاني النحو: ٣/ ٩٧، وما بعدها.

١٢٣. الحجرات: ١٢.

١٢٤. الواقعة: ٥٩.

١٢٥. نفسه: ٩١-٩٢.

التخرجات بل ينهي كلامه بقوله^(١٢٦): "ونطلب من القارئ العزيز أن يستنتج دقة وعظمة تلك القواعد العتيدة". وإن كان قارئه العزيز يفقه العربية ففقه فيها، فالمشكلة تستعصي على الحل.

وهو لا يفرق بين " لا " الناهية و " لا " النافية، الداخلتين على الفعل، وينتقد رأي النحاة في قولهم إن لا النافية لا عمل لها؛ لأنها لا تتغير من حركة نهاية الكلمات، ويقول: "فإذا قلت: لا أحب الوطن" فإن "لا" التي لا عمل لها - نحويًا - خربت الديار والوطن. ويخلص إلى قوله: "إذا فالعمل مرتبط بالحركة، فإذا لم تؤثر في حركة آخر الكلمة ذهب عملها وأصبحت عاجزة علمًا بأنها تهز كيان الدول. وله في ذلك نظر؛ إذ يقول^(١٢٧): "وفي حقيقة الأمر لا (النافية) أو لا (الناهية) تؤديان عملاً أساسياً واحداً وهو النفي، ولا النافية التي لا عمل لها تتبع من إرادة واعية أو حقيقة ثابتة، أمّا لا (الناهية) العاملة فتستخدم عند النهي بالأمر والطلب، فعندما نقول لا تعيش الخراف مع الذئاب" فإن لا (النافية) التي لا عمل لها تتبع من حقيقة ثابتة (ظاهرة طبيعية)... أمّا عندما نقول "لاتتة عن خلق وتأتي مثله... فإن لا الناهية العاملة تستخدم للنهي بالأمر والشدة بالطلب".

وهو يخلط بين مصطلح العمل النحوي وبين دلالة الحرف ومن ثمّ دلالة التركيب، وينتهي إلى أن غير العامل يساوي فاقد الدلالة، وهو جهل باللغة وأساليبها، فالعامل وغير العامل ينضويان تحت مسالك الدلالة اللغوية، ولعل أوضح دلالة على هذا الفهم وجود حروف عاملة على لغة ومهملة على أخرى، وخير ما يمثل هذه الحروف "ما" التميمية، وصنوها الحجازية، فكيف

١٢٦. نفسه: ٩٧.

١٢٧. جناية سيبويه: ٩٧-٩٨.

يفرق "أوزون" بين قراءتين، في قوله تعالى: "ما هذا بشرأ" (١٢٨)، و"ما هن أمهاتهم" (١٢٩)، وقد قرئت "بشر" (١٣٠)، و"أمهاتهن" (١٣١) بالرفع. ولو تفضل علينا وشرح لنا كيف يمكن لنا أن نميز بين الإرادة الواعية وغيرها، وكيف نصرف هذه الإرادة عن استخدام "لا" الناهية، وهو بها أخلق، وعليها أقدر؟

ويعرض لأدوات الاستفهام، ويتناول "كيف"، و"من"، ويقول (١٣٢): "كيف" تعرب خبراً مقدماً "لاحظ المغالطة في التسمية من البداية" إذا وليها اسم أو فعل ناقص، أما "من" فنجد أنها تعرب مبتدأ إذا وليها فعل لازم، مثال: "من الطارق"، والسؤال هنا: ما الفرق بين حالتي "كيف" و"من"، ولماذا "كيف" خبر مقدم، و"من" مبتدأ؟ ما هو المعيار المنطقي والدقيق للفصل بينهما؟ ولماذا لا يكون كل منهما مبتدأ، فيأتي الجواب المفحم: إن "كيف" الادخار تعادل "الادخار كيف"... وهكذا ندخل ثانية في حلقة الترادف المغلقة، ويردق قائلاً: "لنأخذ حالة أخرى للأداة "كيف" حيث نجد: "كيف" تعرب حالاً إذا وليها فعل تام، مثال: "كيف جاء" (فعل تام) بينما تبقى الأداة "من" - إذا وليها فعل تام - مبتدأ، مثال: "من جاء" و يختم كلامه قائلاً (١٣٣): "وهنا نسأل: ما الفرق بين "كيف" و"أين" فيما يلي: "كيف" الادخار و"أين" الادخار"، إذا كان الجواب لكلا السؤالين: الادخار في التوفير، مثلاً؟

١٢٨. يوسف: ٣١، وقد اجتمع على هذه القراءة الأربعة عشر.

١٢٩. المجادلة: ٢، قرأها السبعة، ينظر: كتاب السبعة: ٦٢٨.

١٣٠. قرأها ابن مسعود، ينظر للكشاف ٣١٧/٢، والبحر المحيط: ٣٠٤/٥.

١٣١. انفرد بها عاصم، ينظر: كتاب السبعة: ٦٢٨.

١٣٢. جنابة سيويه: ١٠٦.

١٣٣. نفسه: ١٠٧.

ومما يتناوله من أدوات الاستفهام أيضاً "أي" ويعلق عليها بقوله^(١٣٤): "أما أداة الاستفهام "أي" فهي كـ"ابن بطوطة" تراها مبتدأ أو ظرفاً أو مفعولاً به أو مفعولاً مطلقاً... أداة استفهام تأخذ مواضع غريبة لكلمات تسميتها غريبة، فتعطي قواعد كلها غريبة".

وأقول: إن من أهم الإشكاليات التي لا تفتأ تظهر في كل معالجات "أوزون" للموضوعات التي يطرقها هي عدم إمامه بالأبواب التي يزعم إصلاحها. فقوام الجملة العربية الإسناد؛ لأن الإفادة إنما تحصل بهذا الإسناد، ولا يمكن أن تعرف دلالة الكلام ما لم يُحدد طرفا الإسناد الرئيسان، وما يفضل عنهما، وسعياً وراء هذه الدلالة تندرج الغالبية العظمى من خلاقات النحويين. فالوصف النحوي هو وصف للعلاقات التي تربط عناصر الجملة بعضها ببعض، ولا مكان لاسم أو فعل لا ينتظم في هذه العلاقات، وانطلاقاً من هذه الحقيقة كان لأسماء الاستفهام محلّ من الإعراب، وهذا جواب عن المعيار المنطقي والدقيق لهذا الإعراب الذي يطرحه "أوزون".

وإعادة صياغة التركيب الاستفهامي ، بتغيير موقع اسم الاستفهام أو الإجابة عنه إنما هو لتحديد علاقة الاستفهام بالتركيب، واستنكاره معادلة "كيف الادخار" بـ"الادخار كيف"، يجلي بصورة واضحة خلطَ الرجل في موقع المفردات كما ينتظمها القانون اللغوي المبني على الاستخدام، وتفسير هذه البنية، لغايات تعليمية أو توضيحية، وأكثر ما تلجأ إلى هذه الطريقة الكتبُ التعليمية والمدرسون.

أما سؤاله عن الفرق بين "أين" و"كيف" حينما نسأل عن الادخار، ما دام الجواب في التوفير، فهو سؤال من لا يعرف مسالك العربية، فإن سلمنا

بالفرق بين الاتّخار والتوفير في سؤاله، فلا يمكن أن تكون الإجابة عن السؤالين واحدة، إلا إذا أراد المجيب أن يخرج إلى باب آخر، قريب ممّا يسمّى في "علم البديع" بـ"أسلوب الحكيم"، نحو قوله تعالى^(١٣٥): "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ". أمّا ابن بطوطة "أي" فإن مرونة هذه الأداة، وشحنها بالدلالات المختلفة، واستقراء اللغويين لهذه الدلالات هو الذي أهلها لهذه "الديناميكية" التي ينتقدها "أوزون"، ومنحها هذه المنزلة، وهم لم يتفضلوا عليها بهذه الدلالات من عند أنفسهم .

وفي الفصل الخامس يتناول "إعراب الجمل"، ويتناولها بنقد ساذج، وأول ما يعرض للجملّة الخبرية، ويمثّل لها بجملّة "الطفل يلعب"، ويحمل على إعرابها خبراً، ويردّف قائلاً^(١٣٦): "والسؤال هنا ومن المدرسة النحوية الرائدة، لماذا لا تكون جملة "يلعب" في محل نصب حال مثلاً، فيكون التأويل: "الطفل لاعباً، ويكون الخبر محذوفاً تقديره "حاله لاعباً".

وهذا يضاف إلى رصيد من الجهل بأساليب العربية ودلالاتها، بعضه فوق بعض، فالأصل في اللغة الوضوح ولا يكون الإبهام غرضاً حتى تكون ثمة غاية بلاغية وراءه، وسبك جملة "الطفل يلعب" ينبئ بأن غاية المتكلم أن يخبر عن الطفل، لا عن حالته، وتقدير حاله لاعباً عبث، ليس من مسالك اللغة، على الرغم من اتصال الخبر والحال اتصالاً وثيقاً، تحدّد الدلالة أطره، وقد أشار سيبويه غير مرة إلى ذلك^(١٣٧).

١٣٥. البقرة: ١٨٩.

١٣٦. نفسه: ١١٢.

١٣٧. الكتاب: ٤٩/٢، ٥٠، ٨١، ٨٧ - ٩٢.

ويتناول الجملة الوصفية، ويأخذ المثالين الآتيين "رأيت طفلاً يلعب"، و "رأيت الطفل يلعب"، ويعلق على الجملة الأخيرة^(١٣٨): "فإن جملة "يلعب" في محل نصب حال، وذلك حسب القاعدة المهلهلة، خالية الدلالة "الجمل بعد المعارف أحوال، وبعد النكرات صفات"، ويردف قائلاً: ما هو المعيار المنطقي الواضح الذي جعل من الجملة الفعلية (يلعب) (حال)، ومن التي قبلها صفة" ومن الأولى (خبر)؟ إن مجرد الخلط بين الفعل الذي يتضمن مفهوم الصيرورة والسيرورة (مفهوم التبديل والزمن)، والاسم الذي يتضمن مفهوم الثبات والكينونة يقودنا إلى خطأ جسيم فادح وإلى طمس الحقيقة، فإذا قلت: الطفل يلعب، فإن تلك الجملة لا تعني ولا تعادل البتة، عبارة "الطفل لاعب"، الأولى فيها مفهوم الحركة والزمن والثانية فيها مفهوم الثبات، فكيف تتم المساواة؟"

وأقول: القاعدة التي يسمها "أوزون" بـ"المهلهلة، خالية الدلالة" هي أيضاً من أشهر القواعد الدلالية في العربية، والمعيار المنطقي الذي يسأل عنه في التمييز بين الجملة الصفة، والجملة الحال، لا مكان له، ولا يطلبه إلا السيد أوزون ومن ينهج نهجه. فقولك: رأيت طفلاً يلعب" له دلالة محددة، في سياق محدد، ولا يمكن بحال أن تلقى هذه الجملة إلا إذا كان هذا الطفل يلعب، في سياق يقتضي وجود أطفال غيره لا يلعبون، أو لا يقدر على اللعب، أو يكون هو نفسه لا يقدر على اللعب في الأصل لأمر ما، وإلا لم يكن لها أي دلالة ذات معنى أو مغزى؛ ذلك أنها تريد أن توصل للسامع صفة لهذا الطفل في سياق مخصوص، حتى تغدو الصفة والموصوف شيئاً واحداً دالاً على هذا الطفل، يخصه من غيره، فمركزية الدلالة هنا تتكون من مجموع الطرفين النكرة والجملة التي توصف بها. وللنظر إلى قوله

١٣٨. نفسه: ١١٣.

تعالى^(١٣٩): " فَأَنْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى"، فبؤرة الدلالة، تتكون من الموصوف وجملة الصفة، فقد تحولت هذه العصا إلى حية لا تحتاج إلى وقت للتكيف مع كينوننتها الجديدة، بل نجدها تنتقل وتمشي بسرعة، كأنها ركبت في هذه الصورة، فمركزية الدلالة تتكون من مجموع الحية ونعتها.

أما " رأيت الطفل يلعب" فله سياق مختلف تماماً، فمن جهة نجد أن ثمة اتفاقاً على معرفة هذا الطفل بين القائل والسامع أو السامعين، وقمة الدلالة في توضيح الحال التي عليها هذا الطفل، والسامع أو السامعون ينتظرون هذا التوضيح، والسياق يفترض أن الحال وحدها ههنا مركز الدلالة؛ لأن الأصل فيه أن يكون على غير هذه الحال. ولناخذ شاهداً بيناً من الكتاب العزيز، وهو قوله تعالى^(١٤٠): "يا أيُّها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى" فبؤرة الدلالة ههنا هي جملة الحال، وعليها يتوقف الحكم، الذي يتشوّف إليه السامع.

أما كلام " أوزون" على التأويل، وعلى الفرق بين الفعل الذي يتضمن مفهوم الصيرورة والسيرورة(مفهوم التبديل والزمن)، والاسم الذي يتضمن مفهوم الثبات والكينونة، الذي يقودنا إلى خطأ جسيم فادح وإلى طمس الحقيقة، كما يقول، وهو يعني تأويل الجملة بـ"اسم الفاعل". فأقول أولاً: من أين أتى السيد أوزون بأن اسم الفاعل يتضمن مفهوم الثبات؟ ألم يقرأ قوله تعالى^(١٤١): "الحمد لله فاطر السموات والأرض * جاعل الملائكة رسلاً"، فأين الثبات في هذا؟ ولئن كان اسم الفاعل الذي يدل على الماضي، ثابتاً، فإن قسماً كبيراً منه ليس كذلك، وهو الذي يعمل عمل فعله، بل إننا نجد الكوفيين

١٣٩. طه: ٢١

١٤٠. النساء، ٤٣.

١٤١. فاطر: ١.

يطلقون عليه الفعل^(١٤٢). أمّا تأويل الجملة باسم الفاعل، فإن الأصل في الخبر والصفة والحال الإفراد، وما جاء على غير ذلك فمؤول؛ ذلك أن الجملة التي تقع هذه المواقع نائية عن المفرد؛ إذ هو الأصل، والمركب فرع منه^(١٤٣). على أننا يجب أن نعترف - بعيداً من المذهب الذي يركبه "أوزون" - أن قضية التأويل من أكثر القضايا إشكالاً في النحو العربي، ولا شك أنها تفتقر إلى دراسات شاملة ومعقدة، بعيداً من المعيارية، التي تفترض أن قيمة هذا التأويل تنهض من قضية سلامة النصوص.

وفي الفصل السادس يعرض للشواهد والتخرجات النحوية، ومما يتناوله قوله تعالى^(١٤٤): "ليس البرّ أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب"، وقوله تعالى^(١٤٥): "وليس البرّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها"، ويعلق على الحركة الإعرابية لـ "البرّ" في الآيتين^(١٤٦): "ونطلب من الأخ القارئ أن يلاحظ تلك المغالطة العجيبة فـ "البرّ" خبر مقدم، وجدوها منصوبة بعد (ليس)، فلم يجدوا حلاً سوى اعتبارها خبر (ليس) مقدماً، والمضحك بعد ذلك أنهم خلقوا مكاناً لجملة في الإعراب لم نعرفه من قبل".

و"أوزون" بعيد من فقه العربية وأساليبها، وهو لا شك لن يصل إلى جزء يسير من فقه هذه اللغة ما دام يركب هذا المذهب الساذج. فقوام المسألة الدلالة، والآية الأولى: "ليس البرّ أن تولوا وجوهكم" قرأها حمزة وحفص

١٤٢. ينظر: معاني القرآن، للفراء: ٣٣/١، ٤٥، ٤٣/٢، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٣، ٢٠٨/٣.

و"معاني الكسائي": ١٧٣، ١٨٥، ومجالس ثعلب: ١ / ١٢٤، و"مجالس العلماء": ٢٦٥.

١٤٣. ينظر: المغني: ٥٣٦، و حاشية الصبان: ٢٨٥/١.

١٤٤. البقرة: ١٧٧.

١٤٥. البقرة: ١٨٩.

١٤٦. نفسه: ١٢٠.

بنصب الرء من "البر"، وقرأ باقي السبعة برفعها. وقال أبو حيان^(١٤٧):
وقراءة الجمهور أولى، من وجه، وهو أن توسط خبر ليس بينها وبين اسمها
قليل، وقد ذهب إلى المنع من ذلك ابن ثرستويه تشبيها لها بـ"ما"، أراد
الحكم عليها بأنها حرف، كما لا يجوز توسط خبر ما، وهو محجوج بهذه
القراءة المتواترة، وبورود ذلك في كلام العرب.

قال الشاعر^(١٤٨):

سليّ إن جهلتِ الناسَ عنا وعنهم وليس سِواءَ عالمٍ وجهولُ

وقال الآخر^(١٤٩):

أليس عظيماً أن تلمّ مئمّة وليس علينا في الخطوب مُعَوّلُ

فهذا الاستخدام الذي ينكره "أوزون" قد جاء عن العرب، فلا محلّ
لإنكاره من هذا الوجه. وقال المبرد وهو المعروف بتشدده، وتطويعه
الشواهد؛ للتساق والقاعدة^(١٥٠): "ليس"، تقديم الخبر فيها وتأخيرهُ سِواءً".
وقال الزجاج^(١٥١): "ولك في إعراب البر وجهان... فمن نصب جعل "أن" مع
صلتها الاسم، فيكون المعنى "ليس توليتكم وجوهكم البرّ كلّهُ"، ومن رفع
فالمعنى "ليس البرّ كلّهُ توليتكم، فيكون البرّ اسم "ليس" وتكون توليتكم الخبر".

١٤٧. البحر المحيط: ٤/٢.

١٤٨. البيت للسّمّال في ديوانه: ٩٢، وهو أيضاً في الخزانة: وفي شرح ابن عقيل: ٢٧٣/١.

١٤٩. البيت بلا نسبة في تخلص الشواهد: ٢٣٧.

١٥٠. المقتضب: ٤/١٩٤، ٤٠٦. وينظر: أوضح المسالك: ٢٣٨/١.

١٥١. معاني القرآن وإعرابه: ٢٤٦/١.

وحجة المانعين أنها يغلب عليها جانب الحرفية، فيجربها مجرى "ما" النافية؛ فلا يجيز تقديم خبرها على اسمها، ولا عليها^(١٥٢). وهذا كلام معياري، يخالفه المسموع ومن حفظ حجة على من لم يحفظ، وقد سجل عبد الخالق عضيمة كثيراً من الآيات التي توسط فيه الخبر بين ليس واسمها^(١٥٣).

ونضيف إلى هذا بأن تقديم الخبر يحمل دلالة لا يحملها وهو مؤخر، وأن قراءة "البر" بالنصب تنجم من قصد "البر" بالنفي، وهي تختلف عن قراءة الرفع؛ إذ يتحول الخبر من الجزء المكمل للفائدة، وحكم صادر على المبتدأ، إلى قمة دلالية بارزة في هذا التركيب. أما "البر" في الآية الثانية فلم نقرأ بالنصب لأن الباء واقعة في أول المصدر المؤول الذي ينبئ بأنه الخبر، وليس ثمة مندوحة هنا عن هذه الدلالة.

وينتقل إلى آية أخرى من سورة البقرة، وهي قوله تعالى^(١٥٤): "ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون". ويذكر تعليق العكبري في التبيان: "قوله تعالى (أموات) جمع على معنى (من)، وأفرد (يقتل) على لفظ (من)، ولو جاء "ميت" لكان فصيحاً، وهو مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف: أي هم أموات، (بل أحياء) أي بل قولوا هم أحياء، لمن يقتل في سبيل الله ... (ولكن لا تشعرون) المفعول هنا محذوف تقديره لا تشعرون بحياتها".

وهو يعلق على كلام العكبري^(١٥٥): "ونستنتج من المقطع السابق ما يلي: أولاً: استنكار غير مباشر ومبطن لاستخدام صيغة الجمع (أموات) مع

١٥٢. ينظر: شرح المفصل: ١١٤/٧، حاشية الصبان: ٣٤٢/١.

١٥٣. دراسات لأسلوب القرآن الكريم: القسم الثالث، الجزء الأول: ٣٨٦.

١٥٤. البقرة: ١٥٤.

١٥٥. نفسه: ١٢١.

المفرد (لمن يقتل)، والدليل قوله: لو جاء ميتاً كان فصيحاً، ونحن نقول لو قال أحدنا ذلك لما سلم من لسان وقلم العكبري وأمثاله. ثانياً: استخدام كلمة وهمية وهي الضمير "هم"، ليبرر حركة الرفع في كلمة (أموات) عوضاً عن (هم أموات). ونحن نقول أموات لا تعادل (هم أموات) أبداً، ولماذا لا يكون تقدير الكلام (إنهم أموات).. ثم كيف ينوب الضمير الوهمي (هم) عن (من يقتل) أليس الأجدر أن نقول (أنت أموات) لينسجم الضمير مع صيغة المفرد. "ويبدو أن العكبري ينسى وينسى معه نحائنا الأفاضل أن المتحدث هو الله عزّ وجل. وأن لا ترادف في كلمات الكتاب". وهو يطلب من القارئ أن يتأمل الآية كما يقدرها العكبري: "لا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله هم أموات بل قولوا هم أحياء، ولكن لا تشعرون بحياتها".

وهو يعرض بالعكبري لأنه يقول: "قوله تعالى (أموات) جمع على معنى (مَن)، وأفرد (يقتل) على لفظ (من)، ولو جاء "ميت" لكان فصيحاً، فهو يجهل أن العكبري يذكر بقاعدة مشهورة في كلام العرب، لا في تنظير النحاة، مفادها أن كلمة "مَن" سواء أكانت موصولة أم غير موصولة، مذكرة اللفظ، وقد يكون معناها على غير ذلك، وعلى هذا يصح أن يعود الضمير عليها مفرداً مذكراً مراعاة للفظ، أو يعود مراعيًا المعنى فيكون غير ذلك، وهذا أقل من الأول، ومن الأول قوله تعالى: "ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به"، وقد اجتمع الأمران في قوله تعالى: "بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن * فله أجره عند ربه * ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون" فالضمائر في الشطر الأول من الآية مفردة مذكرة مراعاة للفظ "مَن"، وفي الشطر الثاني للجمع مراعاة لمعنى "من". والاسم الظاهر حاله كحال الضمير. وقد أفرد سيبويه فصلاً في ذلك^(١٥٦)، هذا هو لسان العرب الذي يجهله أوزون.

١٥٦. الكتاب: ٤١٥/٢. وينظر: المقتضب: ٢٩٥/٢، ٢٥٢/٣.

وبعد أن يستعرض عدداً من الآيات ووجوه قراءاتها على هذه الشاكلة، ينتهي إلى قوله^(١٥٧): "عندئذ أقول: إن حركة أواخر الكلمات لا تغير المعنى، ولم يهتم بها الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد قرأ الصحابة في حياته بقراءات عدة، ومختلفة".

وقوله هذا هو محض افتراء وتدليس؛ لأن القراءات لم تكن باباً للفوضى، ولم يقرأ كلُّ على هواه، كما يريد "أوزون" أن يسيغ للقارئ. وذكر أبوحيان أن القراءات القرآنية كلها، صحيحها وشاذها إنما جاءت على لغة العرب^(١٥٨). وقال ابن جنِّي^(١٥٩): "والناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ، وإن كان غير ما جاء به خيراً منه". وقال الداني^(١٦٠): "وإنما القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الألف في اللغة والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل. والرواية عنهم إذا ثبتت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فسو لغة؛ لأن القراءة سنة متبعة، يلزم قبولها والمصير إليها". هذا هو المذهب الذي لا يحسنه السيد أوزون، ولا أحسب أنه يريد أن يحسنه.

ويستعرض عدداً من الشواهد الشعرية، وإعراب النحاة لها، نحو: وقد يجمع الله الششتيتين بعدما يظنان كلَّ الظنّ...، و"تمرون الديار ولم تعوجوا..."، و"بني غدانة ما إن أنتم ذهب..."، ومرة يحيل إعراب هذه الأبيات إلى القارئ، وأخرى ينهي الإعراب بالحوقلة. ثم ينهي الفصل باستعراض عدد من التراكيب والأساليب، نحو: "أجذك، و" بله"، و"رباً

١٥٧. نفسه: ١٤١.

١٥٨. البحر المحيط: ٤١٩/٨.

١٥٩. الخصائص: ١٢/٢.

١٦٠. النشر في القراءات العشر: ١١-١٠/١.

أرحمني"، و"لاسيما). وكسابق عاداته يعرب الأساليب، كما جاءت في بعض كتب النحو، ويفرك يديه ويحيل إلى القارئ وبلاغته، ليكتشف فساد الإعراب. إذ يقول^(١٦١): "ونترك للقارئ الخيار في قبول أو رفض تلك البلاغة القواعدية، وذلك العلم الفريد السامي، الذي لا نستطيع فهم لغتنا وفهم قرآننا الكريم بدونه". وهو في كل ذلك يشن هجوماً على كل مظاهر اللغة العربية الفصيحة، لا على النحاة كما يزعم.

ويسمُ فصله الأخير بـ"بين الماضي والحاضر"، ويستهلّه بقوله^(١٦٢): "إن عقدة القديم هي عقدة الشرق الإسلامي بأسره وخاصة العرب، فما جاء من القديم صحيح، وكل ما يعارضه وما خرج عنه خاطئ أو مشكك فيه". وهو يُتربُّ أصحاب مدرسة الماضي، كما يسميهم، وهم كما يقول: "يقفون في وجه كل من يحاول أن يأتي بجديد أو ينتقد القديم، وهم ينسون أن اللغة كائن حيّ؛ لذلك تجدهم يؤمنون بأن اللغة العربية الفصيحة (المقعدة) قادرة على أن تستوعب كافة المفردات والمصطلحات الجديدة - خاصة العلمية منها - ونحن نرى غير ذلك تماماً".

ونجد أن مذهبه يتجلى بوجه، لعله أكثر وضوحاً ومباشرة مما سبق، فمشكلة الشرق هو التعصب للقديم على علته، ورفضه للجديد على نفعه، لا لشيء ولكن لحدائته، ولذلك فهو يعلم موقف هؤلاء الذي اعتادت أعينهم على العيش في الكهوف، ولا يقدرّون على مجابهة الشمس، والعيش تحت الضوء. ومن البديهي أن "أوزون" هو من يحمل مشعل الحدائته، وهو الذي يرفع شعار "اللغة كائن حي"، ولا بدّ لهؤلاء الحالمين من أن يستيقظوا على الحقيقة التي

١٦١. نفسه: ١٥٥.

١٦٢. نفسه: ١٥٧.

يفجأهم بها: إن لغتهم باختصار عاجزة، ولسانهم عيبي عن أن يستوعب
المصطلحات والمخترعات العلمية الجديدة.

وهو يرى أن يعتمد العرب في العصر الحديث المصطلحات
الإنجليزية؛ إذ يقول^(١٦٣): "وعليه فإنه يتوجب علينا أن لا نضيع الوقت في
إيجاد ما يقابل المفردات والمصطلحات العلمية الإنجليزية في اللغة العربية،
وأن نعيد النظر في ما يسمّى بمجامع اللغة العربية ومهامها، فالعرب منذ
بداية القرن العشرين وحتى يومنا هذا - أي على مرّ قرن من الزمان - لم
يقدموا مصطلحاً واحداً في مجال العلوم والتكنولوجيا، في حين أنهم قدموا
آلاف الكتب الدينية والأدبية التي لا تسمن ولا تغني من جوع... كما أن
تسمية المخترعات هي من حقّ الأمم التي أوجدتها وأبدعتها ولا يحقّ لغيرها
أن يغيرها". وهو يدعو إلى غلق باب من أهم أبواب العربية، فيقول: "إن
إغناء لغتنا بمفردات ومصطلحات من لغات أخرى والتوقف والامتناع عن
محاولة الاشتقاق اللغوي من جذور الكلمة العربية سيؤدي إلى تطويرها،
وإلى مواكبة أهلها لأفاق العلم والمعرفة، وحسبنا بالقرآن الكريم إماماً، حيث
استخدمت فيه مفردات غير عربية كثيرة (سندس، استبرق، سراق...).

وها هو ببساطة يرى أن المجامع اللغوية لا فائدة منها، ولا خير
فيها. كما يقرر حقيقة أشدّ مرارة وهي أن المجامع لم تقدم مصطلحاً واحداً
في مجال العلوم والتكنولوجيا، وأنّ العرب قدموا آلاف الكتب الدينية والأدبية
التي لا تسمن ولا تغني من جوع، فالأمم التي تخرع هي التي تملك حقّ سكّ
المصطلحات. وحرّ قلباه على الصينية واليابانية والكورية وأمثالها كيف لم
ترزق باين بارّ كالأستاذ أوزون يذكرها بسخافة الجهد الذي بذله ويبدله
أبناؤها في سبيل البحث عن مقابل للمصطلحات الإنجليزية.

١٦٣. نفسه: ١٦١.

والرجل كما نرى ينفث كل ما يحوك في صدره على العربية الفصيحة ومؤسستها، فأمة العرب منذ عشرات السنين عالمهم وجاهلهم يسمون السيارة والطيارة والدبابة والصاروخ وراجمة الصواريخ والغواصة والهاتف... فإن لم تكن هذه مصطلحات عربية صميمة وضعت لمخترعات ظهرت في بلاد الأعاجم فما تكون.

وهو جاحد، فهو يبخر الكثير من المؤسسات والمراكز العلمية العربية المعنية بالترجمة والتعريب حقها؛ فالمجامع قد أبلت في مجال المصطلحات بلاء حسناً، ويمكنه أن يطلع على المجلدات من محاضر الجلسات والمعاجم والمجلات الصادرة عن مجمع القاهرة ليرى كم من المصطلحات عربت ودوتت، وللمجمعين السوري والأردني، ومكتب تنسيق التعريب في الرباط، وغيرها من المراكز جهود طيبة أيضاً في هذا المجال، على أننا لا ننكر أن تلك الجهود أقل بكثير من الطموح، أما أن نجرد هذه المجامع والمؤسسات من كل فضيلة، فهذا ظلم ونكران لهذه الجهود الخيرة، على نقصها، وتشتتها، ولا يمكن أن يكون الغرض منه الخير للغة وأهلها، وما أجدر "أوزون" بهذا النكران!

أما زرايته على آلاف الكتب الدينية والأدبية أنها من قبيل عبث، ومضيعة للوقت، فلا يقول بهذا عربي يغار على عربيته وتراثه، ذلك التراث الذي ربى الأجيال، وهذب طباعهم، وحفظ لغتهم. فضلاً عن أنه مادة عقيدتهم. والرجل بعد ذلك لا يقرأ تاريخاً ولا يابيه به، فلو كانت اللغة التي يزعم الانتساب إليها عيبية، وتضيق بالتطور، لكان كشف عوارها، وفضح أمرها، حينما نهل العرب في العصرين الأموي والعباسي من كل علم، فاهتضمته وأساعته تعلماً وتعليماً. ودعوة أوزون إلى نبذ الاشتقاق إنما هي

دعوة محارب إلى تسليم سلاحه إلى أعدائه، وكفى بها دعوة إلى هدم العربية.

أمّا استشهاده بـ"سندس" و"استبرق" ونحوهما، فأقول هذا افتراض قوامه ألفاظ أعجمية معدودة دخلت العربية، ولا توجد لغة في العالم يزعم أصحابها نقاءها من مثل هذه الألفاظ، والإنجليزية نفسها التي يعتر بها "أوزون" فيها آلاف المفردات العربية، وهذه الحقائق شيء والدعوة إلى إدخال مجموعات كبيرة من الألفاظ والمصطلحات دون ضابط شيء آخر، وهي دعوة إلى إفساد اللغة وليس خدمتها.

وفي نهاية البحث يرى الباحث أن القراء سيكونون ثلاث زُمَر^(١٦٤):

- الزمرة الأولى وتشمل طلاب التحصيل العلمي العالي وكبار المتقنين، ويظنهم سيؤيدون البحث والأفكار المطروحة
 - والثانية تشمل المتخصصين، وهم - كما يرى - سيقرون بوجود ثغرات وإشكاليات في النحو العربي، وسيكونون عوناً هاماً له.
 - والثالثة وتشمل أصحاب الاختصاص الذين آمنوا بالوهم والخيال، أصحاب الجارّ والمجرور وتعليقه...
- والكاتب يطرح على نفسه سؤالين:
- الأول: ما الغاية من هذا العمل؟
 - الثاني: ما هو البديل بعد افتراض قبول العمل؟

وفي إجابته عن السؤال الأول يرى أن الغاية يمكن أن تقسم إلى قسمين،
الأول مباشر، ويهدف إلى رفض قواعد النحو في اللغة العربية اعتماداً
على النقد، والتأسيس لقواعد جديدة تركز على:

- موقع ودور الكلمة في النظم لا اعتماداً على أواخر الكلمات.

- إعمال العقل والمنطق في التععيد.

- تأثير الزمن وفاعلية الأدوات (الحروف) في القواعد.

والهدف المباشر الثاني هو التأسيس لنشوء جيل عربي يتكلم لغة عربية
واحدة دون ازدواجية بين العامية والفصحى. وهو يستدرك قائلاً^(١٦٥): "وهنا
لا بد من الإشارة وبشكل صريح إلى وجوب عدم الخلط بين ما ندعو إليه،
وبين لغة القرآن الكريم، فالقرآن الكريم في لهجته وقراءته هو صيغة تعبدية
لا مجال لنقاشها، وبالرغم من أنني مسلم مؤمن بكتاب الله عزّ وجلّ إلا أنه لا
يمكنني فرضه على العربي غير المسلم ليكون مرجعيته العربية المعتمدة".

والقسم الثاني يمثل الهدف البعيد، ويهدف إلى خلق أمة عربية
متطورة لها بصماتها في العالم المعاصر، لا بصمة أجدادها الغابرين، فلكي
تتغير الأمة يجب أن تكون لغة معرفتها ولغة ثقافتها واختراعها ومعيشتها...
واحدة، فنحن نتحدث بالعامية ونفكر بالعامية ونحب بالعامية. إن رئيس
مجلس الوزراء البريطاني يتكلم في مجلس اللوردات كما يتكلم مع إخوانه
وأصدقائه المقربين.

أما السؤال عن البديل، فيرى أنه ذكر خطوطه العريضة، أما الدخول
في تفاصيله فيحتاج إلى عمل موسوعي ومؤسساتي كبير.

أقول - مع الأسف- تمخض الجبل فولد حصاة. إن السيد "أوزون" يعتريه طائف مما يسمّى جنون العظمة، فهو يرى أن الجموع تتلقف كتابه متلهفة فور قذف المطبعة أول نسخة منه، وهم بعد أن يغنموا ما غنموه من هذه النسخ ينتحي كل منهم زاوية، أو بطن وادٍ ينكبّ فيه على هذا السفر العظيم، فيصدرون عنه زمراً ثلاثاً. ونقول ههنا للسيد أوزون إن ما في الكتاب لا يمكن أن يؤيده من كان له مُسكة من انتماء إلى لغته وتراثه، ليس لأنه يهاجم العربية وأهلها وحسب، بل لأنه يدعو إلى التدمير والفوضى، ولا يملك منهجاً للبناء. فكل مصلح ثلاثة أركان لا يمكنه أن ينجح دونهن، الأول أن يتملكه حب المبادئ التي يبغى إصلاحها، وثانيهما أن يكون على معرفة بدقائق تلك المبادئ، والثالث أن يمتلك منهجاً واضحاً لهذا الإصلاح. ولا أظن أن السيد "أوزون" يحتقّب أياً منها.

أمّا هدفه المباشر وتأسيسه قواعد جديدة، مبنية على دور الكلمة في النظم، وإعمال العقل، وفاعلية الأدوات، فنقول له: هدفك في اطراح الإعراب معروف، ولكن من أنباك بأن العربية تعتمد على أواخر الكلمات وحسب؟ أمّا مسألة إعمال العقل وفاعلية الأدوات فلا أظن أن أحداً يمكن أن يخوض هذا الميدان غيرك، كما رأينا، لأنك تضرب فيه بما يهجس في عقلك، دون سند من رواية ولا دراية. وأمّا سعيك إلى أن يأتي جيل عربي يتكلم لغة عربية واحدة دون ازدواجية بين العامية والفصحى، فأقول لك إن كل دعوة مثل دعوتك مصيرها الإخفاق؛ لأن أيّ دعوة تتجاهل اللغة العربية الفصيحة، سيكون مصيرها مصير عروس من الثلج، لوحتها شمس الظهيرة، وسيبقى هذا الجيل حُلماً في رؤوس أصحابه، لا يمكن أن يتحقق، فالتمسك بالعربية الفصيحة هو تمسك بالعقيدة، وتمسك بالوحدة، لأنها السلك الذي ينتظم كل مقوماتنا.

أما إشارته الصريحة إلى وجوب عدم الخلط بين ما ندعو إليه، وبين لغة القرآن الكريم، فأقول إن ما أفسدته من اللغة التي تدعو إليها، وازدراءك لغة القرآن، ودعوتك إلى العامية صراحة، لا يجعل هذا التباكي على لغة القرآن يجوز على أحد. أو تظن أنه لو تحققت دعوتك الهدامة، سيبقى من يفهم هذا الكتاب المقدس؟ أم تريد أن يتحول تراث العربية أيقونات ومخطوطات يعد عارفوه في عداد العارفين بالكنعانية والفرعونية والآشورية.

أما هدفه البعيد وهو خلق أمة عربية متطورة لها بصماتها في العالم المعاصر، لا بصمة أجدادها الغابرين، فأقول "شَنْشِنَةَ أَعْرَفُهَا مِنْ أَخْزَمَ"، فبعد أن ضرَّجْتَ لُغَتَكَ بالعقوق، أنت تعيش أو هاماً قد عاشها الكثير قبلك ولم تتعظ من تجاربهم، فأَيَّ عامية هذه التي تدعو إليها يا سيد أوزون؟ ومن الذي سيأخذ بها؟ السورية أم المصرية، أم الأردنية، أم المغربية، الحضرية أم البدوية الشمالية أم الجنوبية؟ أما حلمك أن تصبح كرئيس مجلس الوزراء البريطاني يتكلم في مجلس اللوردات كما يتكلم مع إخوانه وأصدقائه المقربين، فلا أقول إنك لست تعرف لغتك وحسب، بل ولغة غيرك أيضاً، وإذا ظننت أن لغة رئيس مجلس الوزراء البريطاني، في مجلس اللوردات هي نفسها التي يتحدث بها في الشارع فأنت واهم، على الاختلاف البين بين العربية والإنجليزية.

فاللغة الإنجليزية تتفرع إلى عدد اللهجات المختلفة المتباعدة، والتي هي في طريقها لتصبح لغات منفصلة متميزة، وما عليك إلا أن تدير محرك بحث "الانترنت" في الندوات والمناقشات التي تدور في الكلام على عولمة

اللغة الإنجليزية لتعرف هذه الحقيقة^(١٦٦)، ويمكن استشفاف بعض الحقائق المهمة في هذا الشأن من مقال "باربارا ولراف" المحررة في مجلة "atlantic monthly" "اللغة العالمية"^(١٦٧)، على الرغم من أنها تأمل أن تكون الإنجليزية لغة المستقبل. وقد صنف بعض المؤلفين الإنجليز معاجم في لغة الشارع، كما صنع سكوت سمبسون في معجمه "the wee book of scots slang"^(١٦٨)، ويحشد فيه طائفة من ألفاظ الشوارع، لا يعرفها أهل اللغة أنفسهم.

ويقول تراسك - ولعلك أكثر ثقة فيما يقوله - في كتابه: "أساسيات اللغة"^(١٦٩): كل لغة محكية عبر امتداد كبير من الأرض تتجلى فيها تنوعات كالإسبانية والفرنسية والإيطالية والعربية... "، فالعربية ليست بدعاً من اللغات في هذا، كما أن الإنجليزية يجري عليها ما يجري على غيرها، يقول كلوكسبيرغ ودانكس في كتابهما^(١٧٠) "مدخل إلى علم النفس اللغوي التجريبي": في بلد كبير مثل الولايات المتحدة هناك "إنجليزية فصيحة" وهي لهجة مثالية لا تدل لا على إقليم المتكلم ولا على طبقتة.. وهي السائدة بين المذيعين ومقدمي البرامج التلفزيونية" وجاء في الصفحة نفسها عن اللغة الألمانية: "إنك تفهم كلام الناس ما دمت تسير من منطقة إلى منطقة مجاورة،

١٦٦. وينظر ما كتبه د. أحمد أبو زيد في مجلة العربي العدد ٥٤٢ يناير ٢٠٠٤: ٣٠ هل تقوم لغة عالمية واحدة؟.

١٦٧. "global language". Atlantic monthly, November. ٢٠٠٠.

١٦٨. "The wee book of scots slang" Scots simpson.

١٦٩. R.L.Trask: language. The basics: ٧٥، وأرشدني إلى هذا نص ما جاء في كتاب

العربية تواجه التحديات" للدكتور طالب عبد الرحمن: ٧٦.

١٧٠. نقلاً عن كتاب "العربية تواجه التحديات: ٧٧.

وبحسب إذا انتقلت إلى مسافة بعيدة ضمن الأرض الألمانية فلن تستطيع الفهم،
فهل اطلع أوزون على مثل هذه الحقائق.

وبعد فإن السؤال الذي لا يفارق الذهن عند قراءة ما كتب "أوزون"،
وما كتب أمثاله قبله، وما سيكتب على نهجه من سيجيء بعده، إذا كانت اللغة
العربية الفصيحة - ولنضع جانباً أنها لغة القرآن الكريم - عجزت عن
مواجهة الحضارة - كما يزعمون - والقيام بواجباتها نحوها، بكل ما تحمل
من خبرة ونجاح في مستوياتها كافة، وفي شتى ميادين العلوم على مدى
قرون، أيمن للهجة عامية فقيرة بين آلاف اللهجات أن تتوء بالعبء نفسه،
بالكفاءة نفسها؟

وإن المرء ليحار حينما يسمع عربياً يزعم انتماءه إلى العربية ينادي
بواد العربية الفصيحة لعدم صلاحيتها، ويتأمل ما يقوله المستشرقون ممن
يفترض أنهم يعتزون بلغتهم التي يعرفون دقائقها، ولا يسعهم إلا أن يقرؤا
بعظمة العربية، ومن هؤلاء "فيل سبازا"، إذ يقول (١٧١): واللغة العربية من
أغنى لغات العالم بل هي أرقى من لغات أوروبا لتضمنها كل أدوات التعبير
في أصولها، في حين أن الفرنسية والإنجليزية والإيطالية وسواها قد تحدرت
من لغات ميتة ولا تزال حتى الآن تعالج ريم تلك اللغات لتأخذ من دماها
ما تحتاج إليه.

١٧١. الفصحى لغة القرآن: ٣٠٨.

خلاصة الموضوع:

- العنوان الذي وسم الكاتب عمله به ينبئ بشكل جلي، بأنه يبحث عن الإثارة أكثر من سعيه إلى المنهجية والموضوعية في مناقشة القضايا التي طرحها^(١٧٢).
- إن القارئ المنصف لأي فصل من فصول كتاب "أوزون"، لا يسعه أن يصف الكتاب إلا بأنه دعوة لإشاعة الفوضى في اللغة العربية الفصيحة، ودعوة صريحة للهدم، وازدراء التراث، بقطع النظر عن أهداف الكاتب.
- الكاتب يفور غيظاً على العربية الفصيحة وتراثها، وعلى الرغم من محاولته إخفاء هذا الشعور إلا أنه باد في كل كلمة يتقوه بها. وما نقده الجائر لشعر امرئ القيس، إلا مظهراً جلياً من مظاهر هذا الشعور.
- كثيراً ما يخلط بين مستويين من مستويات اللغة، المستوى اللهجي والمستوى الفصيح.
- يدعي "أوزون" إصلاح لغة وهو لا يملك الأدوات ولا المنهج لتحقيق هدفه الذي يسعى إليه.
- ينتقد في كثير من آرائه اللغة ومسالكتها لا اللغويين والنحاة.
- يدعو إلى نبذ باب من أهم أبواب العربية وأكثرها حيوية وهو الاشتقاق، وكفى بهذا هدماً.

١٧٢. ويبدو أن الكاتب اتخذ "الجنابة" منهجاً في تأليفه، كما أشرت في المقدمة، وقد أضاف إلى "جنابة سيوييه" جنابة الشافعي، وجنابة البخاري، ولعله يفكر في تأليف موسوعة للجنابات.

- حرّصه على انتقاد تجاوز اللغويين - كما يرى - في إعراب بعض آيات كتاب الله الكريم - وعلى الأخص مسألة زيادة الحروف - ضرب من السخرية، والاستهزاء، ومحاولة للتعريض باللغة.
- إن من أبرز الإشكاليات عند الكاتب المصطلح النحوي، وتحديد مفهومه.
- استخدم الكاتب مصطلحات مضطربة، وأسلوباً ركيكاً ملبساً في كثير من مناقشاته.
- أسلوبه في كثير من مناقشته لقضايا اللغة، فيه كثير من الإسفاف.
- يستخفّ بالقارئ، ويحسب أن حصيلة هذا القارئ اللغوية تمكنه من تمرير هذا الكم الكبير من معلوماته الخاطئة، فضلاً عن تحليلات سقيمة جلّها لا يمت إلى النصّ ولا الإصلاح بصلة.
- محاولته اليائسة في السير على خطى تفكيك العلاقة بين اللغة الفصيحة والقرآن الكريم محاولة بائسة ولا تجوز على أحد، فالزراية باللغة الفصيحة والتقليل من شأنها بهذه الصورة التي أنشأها لا تستثني أي نصّ عربي.
- إن الكاتب يستكف أن يوثق رأياً محدداً من أيّ من المراجع النحوية أو اللغوية، على الرغم من صلتها بالموضوعات التي يطرحها، وما وثّقه منها، إنما هو إيهام بأنه عاد إلى شيء منها.
- تلبّسه على القارئ، إذ يتناول الكثير من القضايا النحوية تناولاً جزئياً، ويحرفها عن قصد، ليعطي القارئ صورة مشوهة عن تلك القضايا.

- يطرح الكثير من الانتقادات والملحوظات دون أن يطرح البديل.
- إن منهجه يثير الشكوك في كل ما يتعلق باللغة العربية الفصيحة، وهذا المنهج يمثل خطراً كبيراً عندما يطالعه من لا يملك المعرفة الحقيقية للعربية، فإن أضاف القارئ إلى هذا موقفاً سلبياً منها كان خطره أشد.
- الكاتب يدعو - كغيره ممن نهج نهجه - إلى لغة يأنف هو من استخدامها.
- ثمة قضايا أثارها الكاتب، هي قضايا تمس اللغة، وهي بحاجة إلى نظر وبحث، غير أن منهج الكاتب وحصيلته اللغوية وأسلوبه لا تؤهله لمناقشتها.
- إن المطلع على كتاب السيد "أوزون" يخلص بحق إلى أن ما يليق به مقعد الدرس، لا منبر المصلح.

المصادر والمراجع

- الأسترآبآذى؁ الرضى؁ شرح الكافىة؁ دار الكُتب العلمىة.
- امرؤ القىس؁ دىوان؁ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم؁ دار المعارف؁ ط٤.
- الأنبارى؁ أبو البركات؁ الإنصاف فى مسائل الخلاف؁ تحقيق محمد محى الدين عبد الحمىد؁ ١٩٨٢.
- أسرار العربىة؁ تحقيق فخر قدارة؁ دار الجىل؁ بىروت؁ ط١؁ ١٩٩٥
- أوزون؁ زكرىا؁ جنایة سىبویه"الرفض التام لما فى النحو من أوهام"؁ رىاض نجىب الرىس للكتب والنشر؁ ط١؁ ٢٠٠٢.
- البغدادى؁ عبد القادر بن عمر؁ خزانة الأدب؁ تحقيق عبد السلام هارون؁ مكتبة الخانجى؁ القاهرة؁ ط١؁ ١٩٨٦.
- التوحىدى؁ أبو حىان؁ كتاب الإمتاع والمؤانسة؁ ضبط وتصحىح أحمد أمىن؁ وأحمد الزىن؁ دار مكتبة الحىاة؁ بىروت.
- ثعلب؁ أحمد بن یحىى؁ مآلس ثعلب؁ تحقيق عبد السلام هارون؁ دار المعارف؁ ط٢.
- الجرجانى؁ عبد القاهر؁ دلائل الإعجاز؁ تحقيق محمود شاکر؁ دار المدنى؁ جدة؁ ط١٩٩٢؁ ٣.
- ابن الجزرى؁ محمد بن أحمد؁ النشر فى القراءات العشر؁ دار الكتب العلمىة؁ بىروت.
- جریر؁ دیوانه؁ شرح إلیا حاوى؁ دار الكتاب اللبنانى؁ ط١؁ ١٩٨٢.
- الجندى؁ أنور؁ الفصحى لغة القرآن؁ دار الكتاب اللبنانى؁ بىروت؁ ١٩٨٢.

- ابن جنّي، أبو الفتح، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت .
- حسن، عباس، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٦٦.
- أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٣.
- ابن خلدون، محمد، مقدمة ابن خلدون، تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت ٢٠٠٣.
- الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، ط١، ١٩٨٨.
- الراجحي، عبده، التطبيق النحوي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٥.
- الزّجّاجيّ، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، مجالس العلماء، تحقيق عبد السلام هارون، وزارة الإرشاد، الكويت، ١٩٦٢.
- الزمخشري، أبو القاسم، محمود بن عمر، الكشاف، دار الفكر .
- السامرائي، فاضل، معاني النحو، دار الفكر، الأردن، ط٢، ٢٠٠٢.
- ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل، الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٨٨ .
- السموأل، ديوانه، مطبوع مع ديوان عروة بن الود، دار صادر، بيروت.
- سيبويّه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، هَمَع الهوامع، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٨.
- الاقتراح، تحقيق أحمد الحمصي ورفيقه، جروس بروس، بيروت، ط ١، ١٩٨٨.
- الشوباشي، شريف، لتحيا اللغة، يسقط سيبويه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٤.
- الصبان، محمد بن علي الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشموني، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٧.
- الحموي، ياقوت، مُعْجَم الأدياء، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٩٩٣.
- عبد الرحمن، طالب، العربية تواجه التحديات، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، العدد، ١١٦، السنة السادسة والعشرون، ط ١، كانون أول، ٢٠٠٦.
- عبد العزيز، محمد حسن، محاضرات في اللغة العربية ومشكلاتها، مكتبة الشباب .
- ابن العجاج، رؤبة، تصحيح وليم بن الورد، دار الآفاق الجديدة، ط ١، ١٩٧٩.
- عضيمة، محمد عبد الخالق، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة.
- ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، ١٩٩٠.

- الفراء، أبو زكريا، معاني القرآن، دار السرور، بيروت لبنان، ج ١: تحقيق أحمد نجاتي ومحمد النجار، ج ٢: تحقيق محمد النجار، ج ٣: تحقيق د. عبد الفتاح شلبي.
- فليش، هنري، العربية الفصحى "تحو بناء لغوي جديد"، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار المشرق، بيروت، ط ٢، ١٩٨٣.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لإحكام القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، ١٩٩٣.
- الكسائي، علي بن حمزة، معاني القرآن، تحقيق عيسى شحاتة، دار قباء للطباعة، ط ١، ١٩٩٨.
- الكنغراوي، صدر الدين، الموفي في النحو الكوفي، تحقيق محمد بهجة البيطار، المجمع العلمي العربي .
- ابن مالك، محمد، شرح الكافية الشافية، تحقيق علي معوض وزميله، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠.
- المبرد، محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب.
- ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى، كتاب السبعة في القراءات، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف.
- المخزومي، مهدي، في النحو العربي نقد وتوجيه، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ١٩٦٤.

- مذكور، إبراهيم، مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٦٤.

• محاضر الجلسات في الدورة الحادية عشرة، القاهرة، ١٩٧١.

- ناصف، علي النجدي، سيبويه إمام النحاة، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٩.

- الهروي، علي بن محمد، الأزهية في علم الحروف، تحقيق عبد المعين الملوحي، ١٩٨١.

- ابن هشام، جمال الدين عبد الله، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق بركات هبّود، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤.

• مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق، مازن المبارك وزميله، دار الفكر، بيروت، ط٦، ١٩٨٦.

• ابن هشام، عبد الله بن يوسف، تخلص الشواهد، تحقيق عباس الصالحي، المكتبة العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.

- ابن يعيش، موفق الدين، شرح المفصل، المطبعة المنيرية بالقاهرة.

- The "Scots simpson, black and white publishing, ٢٠٠٤ wee book of scots slang"

- R.L. Trask: Language. The basics. ٢nd edition. Routledge ١٩٩٥.

المنشورات:

- مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاماً (١٩٣٤-١٩٨٤)، أخرجها محمد شوقي أمين وإبراهيم الترزي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٨٤.

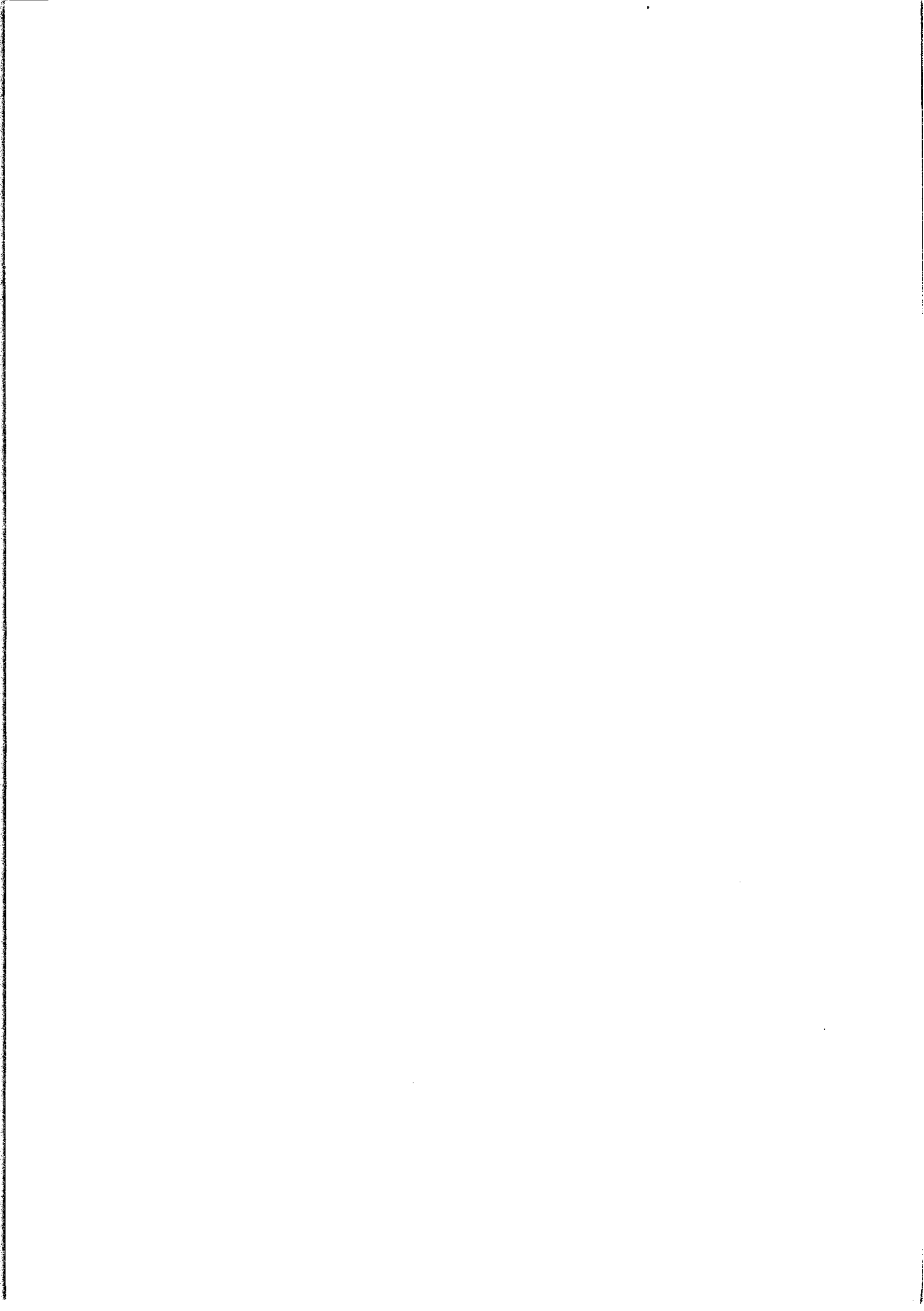
المجلات:

- مجلة العربي العدد "٥٤٢" يناير ٢٠٠٤.

- مجلة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب،
دمشق، العدد ٩٣-٩٤، السنة الرابعة والعشرون، آذار وحزيران، ٢٠٠٤،
المحرم وربيع الثاني ١٤٢٤هـ.

-Atlantic monthly, November ٢٠٠٠.

ثالثاً: تعليقات ومناقشات



نصوص ضائعة من كتاب "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة"

لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢ هـ)

هلال بن ناجي*

قبل أكثر من ربع قرن من الزمن نشر العلامة د. إحسان عباس كتاب ابن بسام الموسوم "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" في ثمانية أجزاء. وكان الظفر بهذا الكتاب كاملاً في طبعة علمية - بعد إذ توقفت الطبعة المصرية عقوداً من السنين حتى ألغتها طبعة إحسان عباس - يعدّ نصراً كبيراً في ميدان نشر النصوص الأندلسية المخطوطة الغميسة وإحسان عباس غني عن التعريف، فقد حقق أكثر من خمسين مصنفاً، وأكثر من ستة وعشرين كتاباً، هذا عدا المقالات العلمية المتناثرة في شتى الدوريات العلمية.

وقد انصبّ جانب كبير من تحقيقاته على النصوص الأندلسية حتى عدّ من أكثر المحققين المشاركة اهتماماً بالنصوص الأندلسية المخطوطة. وكان أبرزها كتاب "فتح الطيب" للمقري وقد طبع في ثمانية أجزاء، و"الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" لابن بسام، وصدرت في ثمانية أجزاء أيضاً.

ولقد بذل الدكتور إحسان عباس جهوداً ضخمة للظفر بأصولها وتنقيتها من الاختلاط، ثم إخراجها إخراجاً سليماً. وقد تنبّه أثناء عمله إلى وجود أسقاط في النصوص بضياع بعض التراجم أو أجزاء منها فأشار إلى ذلك.

*عضو مراسل بجمع اللغة العربية بدمشق ورئيس اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين الأسبق والحائز على جائزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في تحقيق المعجمات.

وخلال وقوفي على مخطوطة "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" للعمري أحمد بن يحيى بن فضل الله (قسم شعراء المغرب والأندلس) شدت نظري نصوص أندلسية نقلت من كتاب ذخيرة ابن بسام لكنها غير موجودة فيما نُشر منها. أي أنها من النصوص الضائعة المكملّة والمتممة للذخيرة المنشورة.

ورأيت في جمعها ونشرها خدمة للكتاب بعد رحيل محققه عسى أن تظهر في طبعة ثانية. وأنا أهديها إليه وهو في عالم الخلود في ذكرى رحيله -رحمه الله رحمة واسعة-.

النصوص الضائعة

(١)

نص ضائع يخص ترجمة الشاعر عن الجليل بن وهيون المرسي [قال ابن بسام، وقد ذكر واقعة اذفونش مع المعتمد ويوسف بن تاشفين فقال: وكان اذفونش قد اضطره الخَوْرُ يومئذٍ للفرار فتسنم الجبال الشاهقة والأوعار العالية إلى أن جنّ الظلام، فنحا نحو الحارث بن هشام، برأس طمرّة ولجام، فدخل طليطلة مع شزيمة من اتباعه قليلة، ونفوس طائفته مخذولة. فقال ابن وهيون، وذكر له شعراً من قوله:

نَمَى فِي حَمِيرٍ وَنَمَتَكَ لَحْمٌ
 فَيُوسِفُ يُوسِفًا إِذْ أَنْتَ مِنْهُ
 نَهَجْتَ لَسِيلَهُ نَهَجًا فَوَافِي
 فَهَيْلٌ بِهِ كَثِيبُ الْكُفْرِ هَيْلًا
 وَصَارُوا فَوْقَ ظَهْرِ الْأَرْضِ أَرْضًا
 عَدِيدَةً لَا يَشَارِفُهُ حَسَابٌ
 تَأَلَّفَتِ الْوَحُوشُ عَلَيْهِ شَتَى
 فَإِنْ يَنْجُ اللَّعِينُ فَيَلَا كَحُرٍ
 وَتَلَكُ وَشَائِخٌ فِيهَا السَّحَابُ
 (...). يِعْمَكُمَا التَّيْمَانُ
 وَفِي أَدْنَاهُ الطَّامِي عُرَامُ
 وَكُلُّ رَقِيقَةٍ مِنْهُ رَكَامُ
 كَأَنْ وَهَادَهَا مِنْهُمْ أَكَامُ
 وَلَا يَحْوِي جَمَاعَتَهُ زَمَامُ
 فَمَا نَقَصَ الشَّرَابُ وَلَا الطَّعَامُ
 وَلَكِنْ مِثْلَمَا يَنْجُو اللَّيْمَانُ]

(٢)

نص ضائع يخص ترجمة أبي الوليد البجلي (١).

... [قال ابن بسام فيه: كان باقعة دهره، ونادرة عصره، ولم يصدّ دراهم ملوك أفقنا إلا بحرّ النادرة، وكان يضحك من حَضْرٍ، ولا يكاد يتبسّم إذا نَدَّر، وهو القائل يصف طلوع الشمس ومقابلة القمر لها:

أما ترى الشمس وهي تمنع
 حمراء صفراء في تلوّنها
 مثل عروس غداة ليلتها
 عنها إدامة النظر
 كأنها تشتكي من السهر
 تمسك مراتها من القمر

(١) الصواب: النطلي.

قال ابن بسّام : ومن نوادر الآفاق، الحلوة المساق، الغريبة الاتفاق، خَبِرُ
 البجلي هذا مع المعتمد بن عباد، وذلك أنه مشى يوماً بين يديه بعضُ نسائه، في
 غلالة لا تكاد تفرق بينها وبين جسمها، وذوائب تخفي إياة الشمس في مُدْلَهَمَها،
 فسكب عليها إناء ماء ورد كان بين يديه، فامتزج الكلُّ لِيناً واسترسالاً، وتشابه طيباً
 وجمالاً، وأدركت المعتمد أريحية الطَّرب، ومالت بعطفه راحُ الأدب فقال:

وهويتُ ساليةَ النفوسِ غريرةً تختال بين أسنةٍ وبواترٍ

ثم تعذر عليه المقال، وشغلته تلك الحال، فقال لبعض الخدم القائمين على
 رأسه : سِرْ إلى البجلي، وخذْه بإجازة هذا البيت ولا تفارقه حتى يفرغ منه، فأضاف
 البجلي الأول إليه، وألحق هذه الأبيات عليه وهي:

راقبت محاسنها ورق أديمها	فتكاد تبصرُ باطناً من ظاهرٍ
وتمايلت كالغصن أورق في النقا	والنف في ورق الشباب الناضر
يندى بماء الورد مُسْتَبِلُ شعرها	كالطل يسقطُ من جناح الطائر
تزهي برونقها وحسن جمالها	زهد "المؤيد" بالثناء العاطر
ملك تضاءلت الملوك لقدره	وعنا له صرف الزمان الجائر
وإذا لمحت جبينه ويمينه	أبصرتُ بدرأ فوق بحر زاجر

فلما قرأها المعتمد استحضره وقال له: أحسنت، أو معنا كنت؟
 فأجابه البجلي بكلام معناه: يا قاتل المحل، أو ما تَلوتَ (وأوحى ربُّك إلى
 النحل) وله:

واجبداً ألقنة طول القرم
قحمة بين الكراكي فاقتم
وعاد للكف وما شكا ألم
يمسح منقاراً علاه منه دم
ككاتب يمسح حبراً من قلم]

تعليق: وجدتُ الخبر كاملاً في نفخ الطيب ٢٣٣/٣ - ٢٣٤، وفيه تصحيف
في اسم قائل الأشعار فهو في النفخ أبو الوليد النحلي، وأرجح ما ذهب إليه صاحب
النفخ، والنحلي من أهل بطليموس. وأورد الحكاية أيضاً ابن ظافر الأزدي في البدائع
ص ١١٣ - ١١٤. ونسب الشعر للنحلي أيضاً.

(٣)

ترجمة الشاعر أبي الحسن بن هارون الشنتمري ساقطة من الذخيرة
المطبوعة، وفيها نص نقله العمري عن ابن بسام هو:

[وقال ابن بسام فيه : وأبو الحسن هذا سهل الكلام، بارع النظام، ممن
اغترف من بحر الكلام بكلتا يديه، وجذب بثوب البيان من كلا طرفيه، فأما سلفه من
قبل فقد انخدع لهم الزمان بريهة، وهنم بأسمائهم السلطان هنيهة، إلى أن نبه الدهر
الغافل على أمرهم، وأسكت عن ذكرهم. ومما أنشد له قوله في أسد من ذهب يصب
ماء:

وحديقة شَرِقتِ بِغَمْرِ نَميرِها
تُجري المِياهُ بها أسودَّ أَحكمتْ
وكانَّها أسنَدُ الشَّرى في شَكلِها
وقوله:

انظرُ إلى ثابتٍ على طِرقةٍ
وهزُّ من قَدِّه لواءِ ردى
يطوفُ بالحجِّ منه بدرُ دجى
يكادُ من لِينِه ونِعْمَتِه
قد سلَّ سيفَ المنون من طِرقةٍ
يُردي الصَّحيحَ السليم من خَنفةٍ
على جوادِ كالبرق في خَطفةٍ
يعقدُ عقَدَ العنان في نصفةٍ]

(٤)

القطعة التالية من نثر أبي عبيد البكري ساقطة من الذخيرة المطبوعة. وقد تصدر ترجمته قول ابن بسام فيه "[وأورد من نثره قوله : وأنى لي في هذا بإصابة عرض أرمى، أو إضاءة سقط أريه، مع زمانة الزمان، وبلادة البلدة من قريحة قريحه، وطبع طبع، وخيم وخيم، ونحو قد نبذ، ولغة جعلت لغواً، وطالب العلم مُطالب، والمتحلي بن مخلص، وقضايا العقل معكوسة، وحظوظ الفعل منحوسة].

(٥)

ترجمة أحمد بن محمد بن حجاج سقطت من كتاب الذخيرة المطبوع، وقد نبه محققها إلى ذلك في ص ٢٣٥، ٢٣٨ ق ٢ م ١ منها.

قال د. إحسان عباس في هامش ص ٢٣٨ ما نصه (هنا تقع ترجمة أبي عمر أحمد بن محمد بن حجاج ... وأرجو أن أوفق إلى العثور على الترجمة كاملة وإحاقها بهذا القسم من الذخيرة). ولم يتح له العثور عليها.

[قال ابن بسّام : من أسرةٍ طلّعوا مع الكواكب كواكب، وملأوا عيون العجائب عجائب، أهل بيت عمدة القنا والقنابل، وأطناؤه اللهي والفواضل، فصالت دونه القبائل، وتناصر عنه الدهر المتطاول، ونحّم هذا الرجل فكان بحبوحه شرفهم، وسابق سلفهم وخلفهم، وقد خرّجت له ما يشهد أنه سري أسربة، وقريع أهل تجرية. ومما أنشد له قوله:

الموتُ مورداً إليه توضعُ	ونفوسنا طير إليه وقّع
دنيا كعهد المومسات بقاؤها	والوعد يضمنه اللئيم الأكوغ
تجري النفوسُ بها إلى آجالها	في مُدّة هي للمنية مهيع
أين القرون السابقات إلى النهي	هل مقالة ترنو وأذن تسمع

ومما أورد له من نثره:

أنا بين أمواج عرقك الغدق، كالمغمور الغرق، كلما رمت الوصول إلى فلك
الشكر لم أصل إليه، أو طلبته لم أقع عليه، فصرت كما قال القائل:

أقبلت أرجو فضول نائله فصرت أشكو من سيبه الغرقا

وإنني لما ترادفت عليّ تلك الأمواج، وغمرني ذلك البحر العجاج أظفرني

الله بسفينة الدعاء، فوصلت إليها ونجوت عليها.

(٦)

في ترجمة أبي أيوب سليمان بن أبي أمية سقط النص التالي المنقول عن الذخيرة. وهو هو [قال ابن بسام وقد ذكره : فصل في ذكر الفقيه أبي أيوب، وإثبات جملة من نظمه ونثره اللذين عطلا الدر في النحور لا في البحور، وأخجلا الزهر في الكمام، والمدام في أيدي الندام، وهو في وقتنا هذا بحر الأدب وساحله، وسنام العرب وكاهله، وسنان المجد وعامله، ورافع لواء الحمد وحامله. ودارت دولة المعتمد على أبيه مدار مذهب المدينة على مالك، وكانت ترجع إليه رجوع الحساب إلى فذلك (كذا)!]. ونشأ ابنه الوزير أبو أيوب والخطابة تجن به جنونها، والكتابة تمد إلى شمالها ويمينها، فنظر إليها بمؤخر عين لا يروى، إلا بشحظ كتاب، أو خطة محراب، وأرهاها جانب سمع لا يأنس إلا بدعوة مستقيل أو نعمة مستنيل، حتى انجابت لم يحل لها حباه، ولا صرف فيها رأيه ولا هواه، وقد أثبت مما وجدت له ما يملأ الأسماع، ويرهف الطباع، وتجاوز حد الإفادة والإبداع. ثم ذكر شيئاً من شعره وقال: وهذه نبذة تظهر للقريب الغريب، اختلستها خلسة الذيب، واحتملت فيها منه مضمض اللوم والتثريب، لانتقائه جملة عن الإقرار بالأشعار، واعتلائه عن الخطو في ذلك المضممار، اللهم إلا ما يجيء به عفواً واسترسالاً، ويدب على لسانه نمالاً (كذا) أو سحراً حلالاً. وأنشد له قوله:

هفوت وأينا يعصي هواه إذا نصت سواها الضياء
فدغ لومي فبعض الغي رُشد حياتي أن يفارقني الحياء

وقوله:

أمسك دارين حياك النسيم به أم عنبر الشحر أم هذي البساتين
بشاطئ النهر حيث النور مؤتلف والراح تعبق أم تلك الرياحين

وقال ابن بسام بأعقاب ما أنشد له من النظام : انتهى ما اختطفته من هذه
البدائع الروائع. وإن قد أعوز إفساحها، واستمر مع الأيام والأيام، فلنغيبها بما قد
أشبهها كثرة طائل، وشرف قائل، مما قد استفدته فأجدته من كلام الوزير أبي
الحسين القرشي العامري، الذي هو عقله المستوفز، وفرصة المنتهز، وتحفة الغلام
المبرز، وذلك قطعة شعر بل نفثة سحر، تتعلق ببعض ما أنشدت، وبه أشرت، قال
يصف ما يوضحه فيستملحه:

الله بالربوة العلياء ليلتنا
 أيام جادت لنا الدنيا بما ذخرت
 والعين من أمة الرحمن قد ملئت
 غراء يزهي بها خولان إن فخرت
 لا مثل منطقها المعسول منشده
 (أمسك دارين حياك النسيم به
 يا روضة بأنيق الحسن حالية
 هل تذكرين - فذتك النفس من عدة
 وحاش للمجد أن لا يقتضى وطراً
 والراح يأخذ منا والرياحين
 من النعيم ولم يبخل بنا الدين
 حسناً وأبهجها قرب وتمكين
 وإن تهادت فنعمان ويبيرين
 وإن يحياً تناسلتنا أفانين
 أم عنبر الشحر أم هذي البساتين
 وحسب روض الربى ورد ونسرين
 جرت بها للهوى الكير الميامين
 يغني به منك ذاك اللطف واللين

ثم قال: أردتُ حُسْنَ التضمين لقول الوزير أبي أيوب، فانظر ما أبدع هذا
 الامتزاج والالتفات، وأبرع هذه الازدواج والائتلاف كما التقى الثريات، واتسق سحر
 البيان، بل كماء الغمام، وصفو المدام. ولا غرو إن تعارفت تلك الأرواح وتشاكلت
 الطباع، فاطرد هذا الإغراب والإبداع].

(٧)

وسقطت من الذخيرة المطبوعة ترجمة أبي الحسين القرشي العامري وها

هي ذي:

وهو سالم بن محمد بن سالم بن محمد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن علي بن
 محمد بن أحمد بن مسلم بن طلحة بن مسلم بن عبد العزيز بن زمعة بن قيس بن عبد
 شمس بن عبد ود بن نضر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر بن

مالك بن النضر. هكذا ساق نَسْبَهُ ابن بسّام. قال ابن بسّام : والنضر هو نبعة قريش الذي يضمهم دوحها، ويعلمهم روحها.

ثم قال ابن بسّام: والله أبو الحسن فإنه جِلْدَةٌ بين الأنف والعين، فإن يكن قد نماه الأبطح، وجلّاه الحَسَبُ الأوضح، فلقد باء بمزِيّة الصهر الكريم، وشرف الحديث والقديم لأنّ عبد زمعة المعدود من نفره، الموجود فيه كريم جوهره، هو أخو سودة - أم المؤمنين - زوج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وجدّ جدّه إسماعيل هو الطالع على شرق الأندلس في سلطان الحكم المستنصر بالله، رحل من مصر مع السنتين والثلاثمائة من دخول بني عبّيد إليها، واستيلائهم عليها، هاجراً للوطن، فاراً بدينه، وسراً يقينه المستبطن، وأثر بوفادته، وسائر قاداته، بني أمية على بني العباس، لانتظام بني عامر في الحروب العلوية معهم، ونزوعهم فيما شَجَرَ بين السلف منزعهم، فحلّ يومئذٍ لدى الحَكَم على السّعة والرحب، والصاغية الكريمة والقرب. وجعل يُحَدِّث عن ابن سفيان وعن فُلٍ وفلان من علماء مصر في ذلك الزمان. فلما ثارت الدولة العامرية حين تَقَلَّصت ظلال قريش، وتتكّر لهم ما عهدوا بقرطبة من خفض العيش، أوى إلى أشبيلية فأوطنها داراً، واتخذها قراراً، وبها لَقِيَهُ ابن عبد البر علامة الأندلس، ومُحِي آثارها الدُّرُس، فَدَرَسَ عليه، واقتبس ممّا لديه.

ثم نقل ابن بسّام ما قيل في خبر هذا الرجل ثم قال: ولم يزل عَقِبَهُ على تخرم المنون، وتتكّر الدهر الخوون، ذوي العرض المصون، إلى أن

نَجْمَ فِيهِمْ هَذَا النَّيِّرَ الثَّاقِبَ، وَنَشَأَ هَذَا الصَّيِّبَ النَّاكِبَ، فَرَجَحَ بِالْجَمِيعِ، وَذَهَبَ
بِمَا هُنَالِكَ مِنْ عَتِيدٍ وَبَدِيعٍ، مَعَ أَدَبٍ كَرُوضِ الْحَزْنِ، وَلَوْلُوْهُ الْخَزْنِ، وَبِلَاغَةِ
أَرْبَتٍ عَلَى كُلِّ ظَنٍّ، وَبِرَاعَةٍ أَخَذَتْ مِنَ الْعُلُومِ فِي غَيْرِ مَا فَنٍّ، إِلَى شِيمَةٍ
كَالزَّلَالِ، وَهَمَّةٍ عَلَى قِمَّةِ الْهَلَالِ.

ومما أنشد ابن بسّام لهذا الرجل قوله:

لَأَنْتَ لِكَ الْأَيَّامِ بَعْدَ شَمَاسِ
وَضَفَّتْ عَلَيْكَ بِرُودُ عَزِّ أَقْعَسِ
وَجَرَّتْ سَعُودُكَ غَيْرَ وَانِيَةِ الْمَدَى
أَنْتَ الَّذِي بَكَ لِلْمَكَارِمِ هِزَّةً
مَا مَالِكَ ابْنَ الذَّنْبِ أَوْ مَا حَاتَمَ
لَهْفِي عَلَى تِلْكَ النُّهَى مُنْقَالَةً
أَغْدُو إِذَا عَاطَيْتُهَا وَكَأَنَّمَا
إِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ الْمُذَمَّمُ بَيْنَنَا
وَإِهْمًا عَلَى عَهْدِ بَمَنْعَرَجِ اللَّوِيِّ
وَإِلَيْكَ مِنْ سِرِّ الضَّلُوعِ تَحِيَّةً
وقوله:

وَحَلَلْتَ مِنْهَا فِي ظِلَامِ كِنَاسِ
يَبْقَى وَلَا يَبْلَى بِطُولِ لِبَاسِ
جَرِيَّ الْخَلَافَةِ فِي بَنِي الْعَبَّاسِ
لَيْسَتْ لِفَرْعِ الْبَانَةِ الْمَيَّاسِ
كُلًّا سَبَقَتْ إِلَى الْبَنْدَى وَالْبَاسِ
بِغَرَائِبِ الْأَدَابِ وَالْإِيْنَاسِ
لَعَبَيْتُ بِأَعْطَافِي حَمَيًّا الْكَاسِ
فَالدَّهْرُ لِلْأَحْمَرَارِ غَيْرُ مَوَاسِي
لَذَنْ كَمَا اهْتَزَّ الْقَضِيبُ الْكَاسِي
تَنْدَى عَلَى مُتَضَرِّمِ الْأَنْفَاسِ

سقى الروضَ مُختالاً به العَلمُ الفَرْدُ
وحَيَا الأراكُ الدوحَ تهفو به الصبَا
ولا بِرَحْتِنَا نَفْحَةً يَمْنِيَّةً
وبالخيمة القصوى عقيلة رَبْرَبِ
لتصغي إلى الجرسِ الخفيِّ لعَلني
وليلتنا بالجرع والطلُّ ساقطُ
يحموم ولا إمام إلا بسلسلِ
ومن دون نجوانا استماعهُ صاحبِ
تَقَاوُضُهُ النكباءُ سرَّ حديثها
خليلي هل ليلي ونجدٌ كعهدنا

مَلِثُ لجيد الزهر من نظمه عقدُ
كما رُنَّح النشوانُ ساورةَ الوجْدُ
تجافى لها عن سرّها البانُ والرندُ
لِبَرْدِ ثناياها على كبدي بَرْدُ
خلصتُ ودوني للعدى حَقِّ رُمْدُ
ودوني فينانٍ من الآيات ممتدُ
على الرشف ما الصهباءُ منه ولا الشَّهْدُ
تواصتُ لدى كتم السرار به الهندُ
فتطويه إلا ما جنى المسكُ والندُ
فيا حبذا ليلي ويا حبذا نجدُ

وهذه هي النصوص الأندلسية التي سقطت من ذخيرة ابن بسّام، وظفرنا بها في مخطوطة باريس من كتاب مسالك الأبصار للعمري.

وبعد : فقد كانت الشام الكبرى بأقسامها الأربعة: فلسطين والأردن وسورية ولبنان منسجماً ثراً للكفاءات في مختلف العصور، فحين جنحت شمس العلامة د. إحسان عباس إلى المغرب، لأسباب صحية، كانت شمس العلامة د. محمد رضوان الداية - وهو شامي من سورية- قد استقرت في كبد سماء الدراسات والتحقيقات الأندلسية في المشرق العربي. وكان من آثاره في هذا الميدان ما يمكن تصنيفه في جزمين رئيسيين : الأول نصوص أندلسية محققة، والثاني : دراسات أدبية صنّفها.

فأما الجزم الأول فقد ضمّ النصوص المحققة الآتية:

- ١- المعيار في أوزان الأشعار لمحمد بن عبد الملك الشنتريني - بيروت ١٩٦٨.
 - ٢- إحكام صنعة الكلام لابن عبد الغفور الكلايمي - بيروت ١٩٦٦.
 - ٣- نثير فرائد الجمان لابن الأحمر - بيروت ١٩٦٧.
 - ٤- شرح الحماسة المغربية- جزءان.
 - ٥- شرح مشكل شعر المتنبي - ابن سيده الأندلسي - دمشق ١٩٧٥.
 - ٦- آيات المبرزين وغايات المميزين: ابن سعيد - دمشق ١٩٨٧.
 - ٧- ديوان ابن عبد ربه - بيروت ١٩٧٩.
 - ٨- رسائل ابن أبي الخصال - دمشق ١٩٨٨.
 - ٩- سعيد بن جودي السعدي الألبيري الأندلسي - سيرته ومجموع شعره - ١٩٧٧.
 - ١٠- نثير الجمان في شعر من نظمنا وإياه الزمان: ابن الأحمر - ١٩٧٦.
 - ١١- ديوان ابن خاتمة الأنصاري - دمشق ١٩٧٢.
 - ١٢- ديوان ابن إسحاق الألبيري الأندلسي - بيروت ١٩٧٦.
 - ١٣- الحدائق والجنان - ديوان بني فرح شعراء جيان - أبو ظبي ٢٠٠٣.
- وأما الجذم الثاني فيضم الدراسات الآتية:
- ١- تاريخ النقد الأدبي في الأندلس - بيروت ١٩٦٨.

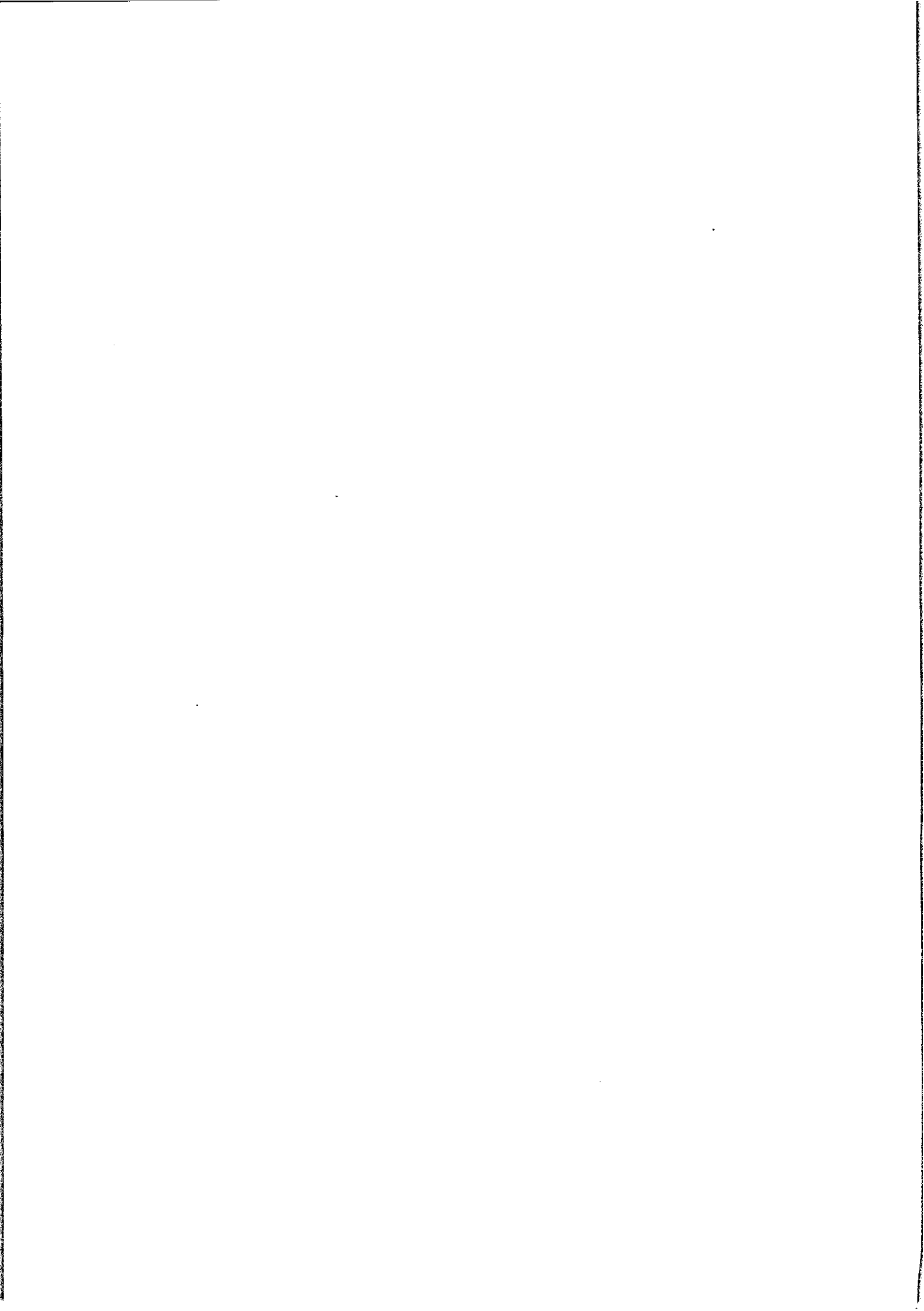
- ٢- في الأدب الأندلسي - دمشق ٢٠٠٠.
- ٣- أندلسيات شامية - دمشق ٢٠٠٠.
- ٤- الأدب العربي في الأندلس والمغرب.
- ٥- أبو البقاء الرندي- شاعر رثاء الأندلس- بيروت ١٩٧٦.
- ٦- ابن خفاجة- دراسة - دمشق ١٩٧٢. وغيرها.

وبعد فهذه بعض جهود محمد رضوان الداية في حقل الأندلسيات تحقيقاً وتأليفاً. حتى جاز لي أن أقول:

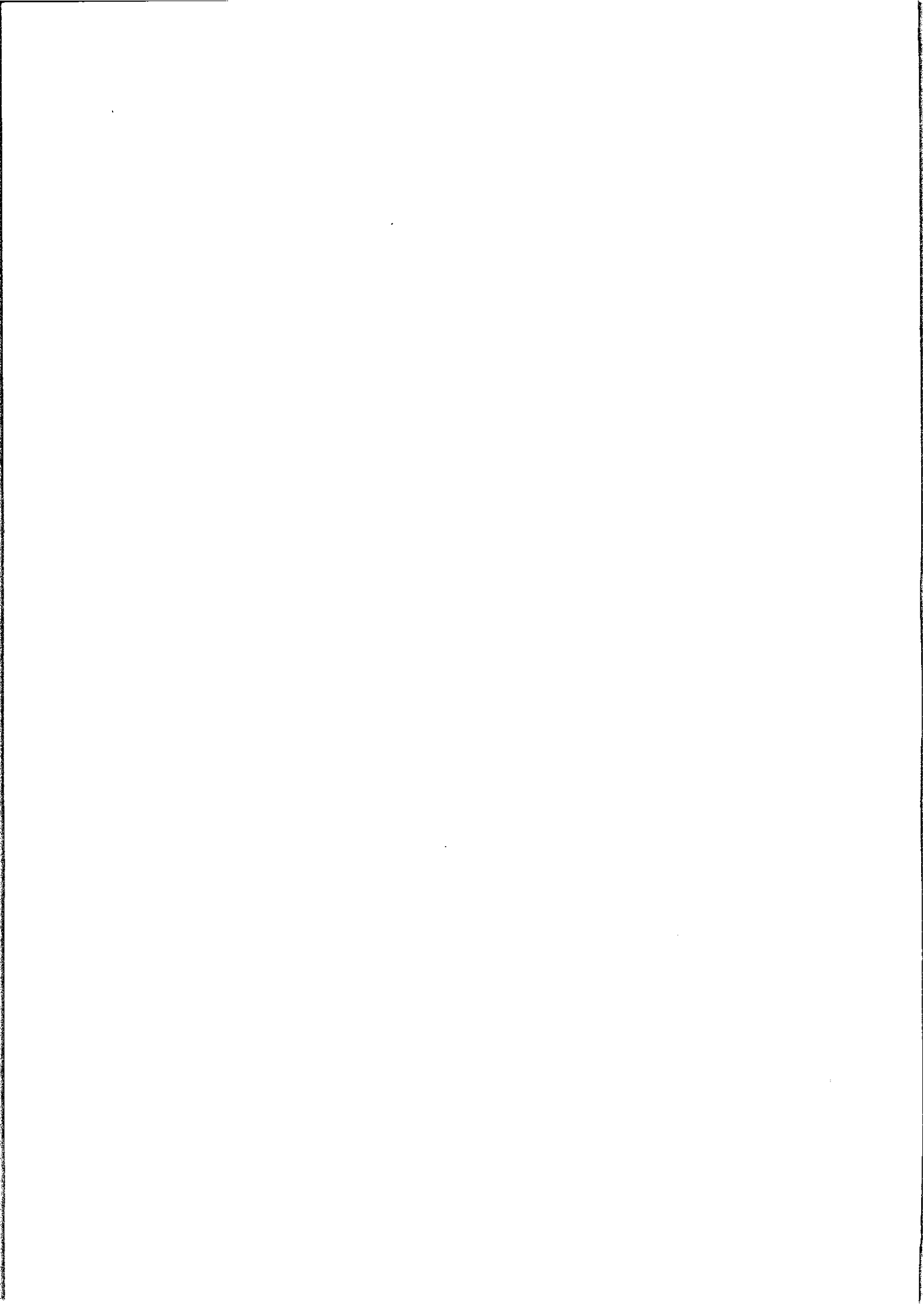
"رَحَلَ إِحْسَانٌ وَأَلَّتِ الرَّايَةُ إِلَى رِضْوَانٍ"

رحم الله الأول وأمد في عمر الثاني

والحمد لله أولاً وآخراً.



رابعاً: أخبار جمعية



الندوات والمؤتمرات والمحاضرات

- اجتماع اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية وندوة "صوغ المصطلح العلمي وتوحيده" في المدة من ٢٢-٢٣/١٠/٢٠٠٧م في رحاب مجمع اللغة العربية في طرابلس/ ليبيا.

توصيات الندوة العلمية لمجمع اللغة العربية (طرابلس) "صوغ المصطلح العلمي وتوحيده"

عقد اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية اجتماعه السنوي في المدة من ٢١ - ٢٣ تشرين الثاني (أكتوبر) ٢٠٠٧م، في رحاب مجمع اللغة العربية في طرابلس/ ليبيا. وعلى هامش اجتماعات الاتحاد عقدت في طرابلس ندوة بعنوان " صوغ المصطلح العلمي وتوحيده ".

ومثل مجمع اللغة العربية الأردني في هذه الندوة الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس المجمع ، كما قدم عضو المجمع الدكتور عبد المجيد نصير بحثاً إلى الندوة ولكنه لم يحضر لأسباب خاصة.

وقد أصدرت الندوة توصيات ذكرت فيها أن اللغة العربية سمة من سمات الشخصية الحضارية لأمتنا العربية، فهي لساننا المبين ولغة القرآن الكريم، ورمز من رموز وجود الأمة ، وإحساساً من أبنائها الغيورين بما يعانیه متكلمو هذه اللغة من تأخر، وما تواجهه من حملات محاربة وتشويه. إن عالماً المعاصر يشهد تطوراً علمياً سريعاً وسيلاً عارماً من المصطلحات العلمية الأجنبية في ميادين العلم المختلفة، إذ لم يبق علم من العلوم إلا اتسع مجال النظر

فيه، بما تأتي له من البحوث في أدق مسائله، والدراسات التي أرسيت لها النظريات والاكتشافات المتواصلة والاختراعات التي عملت على تطوير مجالات الحياة كلها.

لقد كان من الطبيعي مع هذه التطورات أن تشهد اللغة تسارعاً كبيراً في مجال المصطلحات العلمية حتى أصبحت الإحاطة بمصطلحات العلم الواحد على قدر كبير من الصعوبة.

- واستشعاراً للمسؤولية الملقاة على عاتق أبناء العربية، هب المخلصون من أبنائها إلى حل هذه المشكلة، فبادروا إلى تعريب المصطلحات وترجمتها بل إلى وضع المصطلحات، إلا أن هذه الجهود تحتاج إلى مزيد من التنسيق والتوحيد تمهيداً لتوحيد المصطلح العلمي، فكان للمجامع العربية جهود مشكورة في هذا السبيل، من هذا المنطلق بادر مجمع اللغة العربية الليبي إلى عقد ندوة علمية بعنوان: "صوغ المصطلح العلمي وتوحيده" في الفترة من ٢٢ - ٢٣/١٠/٢٠٠٧م بمجمع اللغة العربية بطرابلس، بالتعاون مع أمانة اللجنة الشعبية العامة للتعليم العالي. وبعد عرض علمي لما يقرب من العشرين ورقة قدمها نخبة من الأساتذة من مختلف الدول العربية، وشارك في إثرائها جمع ممن لديهم اهتمام بلغتنا بنقاش هادف من خلال المحاور الأساسية الآتية:

١. إشكالات المصطلح العلمي، المظاهر والأسباب والعلاج.
٢. تجارب المؤسسات العلمية اللغوية في تعريب المصطلح وتوحيده.
٣. المصطلح العلمي بين التعريب والترجمة.
٤. ضوابط تعريب المصطلح عبر العصور.
٥. معجمات المعاني في العربية، وأهمية الرجوع إليها في تعريب المصطلح العلمي.

توصل المشاركون إلى الآتي:

أولاً: صوغ المصطلح:

- عند صياغة المصطلح العلمي يجب أن يراعى ما يأتي:
- تحديد معالم المفهوم تحديداً دقيقاً قبل وضع المصطلح المناسب له.
- اختيار أقرب كلمة، وأنسب صيغة صرفية لاحتواء هذا المضمون، والتعبير عنه.
- الاستفادة من السوابق واللواحق والدواخل عند صوغ المصطلح، مع مراعاة الدلالات التي تؤديها هذه الأدوات، واختيار أقربها إلى المعنى المراد التعبير عنه.
- اختصار المصطلح في أقل عدد ممكن من الكلمات.
- خلو المصطلح من أدوات العطف والاستدراك.
- الحرص على ضبط المصطلحات عامة، والمعرب منها خاصة بالشكل حرصاً على صحة نطقه ودقة أدائه.
- تجنب الارتجال الفردي في صوغ المصطلح والعودة إلى المجامع العربية فيه.
- الاسترشاد بالمصادر التراثية للاهتداء بعلمائنا القدامى في صوغ المصطلحات العلمية.
- مراعاة القواعد الصوتية والصرفية التي تسير عليها العربية في صوغ ألفاظها.
- يتم الالتزام بالوسائل التي أقرتها مجامع اللغة العربية في صوغ المصطلح العلمي وهي:
الاشتقاق، المجاز أو القياس، النحت والتركييب، الاقتراض، التعريب والترجمة.

- الابتعاد عن النزعة الفردية والتعصب القطري عند صوغ المصطلح ومراعاة مصلحة الأمة عامة.

ثانياً : توحيد المصطلح:

- اتفاق مجامعنا على مصطلح واحد مقابل الوافد، وأن يكون لها حق فرض استعماله على الجميع.
- تنسيق الجهود بين المجمع اللغوية العربية والوسائل المختلفة للإعلام والثقافة.
- إضافة المعلومات المصطلحية طبقاً لخطة عربية متوافقة عالمياً.
- وضع خطة للعمل العربي المصطلحي مع توزيع الأعباء.
- الالتزام بحصر المصطلح المطروح بدلالة واحدة، تقابل دلالة اللفظة الأجنبية بحيث لا ندع مجالاً للالتباس بين مفهومين متقاربين.
- مراعاة ما اتفق عليه المختصون من مصطلحات ودلالات علمية خاصة بهم معربة كانت أو مترجمة شريطة أن تقرها المجمع اللغوية.

ثالثاً: توصيات عامة:

- تسجيل المصطلحات المتاحة التي أقرتها المجمع والمؤسسات العلمية.
- الدعوة إلى توحيد المفاهيم وثقافة المتخصصين، قبل صياغة المصطلح حتى لا تختلف صيغته.
- تنظيم التعاون الدولي مع مصارف المصطلحات العالمية.

• الحث على التواصل بين الهيئات والمؤسسات العلمية في الوطن العربي لتوحيد المصطلح العلمي.

• الحث على عقد المزيد من الندوات لصوغ المصطلحات العلمية وتعريبها وتوحيدها.

• تأكيد الرأي القائل برد الأعجمي إلى رسمه العربي.

• التقيد الدقيق بما يصدر عن الندوات والمؤتمرات العلمية الخاصة بالمصطلح - صياغة وتوحيداً.

• تقويم مسيرة المجامع العربية في صوغ المصطلح العلمي وتوحيده.

• الإسراع في تعريب ما يرد إلينا من المصطلحات الأجنبية قبل أن يشيع استعمالها.

• عرض المصطلحات على المؤسسات المشاركة وخبرائها.

• استخدام المصطلح في التدريس والتأليف والترجمة، وفي التعليم العام والتعليم الجامعي وفي المجالات الثقافية والإعلامية.

• تكوين جيل من الاصطلاحيين للعمل في المجامع والمؤسسات المعنية.

• دعوة المجامع اللغوية العربية التي لم تستحدث بعد موقفاً لها في شبكة المعلومات الدولية أن تسارع إلى ذلك لتيسير التواصل بينها وبين غيرها من المجامع والمؤسسات العلمية العربية لنشر المصطلحات المقررة.

• اقتراح إنشاء مرصد للمصطلحات العربية الأجنبية لتبادل المعلومات المصطلحية وتيسير عمل الخبراء والباحثين.

- الدعوة إلى فتح مساقات متعلقة بتدريس علم المصطلح في الجامعات العربية.
 - لقاءات علمية وثقافية تحت عنوان "دور المجامع اللغوية في حماية اللغة العربية وتطويرها لمواكبة السير الحضاري والتقدم التقني" أقامتها الجامعة الأسمرية للعلوم الإسلامية في ليبيا في المدة من ٢٠-٢١/١١/٢٠٠٧م.
- وقد مثل المجمع في هذه اللقاءات الدكتور عبدالحميد الفلاح الأمين العام للمجمع وألقى بحثاً حول مجمع اللغة العربية الأردني ؛ أهدافه ودوره في حماية اللغة العربية وتطلعاته المستقبلية.

رسائل الدكتوراه والماجستير

حرصاً من المجمع على التعاون والتنسيق مع المؤسسات العلمية والأكاديمية، وعلى رأسها الجامعة الأردنية، فقد تمت في قاعة الندوات والمحاضرات في المجمع مناقشة الرسائل الآتية:

اللغة العربية وآدابها

- رسالة دكتوراه مقدمة من الطالبة فوزية جميل عبدالكريم دنود وعنوانها "شروح جمل الزجاجي في النحو للبطلبيوسي وابن عصفور وابن أبي الربيع - دراسة موازية"، بإشراف الدكتور محمد حسن عواد، وذلك يوم ٢٠٠٧/٧/١٥ م.
- رسالة ماجستير مقدمة من الطالب محمد عبدالله الخياص، عنوانها "النفى بين النظرية والتطبيق"، بإشراف الأستاذ الدكتور إسماعيل عمارة وذلك يوم ٢٠٠٧/٧/١٦ م.
- رسالة مقدمة من الطالب بشير أحمد علي، عنوانها "الأسطورة والمكان في أدب إبراهيم الكوني"، بإشراف الدكتور إبراهيم خليل، وذلك يوم ٢٠٠٧/٧/٣١ م.
- رسالة مقدمة من الطالبة جنات علي محمد أحمد، عنوانها "التركيب الإضافي في العربية نحو توصيف في ضوء اللسانيات الحاسوبية" وذلك يوم ٢٠٠٧/٨/١ م.

• رسالة مقدمة من الطالب ناجح جميل عبدالله صوافطة عنوانها "أثر الدلالة النحوية في استنباط الأحكام الفقهية في كتاب "بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع"، بإشراف الأستاذ الدكتور محمد حسن عواد، وذلك يوم ٢٠٠٨/٨/٢ م.

• رسالة مقدمة من الطالب محمد كميخ العجمي عنوانها "شعر جرير ابن عطية: دراسة أسلوبية"، بإشراف الدكتور محمد القضاة وذلك يوم ٢٠٠٧/٧/٣٠ م.

• رسالة مقدمة من الطالب بشير أحمد علي جلالة وذلك يوم ٢٠٠٧/٧/٣١ م.

• رسالة مقدمة من الطالبة عدالة مصطفى موسى السالم بعنوان "سورة الصافات: دراسة أسلوبية"، بإشراف الدكتور محمد القضاة، وذلك يوم ٢٠٠٧/٨/٥ م.

• رسالة مقدمة من الطالب سالم خليل الأقطش عنوانها "جهود أحمد مختار عمر اللغوية: دراسة تحليلية"، بإشراف الدكتور محمود الحديد، وذلك يوم ٢٠٠٧/١١/٢٧ م.

كلية الشريعة

• رسالة دكتوراه مقدمة من الطالبة هيام محمد عبد القادر بتاريخ ٢٠٠٧/٧/٨ م.

- رسالة دكتوراه مقدمة من الطالب محمد أمين الكيلاني تاريخ ٧/٢٢/٢٠٠٧.
- رسالة دكتوراه مقدمة من الطالب محمد مهند الغرايبة وذلك يوم ٢٩/١١/٢٠٠٧م.
- رسالة دكتوراه مقدمة من الطالب أحمد إبراهيم الحسنات وذلك يوم ٢٦/١١/٢٠٠٧م.

إلى الأخوة الكتاب:

يرجى مراعاة ما يلي:

- ١- أن تقتصر البحوث على اللغة العربية، والتراث العربي الإسلامي: العلمي والأدبي والفني، وشؤون التعريب، ومراجعة الكتب المحققة وما إليها، والمناقشات والتعليقات المتعلقة بهذا وأمثاله.
- ٢- أن يتأكد الكاتب من سلامة اللغة، وحسن الترقيم، والتوثيق قبل إرسال بحثه للنشر.
- ٣- أن تتسم البحوث النقدية بأسلوب النقد العلمي الهادئ، الخالي من الانفعالات الحادة التي قد تسيء إلى المؤلف أو الباحث.
- ٤- أن تكون البحوث المرسلة للنشر في نسختها الأصلية، وخاصة بالمجلة.
- ٥- الأبحاث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير أو المجمع.

رئيس التحرير



مركز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

***Journal
Of The Jordan Academy Of Arabic***



No. 73

Vol XXXI

July - December 2007

July - December 2007

July - December 2007